

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00970 6817

P
T
A
Z

01-81085

Post Feb 14th

185



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



TY

LI

عبد العزيز

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه
لأتِ بما لم تستطعهُ الأوائلُ

٧٧٥٥
A25
23x
1925

أَبُو الْعَمَلَاءِ وَمَا إِلَيْهِ

وهو كتابٌ حافلٌ بتاريخه وأخباره * جامعٌ للمباحث الدقيقة في حياته
وآثاره * منبّهٌ على أوهام الشرق والغرب في فهم رموزه وأسراره

مما عني بوضعه ووصفه ، وقام بجمعه ورصفه

الغريبُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمِصْنِيُّ الرَّجُلِيُّ الْأَثَرِيُّ الْهِنْدِيُّ

الاستاذ بجامعة علي كره الاسلامية في الهند

لطف الله به وكرمه

وطبع على نفقة جمعيه

دار المصنفين

في أعظم كره (الهند)

أشرف على طبعه

محب الدينه المطيب

منشئ مجلة الزمراء

المطبعة السلفية - ومكتبتها

OCLC
80050527

B12613629
13341054



القاهرة

١٣٤٤

١٩٢٥
﴿حقوق الطبع محفوظة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك اللهم! على ما يسّرت وأسديت. وصلاةً وسلاماً على رسولك
الذي ابتعثته واخترت واصطفيت. وعلى الذين وازروه وآووه وآثرتهم على
الأمم لصحابته وانتقيت. حتى أعلمت كلمتك التي كنت أسنيت. وصيّرتهم
أسوةً لنا حسنةً كما قد أبديت

وبعد فهذا كتيبٌ لي وضعته وسفر صنعته في أخبار شيخ المعرفة أبي العلاء
- رب القريض والإِنشاء - وكأني بمن يستنكر حاجة الناس إليه ويحقق غناهم
عنه بعد ما قد أكثر الأمم من التأليف فيه ولجوا به وبآثاره فاستنبطوا منها كل
عين وأثاروا عن كل دفيئة. ولم يتركوا لقائل مقالاً، ولا لفارس مجالا. فأجالوا
فيها القِداح، وشمرّوا مجدين للكفاح.

يبد أني كنت أرى ولا أقول صواباً أن الحاجة كانت ماسةً بعدُ إلى من
يرمي عن كُتُب، ويتعرّف بأبي العلاء تعرّف الانسان بصاحب له ذي أرب.
حتى يقضي عن نفسه بعض ما وجب، ويستفيد من شذاذ أطراف المباحث
ما كان شرد وذهب. ويميز القشر عن اللب، والجريال من الرُب.

فالمقصد إذاً كان خطيراً، يقتضي من الوقت فراغاً ومن دواوين الأدب
نصيراً وظهيراً. وكنت مشغول البال والضمير، ولم يكن بيدي منها تقير أو
قطير. فكيف الحذاء إذاً بغير بعير، أو جوب الفلوات الفيخ ونضوى كبير
حسير. فكنت أتلکاً نظراً إلى صعوبة العمل، وطول الأمد والأمل.
وأتجاف بنفسي من الوقوع في مدحضة مزلة، ليس لهيضيها جبر ولا بلة.

ولكن لما رأيت هجنة المستعربين وثغرة المتأدبين ، قد نكبتهم عن الوصول الى غاية المأمول فوقعوا في سلا جمل ، وارتبكت مرا كبهم في الوحل . اغتنمت الفرص وانتهزت من الآناء الخلس ، واستنطقت الحبس . فإني رأيت خفض الصوت وقصر النفس ، أحسن بالفتى من العى والخرس .

وكان القول طال وتجاذب الناس فيه أطراف مطارف المباحث ، من بين مُجدِّ وعابث . إلا أني وجدت رجلين ^(١) هما معول الآخريين ومفزع الناقلين . فتوخيت تصحيح كتابيهما عما أتياه من قلة التأمل والتفكير ، والارتباك بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير . حتى تتجلى الحقائق في بردها القشيب ، وتستعيز الشباب عن المشيب

ولست أبخسهما حظهما من الإصابة ، ولا أغمطهما نعمتهما في الإثابة . فإني صادع بأنهما أحرزا قصبات الفضل ، وفازا من بين الأقران بالخصل . وأجادا وأفادا ، وأحسننا وزادا . إلا أنهم ما مع ما عانيا لم يسلموا من وهن البيان ، شأن الانسان الضعيف البنيان . ولست إلا كطليح أو كبار قصيص ، لا أقدر على النصيص أو القنيص . فلست أقدم كتابي هذا الى الخطأ والطلاب ، مدعيًا له البراءة من كل سوء وعاب . أو السلامة من الخطأ والخلل ، والزلل والخلل . فحسبي أن فيه بلغة للمستميح ، على زمن شحيح . وثقة لكبد حران ، ورشفة لغليل الظمان . والله المستعان ، وإليه المفزع وعليه التكلان .

لاهور : منتصف شعبان سنة ١٣٤٣ هـ

عبد العزيز الميمنى السراجكوتى

(١) د . س . مرجليوث في مقدمة ترجمة الرسائل - والدكتور طه حسين في ذكرى أبى العلاء

التعريف

بجمعية ﴿ دار المصنفين ﴾

في أعظم كرة - الهند

هذه جمعية علمية إسلامية خدمت العلوم الإسلامية منذ تأسيسها الى اليوم خدمة لا ينساها كل من في قلبه حبة من خردل من الإيمان . ألفت عشرات من الكتب النافعة الاصلاحية والدينية بالأوردية لسان مسلمى الهند . أسسها المصلح الشهير الشيخ شبلى النعماني المرحوم واستدرّها الأرزاق والمؤونات من أقبال الهند المسلمين فدرّت بما قد كفى وأوفى ، وخلف المرحوم ثلّة من تلامذته الانجاب يحتذون حذوه ، ويقتفون قفوه . يتولّى رئاستهم والقيام بأمورهم محرّر المعارف أشهر مجلات مسلمى الهند صاحبنا الصديق الحفي الشيخ السير - السمان المروى أنساً لله في عمره ، الذى تعرّف به أبناء البلاد العربية لزيارته لها رئيساً لوفد جمعية الخلافة الهندية المبعوث سنة ١٣٤٣ هـ . على أن لصديقى من الآثار الجميلة كتاب (أرض القرآن) وأربع مجلدات من (سيرة النبي ﷺ) التى بدأ بها استاذ المرحوم ولكن اخترمه مريب المنون قبل أن يُنجز عمله . ونية صديقنا أن يعرّب هذا الكتاب ويقيم بمصر مشرفاً على طبعه ونشره . ومن مطبوعات الجمعية العربية (تقد تاريخ التمدن الاسلامي) الذى قام بتلفيقه جورجى زيدان وقد طبع بمصر والهند مرارا - للشيخ شبلى المرحوم . و(ملاحظات) على محاضرات جويدى الايطالى وبسط على أرض الاسلام وجغرافيتها لصديقنا ستطبع .

و (تفسير أبي مسلم الاصفهاني) تنفه من تفسير الفخر ابن خطيب الرى
الشيخ سعيد الانصارى

وأجزاء من (جمهرة التفاسير) لعبد الحميد الفراهى طُبعت مُفَرَّزَةً .

إلى غيرها من الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة

ذكر الفتى عمره الثانى، وحاجته مآقاته، وفضول العيش أشغال

وانى أهنى الجمعية وأشكرها ورئيسها على نشر مثل هذا الكتاب مما

كسد سوقه فى هذه الديار

لازال شكرى لهما مواصلا لفظى أو يعتاقتى صرْفُ المنا .

غرة شعبان سنة ١٣٤٤ هـ

مؤلف هذا الكتاب

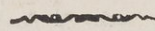
عبد العزيز الميمنى الراجكونى



فهرس

الاختصارات والطبعات المخصوصة

وأما المأخذ والمواد فهي أضعاف أضعافها



أبو الفداء - المختصر طبعة الحسينية مصر

ابن الوردي - تاريخه المطبوع بمصر سنة ١٢٨٥ هـ

(الف - با - لأبي الحجاج البلوي المعروف بابن الشيخ طبعة مصر
ابن الشيخ -

ابن عساكر - مختصر تاريخه مطبوع بدمشق سنة ١٣٣٢ هـ

الانساب - للسمعاني طبعة جيب

ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق له . بيروت ١٩٠٨ م

ابن القارح - رسالته من مجموعة رسائل البلغاء . مصر سنة ١٣٣١ هـ

ابن خلكان - انظر الوفيات

أدبا - معجم الادباء وهو إرشاد الأريب لياقوت

« ابن رشيق » - اسم مقدمتنا على كتابنا التف

ابن أبي الحديد - شرحه على نهج البلاغة مصر سنة ١٣٢٩ هـ

ابن الأثير - كامله . مصر سنة ١٣٠١ هـ

البدائع - بدائع البدائع للأزدي بهامش المعاهد مصر

البلدان - معجم البلدان لياقوت

البديعي - الصبح المنبي له بهامش شرح العكبري على ديوان المتنبي

مصر سنة ١٣٠٨ هـ

البغية - بغية الوعاة للسيوطي

البكري - معجم ما استعجم له كوتنكن سنة ١٨٧٧ م

التنوير - شرح السقط مصر سنة ١٣٠٣ هـ

التبريزي - شرح الحماسة له مصر ١٢٩٦ هـ

التسمة - تسمة اليتيمة نسخة باريس الخطية

التكملة - لابن الأبار طبعتا اسبانيا والجزائر

الجواهر - المضيئة في طبقات الحنفية حيدر آباد

خزانة الأدب - لابن حجة مصر

حياة الحيوان - للدميري مصر سنة ١٣١٩ هـ

خر - خريدة القصر للعماد نسخة ليدن الخطية

الدمية - دمية القصر للباخرزي نسخة كالكتة الخطية

ذهبي - تاريخ الاسلام - وانظر « ه »

ذ - ذكرى أبي العلاء مصر سنة ١٩١٤ م

ر - رسالة . الرسالة . رسائل . الرسائل . أي رسائل المعري

اكسفر د ١٨٩٨ م

رسالة ابن القارح - مجموعة رسائل البلغاء مصر سنة ١٣٣١ هـ

الرحالة الفارسي - سفرنامه له برلين سنة ١٣٤١ هـ

س - سقط الزند مع التنوير مصر سنة ١٣٠٤ هـ

السهيلي - الروض الأنف مصر

- السمعاني - أنظر الأَنساب
 الشافعية - طبقاتهم لابن السبكي مصر ١٣٠٤ هـ
 الشريشي - شرح مقامات الحريري له مصر ١٣١٤ هـ
 شفاء العليل - مصر سنة ١٣٢٥ هـ
 الصبح المنبي - انظر البديعي
 ص - الصفحة
 الضرام - ضرام السقط لصدر الافاضل الخوارزمي
 العدل - العدل والتحرى لابن العديم
 الغيث - المسجّم للصفدي مصر ١٣٠٥ هـ
 الغفران - طبعة أمين هندية
 الفوات - فوات الوفيات للكتبي بولاق ١٢٩٩ هـ
 فهرست - ابن الخير الاشبيلي طبعة اسبانيا
 الكمال ابن الأَنباري - انظر النزهة
 ك - كشف الظنون
 الكامل - انظر ابن الأثير
 ل - لزوم ما يلزم للمعري مصر ١٣٣٣ هـ
 اللسان - لسان الميزان لابن حجر حيدر آباد
 معا . المعاهد - معاهد التنصيص مصر ١٣١٦ هـ وترجمته مختلصة من الوافي
 للصفدي . ثم اني رأيت من الوافي نسخة وتقلت منه بعض
 أبيات -

مل - الملكة رسالتهم للمعري

مرجليوث - مقدمة ترجمة رسائل المعري ١ كسford ١٨٩٨ م

النسب - هو الانساب للسمعاني

نهاية الأرب من أنساب العرب للقلقشندی بغداد ١٣٣٢ هـ

النوري - نهاية الأرب له

النزهة - نزهة الألباء للكمال ابن الأنباري مصر سنة ١٢٩٨ هـ

النفح - نفح الطيب للمقرئ مصر وليدن

النكت - نكت الهميان للصفدي مصر ١٣٢٩ هـ

الوفيات - وفیات الاعيان لابن خلّكان مصر ١٣١٠ هـ

هـ. وذهبي - تاريخ الاسلام له - والمراد ترجمة المعري منه المطبوع مع

الرسائل با كسفر ١٨٩٨ م

ی - ياقوت والمراد على العموم معجم الأدباء له

اليافعي - مرآة الجنان له حيدر آباد

إلى غيرها من كثير من الخطيّات والمطبوعات وصفها في مظانها



أَبُو الْعَمَلَاءِ وَمَا إِلَيْهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة



مَعْرَِّةُ النِّعْمَانِ

﴿ لفظها وموقعها ووصفها ﴾

فيا برق^(١) ليس الكرخ دارى وإنما رماني إليها الدهر منذ ليالٍ
فهل فيك من ماء المعرة قطرة ؟ تغيث بها ظمآن ليس بسالٍ
أشهر الأقال التي ذكرها ياقوت أن المعرة الشدة والجنابة كجنايه العرّ
وهو الجرب وكل عيب ، وإلى هذا المعنى نظر صاحبنا في قوله - ل :

يعترنا لفظ المعرة أمها من العرّ قوم في العلى غرباء

هذا هو المعروف في القوم إذ جهلوا أصلها - وولع أبناء العصر في
إرجاعها إلى أصول اختلقوها وحدّسات لفقوها مما لا برهان لهم عليه^(٢) -

قالوا والنعمان هو ابن بشير الانصاري اجتاز بها واليا على حمص من قبل

(١) س ٢ : ٤٣

(٢) فزعم مرجليوث أنه في السريانية معرّتا ويشابهها من العربية لفظا ومعنى المغارة وقال صاحب ذ ان هذه القرية قد عرفت عند الاراميين ايضا بهذا الاسم ثم استبعد وجود التشديد فابعد من قبله رأيا آخر وهو أن الاصل معرس النعمان من التعريس وقتل عن نوادر ابى زيد ابدال التاء من السين في الرجز المعروف - وذهب عليه أنه ابتلى ببليتين اذ بلى مرجليوث بواحدة - وهما ابدال الضمة بالفتحة والسين بالتاء - ولسنا نجزم بشئ ولا نحدس به رجاء بالنيب كما انهما ايضا لم يجزما

عروان فمات له بها ولد فسُميت به وكانت قبلُ تدعى معرة حمص كما قال البلاذري ^(١) - واستضعف ياقوت هذا السبب وظن أن النعمان هو الساطع الجلال وانظره في عمود النسب . وقال ابن بطوطة ^(٢) ان النعمان اسم جبل مُطلٌ على المعرة وقال - كابن العديم في العُدل والتحرّي - إنها كانت تدعى في القديم ذات القصور . وقال غيره ^(٣) عُرفت في زمن الرومان باسم خاليس .

والمعروف في النسبة اليها معرى . ونقل السمعاني ^(٤) عن أبي النصر الرامشي أن النسبة الصحيحة إليها معرّميّ وإلى معرة مَسْرِين معرّميّ . قال أبو سعد غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك . والمعري مطلقاً يراد به المنسوب إلى معرة النعمان هذه . ومعرة مصرين بليدة من أعمال حلب بينهما نحو من خمسة فراسخ .

← ومعرة النعمان كما قال ياقوت وغيره مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . أقول وكانت من ثغور الشام التي تسمى العواصم سمّاها بها هارون الرشيد لعصمتها ما دونها من بلاد الاسلام من العدو . وقصبتها أنطاكية كما قال ابن حوقل قال وعدّ ابن خرداذبه ^(٥) العواصم فكثرتها وجعل منها كورة منبج وشيزر وأفامية وإقليم معرة النعمان وكفر طاب .

(١) فتوحه مصر ١٣٨ ونقل سلمون هذا القول ولم يمهز الى مأخذ فنمى عليه صاحب ذ أنه لفق هذا القول أي ان معرة النعمان كانت تدعى قبل الفتح معرة حمص فيستنتج منه انها كانت تابعة لها - من عند نفسه بلا دليل - أقول وقد عرفت أنه كان مصيباً وأن الخطأ من صاحب ذ نفسه -

(٢) المشرق ٨ : ٩٢٠

(٣) هو اسماعيل بك رأفت ذ ١٢٤

(٤) أنسابه ورقة ٥٣٦ وفي تقويم أبي الفداء باريس ص ٢٦٥ عنه نسرين ومعرّمي -

والمعروف مصرين -

(٥) أقول وكذا ابن الفقيه في بلدانه ص ١١١ غير انه اغفل ذكر المعرة في عدادها

وَسَلْمِيَّةَ وَلُبْنَانَ إِلَى غَيْرِهَا - وَكَانَتْ الْمَعْرَةُ تُعَدُّ مِنْهَا قَبْلَ عَهْدِ صَاحِبِنَا وَفِيهِ وَبَعْدَهُ
بِكَثِيرٍ إِلَى زَمَنِ أَبِي الْفَدَاءِ صَاحِبِ حِمَاةٍ . وَكَانَتْ الْعَوَاصِمُ مَمَالِكَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ كَمَا
قَالَ الْمُتَنَبِّي :
وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ

وَوَرِثَهَا أَبْنَاؤُهُ . وَقَالَ صَاحِبِنَا فِي حَفِيدِهِ سَعِيدِ الدَّوْلَةِ ^(١) سَنَةَ ٣٩٠ هـ :

وَلَكِنْ بِالْعَوَاصِمِ مِنْ عَدَى أَمِيرٍ لَا يَكْلَفُنَا السُّؤَالَ

وَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْحَنِينِ إِلَيْهَا فِي شَعْرِهِ فَهْنَهُ ثُمَّ مِنْ مَسْ :

هَذِي الْعَوَاصِمُ فَاسْأَلِينَا مَا بَهَا وَذُرِّي مَا رَبَّ مِنْ زُرُودٍ وَرَا كَسْ

تَذَكَّرْنَ مِنْ مَاءِ الْعَوَاصِمِ شَرِبَةً وَزُرُقِ الْعَوَالِي دُونَ زُرُقِ جِجَامِهِ

مَتَى سَأَلْتُ بَغْدَادُ عَنْ أَهْلِهَا فَأَنِّي عَنْ أَرْضِ الْعَوَاصِمِ سَأَلْتُ

نَدِمْتُ عَلَى أَرْضِ الْعَوَاصِمِ بَعْدَمَا غَدَوْتُ بِهَا فِي السُّوْمِ غَيْرَ مُغَالٍ

وَوَرَدَ ذِكْرُهَا فِي اللُّزُومِ ^(٢) أَيْضًا :

وَكَانَتْ فَخِيمَ الْفَتْنَةِ فِيمَا بَيْنَ الْحُرُوبِ وَالْهُدْنَةِ تَارَةً بِأَيْدِي غُلُوجِ الرُّومِ وَأُخْرَى

لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا دَوْلَةٌ وَجَوْلَةٌ ، وَسُورَةٌ وَصَوْلَةٌ . كَمَا وَصَفَهَا فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ

نَثِيرِهِ وَنِظَامِهِ . فَهَآكَ جُمْلَةٌ مِنْ كَلَامِهِ :

كُتِبَ ^(٣) إِلَى عَبْدِ السَّلَامِ الْبَصْرِيِّ « وَمُسْتَقَرِّي مَعْرِةِ النِّعْمَانِ - وَالْفَتْنَةِ

عِنْدَنَا صَمَاءٌ ، طَعَانُ بِالْمُرَّانِ وَرَمَاءٌ . إِنَّمَا يَجِيءُ الصَّيْفُ ، وَقَدْ سُلَّ السَّيْفُ . وَلَوْ

قَدَّرْتُ لَمْ أَقْدَحْ إِلَّا بِمَرْخٍ ^(٤) ، وَلَا سَكَنْتُ بِلْدَا غَيْرِ الْكَرْخِ » . وَمِنْ ل :

(١) كَمَا جَاءَ فِي عِنْوَانِ نَسْخَةِ السَّقَطِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بَارِيسِ

(٢) ١٧٦ : ٢ (٣) ر ص ٤٦ -

(٤) وَالْمَرْخُ يَكْثُرُ بِنَجْدٍ وَمَا وَالِهَا وَلَعَلَّهُ كَانَ يَجْلِبُ مِنْهَا إِلَى الْكَرْخِ أَوْ يَنْبَتُ فِيهَا أَيْضًا

قَالَ عَاصِمُ الْأَنْدَلُسِيِّ اسْتِذَاذُ ابْنِ السَّيِّدِ فِي شَرْحِ شَعْرِ أَمْرِيهِ الْقَيْسِ تَحْتَ قَوْلِهِ :

أَمْرُخُ خِيَالَهُمْ أَمْ عَشْرُ أَمِ الْقَلْبِ فِي أَثَرِهِمْ مَنْحَدَرُ

الْمَرْخُ نَبَاتٌ بِنَجْدٍ وَالْعَشْرُ بِالْغَوْرِ - وَالْأَعْرَابُ يَعْمَلُونَ بِيُوتِهِمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي يَنْزِلُونَهَا
غَارَادُ أَوْ أَنْجَدُوا أَمْ غَارُوا أَمْ لَمْ يَنْزِلُوا

والشأم فيه وقود الحرب مشتعل يشبه القوم شدت منهم الحجز
 لاشأم للسلطان إلا أن يرى نعم البداوة كالنعام الطارد
 إلى آخر الثمانية الأبيات .
 الفنا بلاد الشام إلف ولادة نالقي بها سود الخطوب وحرها
 وجميع قطانها على - ماسيائي - من تنوخ .

والمعرة كما قال ابن حوقل ^(١) مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفسق
 وما شاكل ذلك من الكروم . وقال ناصر خسرو العلوي وكان زارها في
 حياة أبي العلاء سنة ٤٣٨ ^(٢) في رحلته ما ترجمته : ثم وصلنا إلى معرة النعمان وكان
 بها حصن من الحجارة وكانت البلدة عامرة . ورأيت على بابها أسطوانة من
 الحجر كتب عليها شيء بخط غير العربية فسألت عنه بعضهم فقال إنه طلسم ^(٣)
 للعقرب فإنها لا تدخل فيها وإن أتوا بها إليها من الخارج فلا تقربها بل تفر .
 ويكون ارتفاع الاسطوانة نحو عشر أذرع . ورأيت أسواقها غاصة . وجامعها
 على نشز من الأرض في وسط البلدة حتى يأتيه الرجال ويدخلوا من أي جهة
 شاؤوا . وله ثلاث عشرة درجة يرتقى منها . وزراعة أهلها الخنطة وتكثر بها
 وشجر التين والزيتون والفسق واللوز والعنب كثيرة بها . وماؤها من الآبار

(١) ص ١١٨ -

(٢) لا سنة ثمان وعشرين وأربعمائة كما كررها صاحب ذفي ص ١٢٣ فهذا الوهم إما أن
 يكون منه أو من مترجم الرحلة بالفرنسية فإن صاحب ذ يرجع إلى الترجمة كما قال . ونحن ترجمنا
 الفصل من أصل سفرنا من (الرحلة) المطبوعة ببرلين سنة ١٣٤١ هـ ص ١٥ -

(٣) قال ابن فضل الله في المسالك إن بمدينة حصن قبة يزعم أهل المدينة أنها تدود عنهم
 المقارب وأنك لو وضعت عليها قطعة من الطين حتى تجف ثم تنقلها إلى بيت في غير حصن
 لما دخلته المقارب وعندي أن مصدر هذا طبيعة الأرض - ذ ١٢٤ ويصدق الرحالة في أمر
 الاسطوانة مارواه ابن الشحنة في تاريخه ص ١٣٠ عن ابن العديم ولفظه ان العمود القائم
 بالمعرة هو طلسم للحيات -

والأقطار اه . وفي رحلة ابن جبير ^(١) « وهي سواد كلها بشجر الزيتون
والتين والفستق وأنواع الفواكه . ويتصل التفاف بساكنيها وانتظام قراها
مسيرة يومين وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقا » . ولابن الوردي
المعري في وصف أعمالها وذكر منتزهاتها كل شعر مرقص مطرب ^(٢) في
ديوانه وذكر من متفرجاتها عين زريق ووادي فضالة وعين معراثا والبيدرين
وجريا ومشهد يوشع عليه السلام ودير سمعان الذي به قبر عمر بن عبد العزيز
(رحمه الله) وماء الهرماس ^(٣) ووادي المعرة ودير ييرة دادخين وغيرها ومن
شعره فيها :

كم راغب في الراهبات لأنها	بيض مزنة الخصور بكور
المائلات كأنهن ذوايل	المشرقات كأنهن بدور
حور يصرن إلى جهنم في غد	عجبي لمن أفي جهنم حور
أرجاؤه محبوبه ، وسفوحه	مطلوبة ، وبهاؤه موتور
لله كم مرّت لساكنه به	من ليلة ماشاها تكدير
أيام أغصان الزمان وريقة	والعيش غض والشباب غريز
والحادثات غوافل عن أهله	والجن مما لا يحب قرير

إلى آخره وهو طويل . ومن شعره أيضا :

رعى الله عيشا بالمعرة لى مضى
حكاه ابتسام البرق اذ هو أومضا

(١) ٢٥٤ ليدن -

(٢) انظر ديوانه ص ٢٤٧ و ٢٦٢ و ٣٢١ -

(٣) قال ابن أبي حصينة :

يا صاحبي سقى منازل جلق غيث يروى ممحلات طساسها
من لى برد شيبية قضيتها فيها وفي خمس وفي عرناساها
وزمان هو بالمعرة موقى بسياها وبجاني هرماسها
وفي ديوان ابن الوردي سباب بالوحدة - والقصيدة يوجد كلها في تاريخه ٢ : ٢٠٨ -

فما المنحني ما البان ما السفح ما النقا وما رامة عند المعرة ما الغضا
 فوالله لا فضلت في الأرض بقعة عليها سوى ما فضل الله وارتضى
 منازل كانت مرتعى زمن الصبا فأبعدني المقدور عنها وأهضا
 مراتع آرام مراع جيرة مراتع غزلان معاهد ترتضى
 فله هاتيك الربى وسفوحها ولله عمر في سواها لى انقضى
 وما عن رضى كانت سواها بديلة لها غير أن الدهر مازال مدهضا
 وفستقها مما أهداه صاحبنا إلى بعض الإخوان وسماه غيظ الجيران ووصفه
 بالهضم والغض على جارى عادته في كل ما يعزى اليه ولفظه ^(١) « وفي هذا
 البلد فستق ردى يسمى غيظ الجيران . ومعنى هذا الكلام انه اذا كسر ظن
 جيران السوء أنه ملآن فحسدوا عليه وهم لا يعلمون أنه فارغ . وقد وجهت
 شيئاً منه ليعبث به أتباعه » اهـ . وفي فستقها يقول ابن الوردى :

فستقها عندى ابتسام ثغوره يضاحك برقاً قد أضاء بذى الأضا
 وقال الإصطخرى ^(٢) : هى وما حوالها من القرى أعداء ^(٣) ليس بجميع
 نواحيها ماء جار ولا عين اهـ وهذا القول يضاد بعضه ما مر من سرد أسماء المنازه
 غير أن المؤرخين مجمعون على أن ليس بالمعرة نهر جار ولا عين وأما نواحيها
 ففيها عدة من العيون ، وهذه صفتها لصاحبنا ^(٤) وليكن منك على ذكر ^(٥)
 أن الكتاب إلى أمير فالمقام مقام التنقيص لا التثويه على ماضى من عادته في
 هضم النفس وكل شيء له به علاقة ما « وهذه جمل من صفة المعرة هى ضد
 ما قال الله عز وجل مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية

(١) ر ص ٩١ - (٢) ٦١ -

(٣) جمع عدى كل زرع لا يسقيه الا المطر (٤) ر ص ٥٥ -

(٥) اذ افتر بوصفه هذا مرجليوث فزعم انه يضاد ما وصفه الرحالون جهلاً منه بإعادة
 المشاركة في الغض والهضم من شأن كل ما يتعلق به

اسمها طيرة ، وعند الله ترجى الخيره . المورّد بها محتبس ، وظاهر ترابها في الصيف يابس . ليس لها ماء جار . ولا تغرس بها غرائب الأشجار . وإذا أبرز لأهلها ذبج ، يؤمل به لديهم الربح . تحسبه صُبغ بخطر . فكأنما يرمق به هلال الفطر . وقد يجيئها وقت يكون فيها جدوى المعز في العزة كجدي الفرقد ، ومثل حمل اللواكب حمل النقّد . ويكر فقيرها على الهداية ، قبل أبي الفرخين ابن داية . حتى يقف ببائع الرسل فكأنما وقف برضوان ، يستوهبه ماء الحيوان . فإن سبقه ضياء الفجر فإنه يرجع خائباً إلى آخر الرقعة . قوله إذا أبرز لأهلها الذبج : يعضده ما ثقله القفطى ^(١) من أن أهل المعرة كانوا يوصفون بالبخل أيام أبي العلاء وأنه كان يضيق بذلك لكثرة الوافدين عليه من الطلاب وقلة ما كان يملك من المنقة عليهم . وفي الأغاني ^(٢) أن البحترى لما عرض على أبي تمام شعره بحمص وشكا اليه خدمته كتب له إلى أهل معرة النعمان وشهد له بالحدق فمدحهم فأكرموه ووظفوا له أربعة آلاف درهم . وهذا ^(٣) لا يُنافى ما مرّ لتباين العصرين وقد عانت المعرة ^(٤) في عصر صاحبنا من النكبات المجحفة مالا خفاء به .

ولم تزل بأيدي المسلمين ^(٥) حتى أخذها منهم الفرنج سنة ٤٩٢ هـ وقتلوا نحو مائة ألف إنسان وسبوا كما قال ابن الوردي ^(٦) وبقيت بأيديهم إلى أن فتحها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٩ هـ .

(١) ذ ١٢٢ ونقله الذهبي أيضاً ١٣٠

(٢) ١٨ : ١٦٩ الطبعة الثانية والوفيات ٢ : ١٧٥ . لا ألف درهم كما قال مرجليوث

(٣) كما نقل صاحب ذ عن مرجليوث ١٢٣ وأظنه أخطأ في فهم كلام مرجليوث من عدم معرفته بالانكليزية

(٤) وفي غصب قاضي المعرة وديعة لتاجر خبر طريف وشعر طريف أورده صاحب غر الخصاص ٥٨

(٥) الوفيات ١ : ٣٥ (٦) تاريخه ٢ : ١٠

وأما وصفها الآن^(١) فهي مدينة من أعمال ولاية حلب وأهلها نحو ستة آلاف نفس ومن مبانيها خان جميل شيدّه مراد المعروف بالجلبي منديف وثلاثمائة سنة وبازائه خان آخر بناه سنان باشا وقلعة^(٢) متخرّبة من عهد الصليبيين تعرف بقلعة النعمان . والبساتين المكتنفة لا تزال باقية وإن قل التفافها وسعتها مما كانت عليه في عهد ابن جبير . وهي قديمة سبقت عهد الاسلام كما يدلّ عليه قبور عادية وجدت حديثا في ربضها وآثار طامسة ترى في جهاتها وتقود رومانية اكتشفت في ردمها ، ومنها ما يرتقى إلى القرن الثالث للمسيح . وأما جامعها الذي تطلّهُ في ضفة ضخمة قائمة على ثمانى أساطين ففيه قسم قديم صبر على كرّ الحداث من ذلك منارته البديعة الهندسة^(٣) وقسم آخر كانت الزلازل أسقطته فجدد بناءه أبو الفداء وقد وضع بعض أهل العصر^(٤) تاريخا للمعرة لم يُطبع .

نهباء أهلها

كانت على صغرهما تضاهي أعظم المدُن ، وكان صيتها في كل صقع يحترق الأذن . وتدبّرهما كثير من العائلات النبيهة والرجالات الوجيهة . وكان فضلاؤها ينتجعون ريف مصر وسواد العراق ، فيفوزون بأفضل الوظائف وأسنى الاعلاق . فمنهم أبو القاسم على بن الحسن بن علي بن جكبات كان عضد الدولة استعمله على

(١) جمعنا بين رواية الاستاذ رأفت بك على ما في ذ ١٢٤ ووصف لويس شيخو في المشرق ٨ : ٩٢٠ و ٩٢١ - وكان زارها بنفسه

(٢) وفيها يقول ابن الوردي :

وقلعتها عندي وان بان أهلها كأطول من سهدي عليها وأعراسها

(٣) قال شيخو انها من بناء عمر بن الخطاب ولعل القائل أراد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وذكر شيخو ممن لقيهم بها مفتيها سعدي أفندي - والشيخ محمد رمضان الذي خلف أباه في التدريس لم يلقه ولكن وصف له

(٤) وهو الاستاذ السيد سليم الجندي . مجلة المجمع الدمشقي سنة ١٣٣٩ هـ ص ٣٥٩

بغداد في أيامه . وقال صاحبنا (١) بحبيبه :

بنو الجلبات الباعثون من الندى سراياه والغازون وَسَطَ لُهامه

ولولا سعيدٌ بات ندمان كوكب يُريق له في الارض شَطْرَ مُدامه
وكانت بقايا نعمة عَضْدِيَّة تَرُدُّ إلى الزوراء بعضَ اهتمامه
وذامته أفناء العراق وإنما ترحله عنهنَّ أكبر ذامه

ووصفه الثعالبي (٢) بقوله «أحد أفراد الدهر في الشعر وكنت أنشدت له لمعا
أوردتها في النسخة الأولى . ثم وقع إلى من شعره الصحيح قصائد في الخليفة
القادر بالله والوزير أبي نصر سابور بن أردشير فأخرجتُ غُرَرَهَا وهي سوى
ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور وإذا سُقتُ ذلك
أكرر ذكر ابن جلبات (٣) في جملتهم . ومن أهل العواصم صدقة بن يوسف
الفلاحى الذى أرسل من مصر صُحبةً إلى الشام (٤) منتجب الدولة أنوشتكين
ناظرا في الأموال ونفقة الرجال بعد أن كان قبلُ خَصِيصا بعزیز الدولة الرومى
وكان صدقة طلب أبا العلاء إلى حضرة عزيز الدولة على ما يأتى كاه في محلة . ثم
إنه ارتفعت به الحال إلى أن صار بعد وفاة الجرّجرائى وزيرا للمستنصر الفاطمى
سنة ٤٤٠ هـ وفيها قتل .

وأما بنو سليمان فإن جُلهم تولّى قضاء المعرة كما سيأتى . وقال ابن القلانسى
« في سنة ٤٨٩ هـ توفى أبو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى عليها .

(١) س ١ : ١٠٢ وعده الباخريزى في المعريين فيما أذكر

(٢) اليقظة ٢ : ٢٧٠

(٣) لم يكرره في هذه النسخة المطبوعة بدمشق . وورد كثير من شعره في سابور في
النخبة الناصرية المطبوع بایران . وتصحف فيه بابن جلباب

(٤) تاريخ ابن القلانسى ٧٣ . لا منتجب الدولة كما قد تصحف على مرجليوث ٤٤٣١

وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة اه وهذا صريح في أنه تغلب عليها بعد وفاة صاحبنا وانظر وادعائي الشجرة وكان القاضي أبو اليسر^(١) شاكر كاتب الانشاء لنور الدين محمود بن زنكي ثم استعفى فخلفه العماد الاصفهاني . وفي غير بنى سليمان - ممن كان قبل أبي العلاء أو في عصره أو بعده - كثرة . وقد أتى على جُلهم العماد في الخريدة^(٢)

فمنهم بنو أبي حصين ويجمعون مع بنى سليمان في داود بن المطهر وعدد منهم العماد عشرة . وذكرهم السمعاني في الانساب^(٣) أيضاً . منهم أبو الرضى عبد الواحد ، ورثى صاحبنا على ما يأتي .

وبنو المهنّا وهم نيف وعشرون عند العماد . ومنهم القاضي عبد القاهر بن المهنّا أبو محمد كمال الدين التنوخي المعري المعروف بنحصى البغل ذكر الازدي^(٤) خبراً في ارتجاله شعراً

وبنو الدؤيدة وفيهم كثرة . ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن الدؤيدة ذكره العماد وياقوت^(٥) .

وبنو عبد اللطيف . ذكر منهم العماد ستة وأغفل أبا المجد^(٦) مرشد بن على بن عبد اللطيف المعري المتوفى سنة ٥٥٣ هـ .

(١) هو صاحب الحكايات الآتية ذكره العماد وياقوت ١ : ١٦٦ لا أبو النصر كما

تصحيف على مرجليوث

(٢) انظره في فهرست خزانة ليدن ٢ : ٢٦٦

(٣) ورق ٥٣٦ اليسرى - ومنهم أبو غانم له في المرقصات ص ٥٠ أبيات ثلاثة

(٤) بدائمه البدائه ٢ : ٤٧

(٥) ٢ : ١٩٥ وورد اسمه مصحفاً وكذا في المرقصات ٤٦

(٦) وذكره ابن القلانسي ٣٥٤ قال وكان من الرجال الاشداء الكفاة فيما كان يستنهض

به في الايام الاتابكية وكذلك في الايام النورية وكان مع ذلك موصوفاً بالخيرية وسلامة الطبع مستمرأ في ذلك على منهاج أسرته

وذكر الثعالبي في بدء تنمة اليتيمة^(١) من شعرائها المعاصريه ولا بد أن يكونوا عاصروا صاحبنا أيضاً أبا الحسين أحمد بن محمد المعري وأبا الخير المفضل ابن سعيد بن عمرو المعري . وقيل^(٢) إن جعفر بن علي بن المهذب - الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س - من أهلها .

وشاعر المعرة على الإطلاق بعد صاحبنا الأمير أبو الفتح ابن أبي حصينة شاعر أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس ونصر بن صالح ، وولاه ممدوحه المعرة ، وراه ابن بطلان^(٣) المتطبب لما ورد حلب نحو سنة ٤٤٠ هـ بها . وهذا يدل على نبوغه في عصر صاحبنا . وله تأييد في صاحبنا جيدة تأتي . وتوفي في حدود سنة ٥٠٠ هـ - ترجم له ابن عساكر^(٤) والكتبي^(٥)

ومن أهلها ممن كان يُكنى أبا العلاء - على ما ذكر العماد - أبو العلاء ابن عبد الله بن المحسن المعري ، وأبو العلاء بن أبي الندى المعري وذكره أيضاً الصلاح في الغيث^(٦) وصاحب المغرب في المرقصات

وترجم ابن عساكر^(٧) للقاضي الحسن بن إسحاق بن بلبل المعري المحدث الرحلة ، ورشاً^(٨) بن نظيف بن ما شاء الله أبي الحسن القاريء سكن دمشق وهو معاصر لصاحبنا .

ومن أهلها المعروفين في الأداني بله الاقاصي أبو حفص عمر بن مظفر زين الدين ابن الوردي الشاعر الدين الفقيه صاحب المقامات والديوان والتاريخ وغيرها

(١) نسخة باريس الخطية ورأينا صورتها (٢) صاحب شرح المجاني ١٢٤٩

(٣) انظر البلدان رسم حلب (٤) مختصر تاريخه المطبوع ٤ : ٣٠٥

(٥) بولاق ١ : ١٢٢ ومن ديوانه نسخة باسكوريال . واوردا ابن الوردي في تاريخه

كثيراً من شعره (٦) ١٦٨ : ٢ - ص ٥٠

(٧) ٤ : ١٥٤ قال ورجل في طلب الحديث الى دمشق والمقدس والكوفة

(٨) ٥ : ٣٢١ وتبين كذب المفتري ١٤٤ هـ

وإنما أسهبنا^(١) لئلا يسبق الى وهم واهم^(٢) أن المعرة بُليدة أو قرية خاملة ، ليس لها من صيت في مجالس العلم الحافلة .

وأما وصفه لها فانه على عادته كما مرّ وها كه من الإغريضية^(٣) يخاطب الوزير أبا القاسم المغربيّ « وقد كنت عرّفتُ سيّدنا فيما سلف أن الأدب كعهود في غبّ عهود ، أروت النجاد فما ظنّك بالوُهود . واني نزلتُ من ذلك الغيث ببلد طسّم ، كأثر الوشم . منعه القراع ، من الامراع . يابؤس بني سدوس العدو حازب ، والكلأ عازب . ياخصب بني عبد المبدان ، ضأن في الحرْبُث وإبل في السعدان . فلما رأيتُ ذلك أتعبتُ الأظْل ، فلم أجد الا الحنظل . فليس في الليد ، الا الهبيد . جنيته من شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . لبنُ الإبل عن المزار مرّ ، وعن الأراك طيب حرّ . هذا مثلي في الأدب » اه . وقال ابن القارح^(٤) فيها وأنشد أربعة أبيات للبحري وهي :

إن أيامه من البيض بيض	مارأين المفارق السود سودا
وإذا المَحَلّ ثار ثاروا غيوثا	وإذا النقع ثار ثاروا أسودا
يحسُن الذ كر عندهم والأحادي	ث اذا حدث الحديد الحديد
بلدة تُنبِتُ المعالي فما يث	غُرُ الطفل فيهم أن يسودا

(١) وشعيب بن محمد المعري ترجم له في الفوات ١ : ١٨٧ والسابق المعري المتوفى بعد ٥٠٠ هـ تلميذ التبزي الفوات ٢ : ١٩٩ والمرقصات ص ٤٦ . وابن شقير الاديب الشاعر وأخوه المحدث نصر الله الفوات ٢ : ٢٢٩ وابن عوض المعري المرقصات ٥٥

(٢) كما ذهب على مرجليوث حيث زعم أن ما يوجد من اخبار شعرائها في كتب التراجم أقل قليل نظرا الى اهميتها من جهة السياسة

(٣) ر ١٩ وصبح الاعشى ١٤ : ١٩٠ وساق الاغريضية بتمامها ونسختها اصح واصح مما في الرسائل - والبيد العدل والهبيد الحنظل والحربث نبات طيب الرائحة

(٤) رسالته ٢٠٤

وهذه صفة المعرفة به أدام الله تأييده لا خلت منه ومن النعمة عليه وعنده
فقد وجدت أهلها معترفين بعوارفه . اهـ

أبو العلاء المعري

﴿ اسمه ، وكنيته ، وسياق نسبه ﴾

دُعيتَ أبا العلاء وذاك مِينٌ ولكنَّ الصحيحَ أبو النزول
سألتُكم لا تكنوني لتكرمة وصغروني تصغيراً بترخيم
وما ألومك في خفزي ومنقضي لكن ألومك في رفعي وتفخيمي
وأحمد سَماني كبيرٍ وقَلَمًا فعلتُ سوى ما أَسْتَحِقُّ به الذمَّ

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان
(وسليمان ثلاث مرات ^(١) على مافي الخريدة) بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة
ابن الحرث بن ربيعة بن أنور ^(٢) بن أسحم بن أرقم بن النعمان الساطع الجمال
ابن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح (بالموحدة المفتوحة كأمير) بن
خزيمة بن تميم اللات (هو تيم الله وهو تنوخ أيضاً) ابن اسد بن وبرة بن
تغاب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعري
وكنيته أبو العلاء بالفتح والمد إلا أن الناس كانوا ينطقون بها مقصورة في
عصره كما قال ل.

والإلف هان له أمري فقصرني كما تهون على ذي المنطق الالف

(١) انظر عمود بني سليمان

(٢) كذا في الوفيات والسماعين والعيني ١ : ٤٤٠ وفي البلدان والجواهر ١ : ١٩٦
والخريدة أنور بن أرقم بن أسحم وفي النكت والادباء أرقم بن أنور بن أسحم - وهذا
عجب من اختلاف الأقوال - وقد تمدد قول ياقوت في كتابيه وهو أعجب . ولم يتمكن من
رد السياق الى أصله وكم في الانساب من مثله

وقد شنع على أبي الحسين النكبي البصري وهو من أصدقاء شيوخه في تسميته إياه محمداً بدل أحمد وأبا العلى موضع أبي العلاء تشبيهاً يشوبه هزل وأطال ، وشمر أردانه للجدال والنضال . مع أن الرجل كان يستحق العذر من جهة أن صنيعه هذا كان في الشعر ولم يكن لقيه في الدهر إلا مرة أو مرتين . فقال ووصف شعره بالخلو عن الزخافات والعلل وضرورات الشعر والقافية بأسرها في عدة صفحات :

فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه : أما السمة فغيرها وأما الكنية فقصرها فانا لله وانا اليه راجعون . هذا أمر من أمر الله ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء الخط لمن خطب والاتفاق الردي لمن سمي وذكر . ولا يقل سيدي الشيخ - أدام الله عزه - قد قصرت الشعراء قديمها ومولدها وأولها السالف وآخرها وفصيحا الطبعي ومتكلفها - فانه لو كان استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجة ، ولكنه ألغى الضرورات بأسرها ورفض العيوب فلم يستعملها . وإنما تغوشت من ذلك لاني قصير الهمة قصير اليد مقصور النظر أي مكفوف مقصور في البيت أي لازم له . فما كفاني ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف اليه قصر الاسم اه

﴿ قضاة ﴾

﴿ أمن عدنان هي ، أم من قحطان ؟ ﴾

قال ابن اسحاق ^(١) كان قضاة بكر معد الذي به يسكن فيما يزعمون قال ابن هشام قتالت اليمن وقضاة قضاة بن مالك بن حمير ، وقال

(١) السيرة مع الروض ١٧: ١

السهيلي (١) أكثر النساء يذهبون إلى أن قضاة هو ابن معدّ وهو مذهب الزبيرين وابن هشام ثم روى فيه حديثاً مرفوعاً معارضاً له بآخر مرفوع مثله وأنشد رجز عمرو بن مرة الصحابي الآتي [قال ذو الحسبين (٢) قال الزبير: الشعر لأفلح بن العيوب] وأنشد ابن قتيبة في الميسر له (٣) للكيت في قضاة وتحولها إلى اليمن على ماسيائي وأدعائها إليها وهي من نزار (٤) في قول بعضهم:

فمهلاً يا قضاة فلا تكوني منيحاً في قداح يدَيَّ جميل

قال: يريد لا تكوني هناك غريبة كهذا المنيح في هذه القداح ولكن أرجعني إلى نسبك في نزار (٥) اه. ومثله قول جميل:

أنا جميل في السنام من معدّ في الذروة الحصداء والركن الأشدّ
وذكر ابن عساكر (٦) ونشوان الحميري (٧) أنها نسبت أيام معاوية وابنه يزيد إلى معدّ فانهما بذلا لرؤسائهم أموالاً جسيمة على التعدد والانتفاء من التيمن فساعدهما إلى ذلك بعض رؤسائهم فلما بلغ ذلك قضاة غضبوا وأنكروا فحشدوا واجتمعوا في مسجد دمشق يوم الجمعة على يزيد وهم يرتجزون ويقولون:

يا أيها الداعي أدعنا وأبشر نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر

قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المنكر

من قال قولاً غير ذا تنصّر

(١) الروض ١: ١٥ - ومنهم ابن عبد البر النهاية للقلقشندي ٣٤ والبكري معجمه ص ١٣

(٢) وذو النسبين أيضاً وهو الحافظ أبو الخطاب ابن دحية اللندلي

(٣) ص ٧٢

(٤) كذا في الموضعين. والظاهر أنه ليس من تصحيف الناسخ فله كقول صاحبته

التنصير كما سيأتي. لأن قبائل معدّ انما تشعبت من نزار ثم من مضر - فيريدون بمضر ونزار معداً والظاهر أن قضاة على هذا يكون ابن معدّ اخ نزار وهم مضر

(٥) ٣٩٢: ٥

(٦) مختصر شمس العلوم ص ٨٦

أي دخل في النصارى ، فالحقهم يزيد باليمن . وكان معاوية أطعم عمرو بن مرة خراج العراقيين في ذلك فانكر وأنشد شعراً منه :

قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة خندف بن زرار
أنبيع والدنا الذي ندعى له بأبي معاشر عائب مبروار

قال نشوان^(١) هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . قال السهيلي^(٢) ولما تعارض القولان في قضاة وتكافأت الحجاج نظرنا فإذا الزبير النسابة ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة مالك بن حمير^(٣) واسمها عكبرة آمت منه وهي ترضع قضاة فتزوجها معد وتبناه وتكنى به ويقال بل ولدته على فراشه فنسب اليه وهو قول الزبير . وقضاة كما في العين كلب الماء [واسمه عمرو^(٤)] . اه قال المبرد في الكتاب الكامل^(٥) ومن زعم أن قضاة من بني مالك بن حمير - وهو الحق - قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء إنما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسمعيل . أقول ومهما كان فإن قضاة لا تعترف لهم بهذا ولا ذاك وتندد بالإنكار ، والقول في ذلك قولهم فهم أعرف بأيهم . وأما صاحبنا فإنه على قوله بالاختلاط في الانساب^(٥) كما نبحت عنه فيما بعد يشير

(١) ومثله عند القلقشندي في نهاية الارب من انساب العرب طبع بغداد ص ٣٢٤

(٢) هذا لا يتأتى على صحة قوله نشوان والقلقشندي في سياق نسب قضاة

(٣) وكذا عند البكري ١٣

(٤) مصر ١ : ٢٢٣ ولبسيك ٢٦٥

(٥) ومن قوله في ذلك - ل :

وأفسد جوهر الاحساب أشب كما اختلطت من الخيل العرب

إلى أن المدّعين منهم إلى معدّ راغبون ليس إلا حيث يقول . ل :

ولقد علمتُ فما التّمضّرُ نافعِي أي سأَتبع نَيْسَبًا لَا بَنِي سَبَا

وهما حمير وكهلان والنَيْسَبُ الطريق الواضح . وليُعْلَمُ أن المراد بالتمضّر هنا التّعدّد .

﴿ تَنُوخٌ وَجَلَاؤُهَا إِلَى الْعَوَاصِمِ ﴾

قال السمعاني^(١) هو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر وأقاموا هناك فسُمُّوا تَنُوخًا وَالتَّنُوخُ الإِقَامَةُ ، وجماعة منهم نزلت معرة النعمان (وكذا قال يعقوبي في بلدانه^(٢)) . وذكر البكري^(٣) أن قضاعة بن معد ورث من أبيه جدّة وسكن بها أولاده إلى أن قال خَزَاعِيٌّ في امرأة من ربيعة بن نزار شعراً وكان يتعشّقها فتفارق الأمر وبما الشرّ فاجتمعت نزار على قضاعة وقهروهم فظعنوا مُنْجِدِينَ فسارت تيم اللات بن أسد من قضاعة مع قبائل نحو البحرين حتى وردوا هَجَرَ ولكن أُجِلُّوا منها أيضاً . ولما نزلوها قالوا للزرقاء بنت زهير الكاهنة : ما تقولين ؟ قالت : سَعَفَ وَأَمَانَ ، وتمر وألبان ، خير من الهوان . ثم أنشأت تقول :

وَدَّعْ تِهَامَةً لَا وَدَاعَ مُخَالِقِ بِذِمَامَةٍ لَكِنْ قَلِيٌّ وَمَلَامِ

لَا تَتْرُكُنْ هَجَرَ مَقَامَ غَرِيْبَةٍ أَنْ تَعْدِمِي مِنْ ظَاعِنِينَ تِهَامِ

قالوا فما ترين يا زرقاء ؟ قالت : مُقَامٌ وَتَنُوخٌ . إلى آخر سجعها . فسميت تلك القبائل تَنُوخَ لِقَوْلِ الزَّرْقَاءِ . ونزلت تَنُوخٌ بالبحرين ثم ارتحلوا واختطّوا الحيرة ثم أغار عليهم سابور ذو الأكتاف فساروا إلى الحضرة من الجزيرة يقودهم

(١) ١١٠

(٢) ٣٢٤

(٣) معجمه ١٣ — ١٩

الضَيَّزَن بن معاوية التنوخي. وقال ابن شَبَّةَ ثم ظنعت قضاة كلهم من غور تهامة مُنْجِدِينَ غير بعضهم ممن تنخ بالبحرين وانتشر سائرهم في البلاد فوجدوا بلاداً خالية في أطراف الشام وغيرها. انتهت الأسطورة بغاية الاختصار وقد أبدع صاحبنا في قوله ^(١) في الثلج :

أتانا في الولادة وهو شيخ فازرى بالشباب وبالشيوخ
فقال اريد عندكم تنوخاً فقلت أصبت إنا من تنوخ

وقال البلاذري ^(٢) قالوا سار أبو عبيدة ثم أتى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهلها . . . فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حصّ وغلب المسلمون على أرضها وقراها وكان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزله وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل فدعاهم أبو عبيدة الى الاسلام . اهـ . ثم قال بعده بأسطر ^(٣) وكان بقرب مدينة حلب حاضر - تدعى حاضر حلب - تجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم . وتقل القلقشندی ^(٤) عن الحمّداني أن المعرة من بلاد الشام هي صليبة تنوخ ، بمعنى أن بها جمعهم المستكثر -

وكان عند القاضي التنوخي الصغير جزء من أشعار تنوخ في الجاهلية جمعه والده المحسن ^(٥) استعاره أبو العلاء ونذكر أمره فيما بعد - وكان صاحبنا يمتُّ إليه بنسبه في تنوخ قال يهنئه بمولود ^(٦) :

كني محمد! نسبي مفيدى وِدَادُكَ والهوى أمر بدى

(١) أنظره في الفائق (٢) فتوح مصر ١٥١

(٣) ص ١٥٢ (٤) النهاية ١٦١

(٥) بكسر السين المشددة ويأتي (٦) س ٢ : ٦٧

ومن شعره ما قال في صباه - س (١) :

لَتَذْكُرُ قَضَاءَ أَيَّامِهَا وَتُزَعِّجُ بِأَمْلَاكِهَا حَمِيرُ
ومن ل - :

فشعاري قاطعٌ وكان شعارا لتتوخ في سالف الدهر واصل

عمود بنى سليمان

ليعلم أن سياق النسب من الخريدة والنكت والوفيات . ولم نعول على تصحيفات المؤلفين . وتبعنا العماد في أن سليمان وهو أول من تولى القضاء منهم هو جدّ جدّ (مكررا) أبي العلاء . ولم تتبع ياقوت والصفدي في جعله جدّ أبي العلاء . ثم نقل القضاء منه إلى محمد عم أبي العلاء ثم إلى عبد الله والد أبي العلاء . لأن العماد هو عماد كلّهم ويمكن أن يكون نساخ نسخهم من الخريدة حذفوا من جدّ المكرر واحدا . وليس بممكن زيادته من الناسخ في نسخة ليدن لأن كلام العماد يختل من ترك التكرير والله أعلم . ولفظ ياقوت وكان سليمان جدّ أبي العلاء قاضي المعرة ولى القضاء بحمص وبهامات في سنة ٢٩٠ هـ ثم أنشد شعر الصنوبري في مدحه . وهذا بعينه لفظ الخريدة في جدّ الجد . قال ياقوت بعد سرد أكثر هؤلاء « وغير هؤلاء حذف أسماءهم اختصارا وإنما قصدت الإخبار عن إعرافه في بيت العلم » . وقد سردهم صاحب كمال الدين ابن العديم في الباب الثاني من العدل والتحرى حتى وصل بهم إلى زمنه وهو منتصف القرن السابع كما سردناهم من غير أن نقف على كتابه والله الحمد .

داود

بن

سليمان

بن

أحمد

بن

(٩) سليمان

بن

(٨) محمد في خر والنكت والوفيات دون غيرها

بن

(٧) أبي الحسن سليمان

مسلم عم أبي العلاء (١٢)

عبد الله (١٣)

وإدع القاضي (١٤)

النعمان (١٥)

بن

أبو بكر محمد (١٠) إن صح قول يافوت

(٦) عبد الله

أبو الهيثم عبد الواحد (١١) أبو العلاء . صاحبنا

بن

(٥) أبي المجد محمد أخي أبي العلاء

أبو الحسن على تولى قضاء المعربة . خر والعدل

أبو مرشد سليمان (١٦) ومدرك

أبو سهل عبد الرحمن (١٧)

(٤) القاضي عبد الله أبو محمد وأخوه أبو المعالي صاعد (١٨)

وإدع على مافي خر وأدبا وأظنه غلطا وانظر ١٢٢

بن

(٣) القاضي أبي المجد محمد

بن

(٢) أبي محمد عبد الله

بن

(١) القاضي تقي الدين أبي اليسر شاكر

أبو البركات محمد - خر

بن

أبو المجد سليمان ولد بحلب سنة ٥٤٥ هـ

(ج) أبي إسحق إبراهيم

بن

(ب) أبي اليسر إسماعيل

بن

(أ) تقي الدين

(أ) مسند الشام كتب للناصر داود وروى عنه ابن تيمية وأخواه . ترجم
إليه صاحب الفوات ١ : ١٢

(ب) عرفناه من الفوات فقط

(ج) عرفناه من الفوات ومن التكملة لابن الأبار عدد ١٤٥٨ ويأتى في
باب « هو والاندلس »

(١) لا أبو نصر كما قد تصحّف على مرجليوث ص ٣٣ قال العماد ذكر لى
أن مولده بشيرز فى جمادى الآخرة سنة ٤٧٦ هـ وفي أدبا عنه قال وكان كاتب
الانشاء لنور الدين محمود بن زنكى قبل فلهما استغنى وقعد فى بيته توليت الانشاء
بعده . ونقل عنه فى الولادة سنة ٤٩٦ هـ وهذا من اختلاف نسخ الخريدة ثم أورد
من شعره جملة

(٢) وتوفى سنة ٥١٦ هـ . خر

(٣) ولى قضاء المعرة الى أن دخلها الفرنج سنة ٤٩٢ هـ ومات بحماه سنة ٥٢٣
ومولده سنة ٤٤٠ هـ وله ديوان ورسائل . ياقوت وخر .

(٤) زعم خر وتبعه أدبا أنه أبو القاضى وادع وأراه غلطا منهما (١)
وُحجّت خط يد النعمان بن وادع على ختام نسخة تقاض جرير والأخطل لابی
تمام وهذا نصّه ورق ١٤٤ نسخة الآستانة « قرأته جميعه فى الحرم من سنة
خمس وعشرين وخمسمائة وكتب النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم » ويعد
أن يكون وادع على قولهما فى آباءه أدرك أبا العلاء . مع أنه أدركه حقّا إذ مولده
كما قالوا ٤٣١ هـ وهذا سهل ان جعلنا مسلما عم أبى العلاء جدّا له .

(٥) كان أسنّ من أبى العلاء . وأورد ياقوت شعراً له . خر وأدبا . وذكره

(١) وشاهد وهو ان كنية وادع « أبو مسلم » ومعروف فى الكنى تسمية الابناء

باسم الاجداد

أبو العلاء بلفظ سيدى في ر الى خاله أبي القاسم ص ١١٢ والعجب من مرجليوث
ص ٤٣ حيث زعم ان الرسائل لا تشير اليه إشارة ما وهو شارحها وترجمانها
وأغرب منه زعمه أبا المجد مستمليا له وكله غلط لا دليل له . وتوفى سنة ٤٣٠ هـ
وقدّم أبو العلاء الشيخ أبا صالح محمد بن المهنّب للصلاة عليه - ابن الوردي
٣٤٥ : ١

(٦) له شعر في مرثية والده أوردته ياقوت وتوفى بحمص سنة ٣٧٧ هـ .
خر وادباء ويأتى ذكره فيما بعد . ويوهم كلام ياقوت وخر أنه تولى قضاء
المعرة أيضا ، وفي إنباء الرواة للقفطى بخطه في ترجمة محمد بن حمزة أن له
قصيدة مدح بها القاضي أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليم بن المعري ثم أورد منها
١٣ بيتا على الرأ وأظنه أبا عبد الله هذا والله أعلم

(٧) هو الذي تولى قضاء المعرة وحمص . وبها مات سنة ٢٩٠ هـ على قول
ياقوت إن صح . وقد غلط صاحب ذ ص ١٣٠ حيث زعم أن جده سليمان بن
داود تولى قضاءها ثم سرد النسب ص ١٣٥ كما نقلناه من الخريدة . إذ كيف
يمكنه أن يجعل سليمان بن داود جده وهو على سياق النسب عنده بنفسه جد جد
جد (ثلاثا) أبي العلاء فقد خبط خبط عشواء ولم يتبع هذا ولا ذاك

(٨) هو قاضي المعرة أبو بكر الذي جعله ياقوت أخا أبي صاحبنا

(٩) جد جد (مرتين) أبي العلاء وأول من ولي قضاءها سنة ٢٩٠ هـ كذا

في خر وهو الذي وهم في أمره ياقوت فجعله جد أبي العلاء

(١٠) على قول ياقوت عم أبي العلاء ولي قضاءها بعد سليمان بن أحمد جده

على قوله ثم نقل قول الصنوبري الشاعر في مدحه

(١١) نقل بعضهم عن الوافي أنه كان حيا أيام حصار صالح سنة ٤١٧ هـ

أو بعده بقليل

(١٢) ورد ذكره في حكاية وزير محمود وترد . وأغفله خر وأدباء . وقد ذكرنا حجتنا في جعله جد القاضي وادعوا . لكن ليس في الخط ما يدل على كونه عم أبي العلاء وإنما علمناه من الحكاية

(١٣) لم نعلمه إلا من خط النعماني

(١٤) أبو مسلم تولى قضاء المعرة وكفر طاب وحماه وكان مشهوراً بالكرم . ولد سنة ٤٣١ هـ وله رسائل حسنة وشعر بديع ثم أنشد منه شيئاً - أدباء ١ : ١٦٧ و ٢ : ١٩٥ . وخر . وفي تاريخ ابن القلانسي ص ١٣٢ أنه توفي سنة ٤٨٩ هـ وكان استولى على المعرة قال وكان له همه مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة اه وفي نسخة من انباء الرواة للقفطي بخطه أرائها الخط - أن أبا سعد محمد بن أحمد الشاعر المعري رثاه بقصيدة رائية طويلة أوردتها القفطي

(١٥) أبو عدي من أهل العلم والفضل صاحب الخط على النقائض لأبي تمام أنشد له ياقوت بيتين - أدباء وخر . قالومات سنة ٥٥٠ هـ ونيف

(١٦) ذكره ياقوت والعماد قال انتقل الى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة وكوني بها . قال ياقوت ولي قضاء المعرة وله رسائل وشعر (ثم أنشد له)

(١٧) ذكره ياقوت قال ومولده ومنشؤه بشيزر وحماة وتوفي في الزلزلة كانت بحماه سنة ٥٥٠ هـ وكان شاعراً مطبوعاً (ثم أنشد له)

(١٨) ذكره ياقوت قال مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرة (ثم أنشد له)

(١٩) ذكره ياقوت قال مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرة (ثم أنشد له)

(٢٠) ذكره ياقوت قال مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرة (ثم أنشد له)

(٢١) ذكره ياقوت قال مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرة (ثم أنشد له)

أخواله آل سبيكة

من مرثية والدته يخاطبها - س (١) :

وكم لك من أبوسم الليالى على جبهاتها سمة اللثام
مضى وتعرف الأعلام فيه غني الوسم عن ألف ولام

هم كما يظهر من كتبه اليهم ومن شعره فيهم في س كانوا غرة في جبهة الأيام ، ودائرة سامة في وجوه الغطارفة الكرام . مُعْرِقِينَ فِي أَصَالَةِ الشَّرَفِ ، وَنَاشِئِهِمُ الْمُقْتَبِلُ لَا يَقِلُّ فِي السَّاحَةِ عَنْ أَبِي دُلْفٍ ، وَلَا يَنْوُنُ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَطَرَفٍ ، حَرَصًا أَنْ يَحْزُوا كَنْزَ النَّطَفِ . وَلَكِنْ لَا لِلشَّرِّهِ وَالْبَطَرِ ، أَوْ التَّكَاثُرِ أَوْ الْأَشْرِ . بَلْ لِكَسْبِ الْمَعْدُومِ ، وَفَكِّ الْعَانِي الْمَظْلُومِ . وَصَلَةُ الْأَقَارِبِ ، وَالْإِعَانَةُ عَلَى النَّوَائِبِ . كَمَا قَالَ فِي ر (٢) إِلَى أَبِي طَاهِر « وَإِنْ مَرِئَتْهُ تَغْلِبَ حَالُهُ ، وَتَجَشَّمَهُ السَّفَرُ وَارْتَحَالَ »

وجده لأمه محمد كان حياً قبل رحلته إلى بغداد فيما يظهر (٣) ، وأقرأه السلام في رقتين له إلى أبي طاهر وهما ١٢ و ١٤ ، وكان له ثلاثة من الأولاد المذكور ، وهم على ترتيب الأسنان فيما يظهر من فحوى الرسالة الثلاثين (٤) وغيرها : أبو القاسم على (٥) بن محمد بن سبيكة ، أبو بكر ، أبو طاهر المشرف . فأما أبو

(١) ٩٧ : ٢

(٢) س ٤٣ -

(٣) وقال مرجليوث في ترجمة أبي طاهر وهي ١٤ أنها كتبت بعد سنة ٤٠٠ هـ ولم أعثر له على شاهد يضده وأظنه رجاً منه بالغيب . وعلى كل فانه قرأ فيها السلام على جده لأمه

(٤) أعني جميع الرسائل إلى أبي القاسم التي أهدى فيها السلام إلى أبي طاهر

(٥) التنوير ١ : ١٦٥ وعنوان ر ١٧ إليه -

القاسم فكتب اليه دالية^(١) من س وكان سافر الى المغرب ذكر فيها أن بني سبيكة لهم ولوع بالأسفار ، وركوب الأخطار ، في البراري والبحار . وكانوا يركبون تارة بحر الروم الى مصر والمغرب ، واخرى في بلاد الجزيرة والعراق لهم مستراد ومذهب - س .

كان بني سبيكة فوق طير يجوبون الغوائر والنجادا
أبالا سكندر الملك اقتديتم فما تضعون في بلد وسادا

وله اليه من الرسائل ١١ ٧ عند طلوعه من العراق وهي مصدر كثير من الفوائد التاريخية و ١٧ و ١٨ و ٣٠

وأما أبو بكر فإننا لم نعرفه الا عن ر الى أبي القاسم في التعزية بوفاته وكان توفي بدمشق وخلف ولدا كهلاً وأبناءً لهذا الولد فتيانا^(٢)
وأما أبو طاهر المشرف فهو المخاطب بالرّسالة ١٠ وكان صاحبنا جشمه أن يستنسخ له شرح الكتاب - كتاب سيوييه - ببغداد لا عكسه^(٣) كما ذهب

(١) ١ : ١٦٥ . والذي أظن ان جملة رسائله الى خاليه في زمن شبابه -

(٢) ر ص ١١١ -

(٣) أي أن يكون أبو طاهر كتب اليه من حلب الى بغداد أن يستكتب له الترح كما زعم مرجليوث وتبعه صاحب ذ ١٣٢ ولعله بنى زعمه على علمه برحلة صاحبنا اليها . وغريب أن يكون نسي أن أبا طاهر كان سافر اليها أيضا كما هو في عنوان ر ١٢ ولفظه : وكتب الى أبي طاهر ابن سبيكة وكان قدم من العراق اه وعنوان ر ١٣ ولفظه : وكتب الى ... في بعض أوباته من العراق - وكان لأبي طاهر ببغداد أصدقاء كما في ص ٣١ من ر - وانني لا اقضي العجب من مرجليوث وهو ترجمان ر : كيف تمكن من فهم جل في الرسالتين على مزعمه وهي من ١٠ « وفهمت ما ذكره من أمر النسخة المحصلة وهو ٠٠٠ الكريم المتكرم وأنا المثقل المبرم - جرى في التفضل على الرسم ، والحدث الحاح الوسم » . وذ كر أبا عمرو الاسترأباذي في هذه الرسالة وكان كلفه لفرض عينه كما يظهر من ر اليه وهي ١١ - ثم ختمها بقوله وانا . أهدي الى ٠٠٠ سلاما تأرج الكتب بحمله ، وتروض المجدي من سبله . فهل تصلح كلمة المجدي من السبل بالمسافر أم بالمقيم . وطالعهما . ثم انه اقترح عليه في ر ١٢ أن يعرفه بالثمن المعروف (في الاستنساخ) حتي يؤديه اليه - على أن أبا طاهر وهو تاجر لم يكن الشرح مما يهمه -

على كثير من أبناء العصر وبالأصح ١٣ وكان له غلام (عبد) لا يزال أبو العلا يهدي إليه السلام ويظهر تحفيه به وانظر ا ١٢ و ا ١٣ وكان لأبي طاهر ولد أو أولاد ورد ذكرهم في ر ١١ - ٣٠ -

وأما مولدهم فانه حلب الشهباء على ما هو الظاهر وهي مقامهم أيضاً غير أن أبا بكر كان توفي بدمشق كما مرّ وهذا مما لا يشكّ فيه اثنان ^(١) طالعا الرسائل بامعان

وكان صاحبنا يحبهم من صميم قلبه ، ويبدل لهم نخيلة صدره ، ويتحنّن لهم تحنّن النكداء إلى بكره ، والطائر إلى وكره . ولم تزل المهاداة الدالة على الوثام والوفاق ، قائمة بينه وبينهم على ساق . على رغم آرائه في الأنساب ، والحاق الجناية بالآباء الأئجاب . قال في ر ^(٢) « وكيف لا يضطرم شوق ولدته القرابة وأرضعته بلبانها المؤدّة وربّته الأيدي المتتابعة » . وكانوا يبذلون على ابن اختهم هنيّ المطالب وسنيّ الرغائب ، بل لو قلنا إنهم هم الذين كفّلوه من ريعانه إلى محتوم إبانته لم نُبْعِد ، وهم الذين أعانوه بالمرافق واللوازم في رحلته إلى بغداد كما يأتي * وأما امه فانها ترد في محلّ وفاتها

ولادته

وُلد بالمعرّة يوم الجمعة عند مغيب الشمس ثلاث بقين من شهر ربيع

(١) وانظر الرسائل - وأما مرجليوت فان كلامه من ١٤ يومه خلاف ذلك وان كانت حوالات الحاشية صحيحة الا ان كلام المتن موهم لاشك . وصاحبنا يقرئ في جل رقاعه الى أبي القاسم السلام على أبي طاهر وهذا لا يمكن الا على أن يكونا بموضع

(٢) ر ص ٤٢ -

الأول سنة ٣٦٣ هـ^(١) كما قال الكمال ابن الأنباري^(٢) رواية عن التبريزي وابن خلكان والصفدي وغيرهم .

عماله وبعض خصائصه

قال صاحب النزهة والوفيات وعمي من الجدري أول سنة سبع وستين غشى يمني عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة . قال الحافظ السلفي أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن عزيب^(٣) (أو غريب^(٤)) الإيادي أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره فراه قاعداً على سجادة ليد وهو شيخ [فان] قال فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبياً قال وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً، وهو مجدّر الوجه نحيف الجسم اه وروى ابن العديم في العدل عن ابن منقذ أنه رأى أبا العلاء وهو صبي دون البلوغ ووصفه بقوله « هو دميم الخلقه مجدور الوجه على عينيه بياض من أثر الجدري كأنه ينظر باحدى عينيه قليلا » -

قال الذهبي^(٥) والصفدي وأبو الفداء والسيوطي إنه جدّر في السنة الثالثة من عمره . أقول وهذا وهم من هؤلاء إذ لم يحسبوا سنة الولادة وكان ولد في شهرها الثالث على مامر . فالصواب إذاً في الرابعة من عمره كما قال صاحبنا نفسه في رسالته^(٦) إلى داعي الدعاة « وقد علم الله أن سمعي ثقیل ، وبصري عن

(١) وقال أبو الفداء وقيل سنة ٣٦٦ : ٢٨ : ١٧٦

(٢) النزهة ٤٢٦ والوفيات ١ : ٣٤ والنكت ١٠٩ والمعاهد ١ : ٤٩ -

(٣) كما في الوفيات ١ : ٣٤ (٤) كما في النكت والمعاهد وفي العدل عريب ولعله تصحيف

(٥) ١٢٩ ، النكت ١٠٩ : ٢ ، البنية ١٣٦ ولاء

(٦) أدبا ١ : ١٩٨ وفيه النازل وهو تصحيف لم يتنبه له مرجليوت - هذا وقال صاحب

الإبصار كليل . قضي على وأنا ابن أربع ، لا أفرق بين البازل والرُبَع - قال ابن الأَنباري كان ضريراً أعمى ولم يكن أُمّه كما توهمه ^(١) من لاعلم له . وورد ذكر الجَدري في اللزوم :

✓ أضرُّ من جَدريِّ شان حامله بحمله جَدريِّ جاء من جَدَر ^(٢) وأنه أورثه دَمامة قال . ل :

الحظُّ لي ولأهل الأرض كلهم أن لا يراني أخرى الدهر أصحابي وشِقوة غَشيت وجهي بنضرتي أبرُّ بي من نعيم جرَّ أشجاني ^(٣) وكان يقول ^(٤) لا أعرف من الألوان إلاَّ الأحمر فاني ألبستُ في الجَدري ثوباً مصبوغاً بالعُصْفُر لا أعتل غير ذلك . وكان يحمّد الله على عماء كما يحمده غيره على البصر ، فقد صنع له وأحسن به اذ كفاه رؤية الثقلاء البغضاء على ما نقل الثعالبي من قوله - وكان قصيراً كما اعترف به في رسالة له ^(٥) وكما قال . ل فلا أجذك رديئاً في ذوي أمم وكن نبيلاً مع القوم التنايل ونحيلاً كما قال . ل :

تحفوا بالكلام وأكرموني على ما كان من جسد نحيل

آثار المعجم بالفارسية ما تعريبه ص ٤٨ انه حمى حين بلغ سبعين عاماً وقيل انه عمى في صباه . ونرجح صحة القول الاول لما رأينا له من عدة تأليف اه أقول هذا مبلغه من العلم وما كان أغنانى عن نقل قوله أمثاله من علماء الفرس الذين ليس عندهم خبرة ولا خبر ولا رواية ولا أثر - (١) وهذا القول الغريب نقله أبو الفداء أيضاً ٢ : ١٧٦ -

(٢) قرية تجلب منها الخمر بين حمص وسلمية قال فيها صاحبنا ل :

لا تقرين جدريا ما أردت به داء يرى بل شراباً مودعاً جدرا - (٣) وفي له أشجاني وهو تصحيف -

(٤) نكت ١٠٩ مما ١ : ٤٩ بغية ١٣٦ والذهبي ١٢٩ -

(٥) ر ص ٧٩ - وكذا في حكاية نقلها القفطي ادبا ١ : ٢١٥ -

وذكياً حكى الذهبي ^(١) أنه أكل في مغارته دبساً فنقط على صدره منه ولم يشعر فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة ياسيدي أكلت دبساً فأسرع بيده إلى صدره يمسحه فقال : نعم ، لعن الله النهم . فاستحسنوا سرعة فهمه اه وروى السيد العيدروس في النور ^(٢) السافر عن عجائب البلدان للقزويني أنه كان لأبي العلاء سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمها أربعة دراهم تحت كل قائمة درهم فقال إن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً أو السماء نزلت اه وفي روضات الجنات ^(٣) عن تلخيص الآثار قيل إنه أخذ حمصة وقال هذا يشبه رأس البازي ، وهذا تشبيه عجيب من أولي البصائر فضلاً عن الأكف (كذا) اه وقال ابن العديم في العدل إنه كان متوقداً الخاطر على غاية من الذكاء من صغره وتحدث الناس بذلك وهو إذ ذاك صبي يلعب مع الصبيان . فكان الناس يأتون إليه ليشاهدوا منه ذلك فخرج جماعة من أهل حلب إلى ناحية معرة النعمان وقصدوا أن يشاهدوا أبا العلاء وينظروا ما يحكي عنه من الفطنة والذكاء . فوصلوا إلى معرة النعمان وسألوا عنه ، فقيل لهم هو يلعب مع الصبيان ، فجاؤا إليه وسلموا عليه ، فرد عليهم السلام . فقيل له إن هؤلاء جماعة من أكابر حلب جاؤا لينظروك ويمتنحوك فقال لهم هل لكم في المقاناة ^(٤) بالشعر ، فقالوا نعم . فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً وهو ينشده على قافيته حتى فرغ محفوظهم بأجمعهم وقهرهم فقال لهم أعجزتم أن يعمل كل واحد منكم بيتاً عند الحاجة إليه

(١) ص ١٣٠ -

(٢) ورق ٣٦٥ نسخة لـكنؤ - ومنه في نامه دا نشوران ١ : ٣٦٧ طبعة إيران -

(٣) ص ٧٣ طبعة إيران -

(٤) فن يسمى اليوم مذاكرة الأنفاس وهو أن ينشد كل واحد على روى بيت الآخر وهذا على روى ذلك إلى أن يميا أحدهما .

على القافية التي يريد ؟ فقالوا له فافعل أنت ذلك . قال فجعل كلما أنشده
واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيته حتى قطعهم كلهم - فعجبوا منه
وانصرفوا . اهـ

وله شعر كثير في عماء . ل :

ذهاب عينيَّ صان الجسم آونةً عن التطوح ^(١) في البيدِ الا ماليس
ومابى طرُق ^(٢) للمسير ولا السُرى لأنى ضرير لا تضيء لى الطرُق
عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليتلى القصوى ثلاث ليل
أعمى البصيرة لا يهديه ناظره إذ كل أعمى لديه من عصا هادٍ
إذا مرَّ أعمى فارحموه وأيقنوا وإن لم تكفوا ان كلهم أعمى
تصدق على الأعمى بأخذ يمينه تهديه وامننْ بفهامك الصما
أنا أعمى فكيف أهدي إلى المنهج والناس كلهم عُميان
والعصا للضرير خير من القا تد فيه الفجور والعصيان
وبصير الأقوام مثلى أعمى فهلّموا في حنْدس تتصادم
وانظر في المعنى بيتاً له (الأُمور) وقطعتين نونيتين في الفأنت

حفظه وواعيته

العُميان أصحُّ الناس حفظاً وأوعاهم وأذكاهم وأرعاهم . والسبب في ذلك
عدم تشتت الباصرة في المغازي والمسالك وأن كل قوة طَبَعِيَّة يزيد فيها الأعمال

(١) وفي الاصل النطرح مصحفاً

(٢) بالسكسر قوة .

وينقص منها الأهمال . والعميان أحوج من البُصراء ، الى حفظ الأشياء . وقد رُوى في حفظهم أخبار ونوادر ، شوارد سوائر . وناهيك بما أَلَمَّ به الصَّفدي منها في النكت ^(١) والغيث . والمعروفون بقوة الواعية منهم لا يبلغهم إحصاء ، ولا يأتي عليهم أو يعترف بالعجز دون بلوغ الغاية والإيعاء . والعلم الفرد في ذلك حَبْر الأُمة وتُرْجُمان القرآن عبد الله بن عباس رض وذلك معروف في خبر نافع بن الأزرق ^(٢) وعمر بن أبي ربيعة معه - وحكى ابن حجر ^(٣) وغيره عن المتنبي أنه تلقى من رجل كتاباً للأصمعي نحو ثلاثين ورقة وأخذ ينظر فيه فقال الرجل يا هذا أريد بيعه فإن كنت تريد حفظه فهذا ان شاء الله يكون بعد شهر . فقال فإن كنت حفظته في هذه المدة فمالي عليك ؟ قال أهب لك الكتاب فأخذ يتلوه حتى أتى عليه .

(١) النكت ٨٤ بعد أن نقل بيتاً للأعشى وآخر لبشار ثم روى عن الجاحظ قوله « وهذان أعميان قد اهتمديا من حقائق الأمور الى مالا يبلغه تمييز البصراء : ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لاحد » ثم زاد عليه « قلت تمجب الجاحظ من قولهما وكيف به لو سمع قول أبي العلاء :

رب ليل كانه الصبح في الحسب وان كان أسود الطيلسان

الى قوله ثم شاب الديبى س ١ : ٩١ و ٩٢ - وقوله :

ولاح هلال مثل نون أجادها بجارى النضار الكاتب ابن هلال

وقال في ص ٨٣ قل أن وجد أعمى بليداً أولاً يرى أعمى الا وهو ذكي منهم ٠٠٠ وأبو العلاء المعرى ٠٠٠ والسبب الذى أراه في ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يحتمع عليه ولا يعود مقشعاً بما يراه . ونحن نرى الانسان اذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه أغمض عينيه وفكر فيقع على ما شرد من حافظته وفي الملل أحفظ من العميان أوردته الميـدانى في أمثاله اه أقول ومثل قوله المار في الوصف ما قال يصف الحاتم من قصيدته :

س ٢ : ٧١ نبي من النربان ليس على شرع

وورد ذكر العميان في الغيث ٢ : ١٨٨ - ١٩٣

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٥١

(٣) لسان الميزان ١ : ١٦ والبديعى ١ : ٧ -

ومثله ما يحكى عن أبي تمام ^(١) أن البحترى لما أنشد أبا سعيد محمد بن يوسف قصيدته التي أولها :

أأفاق صب من هوى فأفقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

وهي طويلة وسُرَّ بها أبو سعيد قال أبو تمام ولم يكن بينهما معرفة أما تستحي هذا شعري تنتحله . ثم أنشدها لم يخرم منها حرفاً فلام أبو سعيد البحترى فوجم نادما وخرج إلى باب الدار حتى رده الغلمان على أبي تمام فقال الشعر لك ولكن ظننت أنك تهانوت بموضعي وأقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة بيننا ثم عاتقه وأخذ يُثني عليه . ونادرة الزمان ، في قوة الحفظ وشدوذ النسيان ، هو ربّ القريض والبيان ، علامة همدان ، بديع الزمان .

ونأتى هنا على أخبار رواها الثقات عن الثقات والأصاغر عن الأكابر سوى بعضها مما وقع فيه خلل في النقل . وما أكثر من يستنكرها من أبناء العصر ، إذ حرموا هذه الفضيلة اللهم إلا شِرْذمة منهم نَزَر . والعرب أحفظ الأمم « ومن يُشابه أباهُ فما ظلم » . والباعث على ذلك ليس إلا عرقهم في البداوة وسكنى الوبر والمدّر . وبعدهم عن الوسائل المغنية عنها في الحضر .

(١) روى السمعاني في الأنساب ^(٢) عن التبريزي أنه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه قال وكنت قد آتممت عنده سنتين ^(٣) ولم أر أحدا من أهل بلدى . فدخل مغافضة المسجد بعض جيراننا

(١) البديعى ١ : ٢٤ وغيره .

(٢) ورق ١١٠ - وياقوت عنه ١ : ١٧٣ والنكت ١٠٢ والبديعى ١ : ١٠ والبغية

١٣٦ والماجد ١ : ٤٩ -

(٣) وفي غير نسخة الأنساب أقت عنده سنتين .

للصلاة فرأيتُه وعرفته وتغيّرت من الفرح . فقال أبو العلاء ما أصابك . فحكيت له
 أنّي رأيتُ جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين ^(١) فقال لي قم
 وكلمه . فقلت له حتى أتمّ السبق ^(٢) . فقال قم أنا أنتظرُك . فقمْتُ وكلمته
 بالأذريّة شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عدتُ وقعدت
 بين يديه قال لي أيّ لسان هذا ؟ قلت هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لي
 ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أنّي حفظت ما قلتما ثم أعاد لفظاً بلفظ ما قلنا (من
 غير أن ينقص منه أو يزيد عليه) فجعل جاري يتعجب غاية العجب ويقول كيف
 حفظ شيئاً لم يفهمه اه قال ياقوت وهذا غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ .
 وقال الصفدي هذا أمرٌ مُعجز فانه بلغنا عن جماعة من الحفاظ . وما يحكي عن
 البديع الهمداني وابن الأنباري (لعله أبو بكر محمد) وغيرهما ما هو قريب من
 الإمكان وأما حفظ ما لم يسمعه (؟ يفهمه) الانسان ولا يعلم مفرداته ولا
 مركباته وهو أقلّ ما يكون أربع مائة سطر (؟ بدون الجواب) .

(٢) قال ابن العديم في العدل قيل إنه أملئ من ديوانه لزوم ما لا يلزم في ليلة
 واحدة نحو ألفي بيت كان يسكت زماناً ثم يملئ نحو خمسمائة بيت ثم يعود الى
 الفكرة والعمل الى أن كملت العدة المذكورة

(٣) وروى ابن العديم أيضاً أن بعض أمراء حلب قيل له إن اللغة التي
 ينقلها أبو العلاء إنما هي من الجهرة . وعنده من الجهرة نسخة ليس في الدنيا مثلاً
 وأشاروا عليه بطلبها منه قصداً لأذاه . فسير أميرُ حلب رسولا الى أبي العلاء
 يطلبها منه . فأجابه بالسمع والطاعة وقال تقيم عندنا أياماً حتى تقضى شغلك . ثم
 أمر من يقرأ عليه كتاب الجهرة فقرئت عليه حتى فرغوا من قراءتها ثم

(١) كذا هنا في الكتب بأسرها إلا أدبا فانه روى سنتين -

(٢) بمعنى الدرس كما هو مستعمل الى الآن بإيران والهند -

دفعها إلى الرسول وقال له ما قصدتُ بتعويقك إلا أن أعيدها على خاطري خوفاً من أن يكون قد شذَّ منها شيء عن خاطري . فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك فقال : من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب وأمر برده إليه

(٤) وروي أيضاً أن البغداديين أرادوا امتحان حافظته فأحضروا دستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مُياومةً وهو يسمع إلى أن فرغوا من ذلك فابتدأ أبو العلاء وسرد عليهم كل ما أوردوا عليه

(٥) روى البديعي^(١) عن الأمير أسامة (؟) بن منقذ عن أبي العلاء المعري قال كان بانطاطية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجلست يوماً عنده فقال قد خبأتُ لي خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ . قلت وما هي . قال صبيّ دون البلوغ ضرير يتردد إلى وقد حفظته في أيام قلائل عدّة كتب وذلك أني أقرأ عليه الكُرّاسة والكُرّاستين مرّة واحدة فلا يستعيد إلا ما شكّ فيه . ثم يتلو عليّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظاً له . قلت فلعله قد يكون محفوظاً له ، قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولن كان ذلك كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه وهو صبيّ دميم الخلقه مجدّر الوجه على عينيه قليلاً وهو يتوقّد ذكاء يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسيبه ، فقال له الخازن يا ولدي هذا السيّد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال سمعاً وطاعة ! فيختار (؟ فليختار) ما يريد . قال ابن منقذ فاخترت شيئاً وقرأته على الصبيّ وهو يموج ويستزيد . فاذا مرّ بشيء يحتاج إلى تقريره

(١) الصبح المنبي ١ : ٧ - وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة إلى التبريزي

في خاطره يقول أعيد هذا . فاردّده عليه مرة أخرى . حتى انتهت على ما يزيد على كراسة ثم قلت له يقنع هذا من قبل نفسي . قال أجل حرسك الله قلت كذا وتلا علي ما أملتّه عليه وأنا اعرضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهت الى حيث وقفت عليه فكاد عقلي يذهب لما رأيت منه وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا أن شاء الله . وسألت عنه فقيل لي هذا أبو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى اه أقول جمع البديعي بين الضب والنون وحاول أن يجري في البراري الفلك المشحون فان صاحبنا توفي سنة ٤٤٩ هـ واسامة وُلد سنة ٤٨٨ هـ فلعل الحكاية عن بعض متقدمي بني منقذ قبل أن يملكوا شيزر بنحو نصف قرن أو أكثر أو الأصل « عمن حدثه عن أبي العلاء » فيوجد ثم واسطة بينهما . والراجح هو الأول ففي مساق هذه الحكاية في العدل والتحرى ما يدل على أن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوَّج مقلد بن نصر بن منقذ وكان يسكن حلب وهو الذي ترجم له ابن خلكان وياقوت والعماد . ولكن هذه الخزانة على ما قال ابن العديم كانت في كفر طاب أو في حلب . وذَكَرَ خبراً طريفاً عن خزانة حلب

✓ (٦) وروى ^(١) أيضاً قال : وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال :

كان لأبي العلاء جار أعجمي فاتفق أنه غاب عن المعرفة فحضر رجل يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائباً فلم يمكنه المقام . فأشار اليه أبو العلاء أن يذكر حاجته اليه فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية وأبو العلاء يصغي اليه الى أن فرغ من كلامه . ولم يكن أبو العلاء يعرف بالفارسية ومضى الرجل . وقدم جاره الغائب وحضر عند أبي العلاء فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية

ما قال . والرجل يبكي ويستغيث ويلطم الى أن فرغ من حديثه وسئل عن حاله فأخبر أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله .

(٧) وحكى ^(١) أيضاً عن بعض أصحابه أن جارا له سمّانا كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذ منها عند حاجته اليه . وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتها . قال فسمع أبو العلاء السمّان المذكور بعد مدّة يتأوّه ويتململ ، فسأل عن حاله فقال كنت حاسبت فلانا برقاع كانت له عندي وقد عدمتها ولا يحضرني حسابه فقال ما عليك من بأس أنا أُملى عليك حسابه وجعل يملّ معاملة رقة رقة . والسمّان يكتبها الى أن فرغ وقام . فما مضت الا أيام يسيرة ووجد السمّان الرقاع فتقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق إملاؤه الرقاع اه ومثله ما في الوفيات ^(٢) عن أبي بكر النحويّ قال لما قدّم الحسن بن سهل العراق قال أحبّ أن أجمع قوماً من أهل الأدب ، فأحضر أبا عبيدة والاصمعيّ ونصر بن عليّ الجهميّ وحضرت معهم فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوقع عليها فكانت خمسين رقة ثم أمر فدُفعت الى الخازن . ثم أقبل علينا فقال قد فعلنا وخيرا نظرنا في بعض مانرجو نفعه من امور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج اليه . فأفضنا في ذكر الحفاظ فدكرنا الزهريّ وقتادة ومررنا فالتفت أبو عبيدة فقال ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى وبالحضرة هاهنا من يقول ما قرأ كتابا قطّ فاحتاج الى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه فالتفت الاصمعيّ وقال انما يريدني بهذا القول أيها الأمير والأمر في ذلك على ما حكى وانا اقرب اليك قد نظر الأمير فيما نظرفيه من الرقاع وانه

أعيد ما فيها وما وقع به الأمير على رقعة رقعة قال فأمر وأحضرت الرقاع . فقال الأصمعي سأل صاحب الرقعة الأولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مرّ في نيف وأربعين رقعة . فالتفت إليه نصر بن عليّ فقال أيها الرجل أبقِ على نفسك من العين . فكفّ الأصمعي اه . وأغرب منه وأعجب ما روى الحميدي في الجذوة والخطيب في تاريخ بغداد عن البخاري ومجتمه هناك في مائة حديث مقلوبة الاسانيد والمتون وراجع الوفيات ^(١)

✓ (٨) زعموا ^(٢) أن رجلا من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله فعرضه على طائفة من أهل العلم فكلمهم لم ينفعه (؟ يعرفه) ولم يدلّه على اسم الكتاب فلما عرضه على أبي العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه وأملى عليه ماضع منه . قال ابن العديم قيل ان الكتاب هو ديوان الأدب للفارابي . وفي النور السافر للسيد العيّدروس « وذكر عنه أنه أملى المحكم والمختص من صدره » أقول لعل الراوي اشتبه عليه تهذيب الأزهري بالكتابين وإلا فإنهما لم يكونا صُنفا بعد .

(٩) حكى بعض العصريين ^(٣) والعهد عليه إذ لم يحل على مأخذ أنه سمع محاورة إسرائيليين بالعبرية وهو في شأن غير شأنهما ثم طلب بعد مدة مديدة للشهادة فأعاد تلك المحاورة وهو لا يفقه من العبرية حرفا اه ولم أعر على الخبر فيما بيدي من دواوين الاخبار . وليس يدّع من صاحبنا إلا أنني رأيت المتأخرين يتكلمون على حفظ ليس حفظ أبي العلاء ولا يرجعون إلى الأصول

(١) ٤٥٥ : ١

(٢) ابن العديم في العدل وصاحب ذ ٢٢٢ ولعله عن الفقطي -

(٣) وهو صاحب الإلياذة العربية في مقدمتها ٣٨ - فان صح انكاه على الحفظ فهو الخبر الاول هنا -

فَيَخِيطُونَ وَيَخْلَطُونَ وَالْعَصْمَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. (١)

هذا وغرّاً أكثر الغريبين قولُ الصّفديّ (٢) أَظُنُّهُ « وللناس حكايات يَصْعَوْنَهَا فِي عَجَائِبِ ذِكَاثِهِ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ وَغَالِبُهَا مُسْتَحِيلٌ » وإني لأعجب كيف ذهب عليهم أو خفي عنهم مثل هذا مع أنه ترك شغل السماع والمطالعة حين بلغ من العمر أشدّه وهذه جُمْلٌ من نثره (٣)

قال في مقدمة س (٤) وقد كنتُ في ربّانِ الحداثة ورجنّ النشاط مائلاً في صغور القريض... ثم رفضته رفض السّقب غرسة والرّأل تريكتيه اه. وفي الملائكة لو أعرضت الأغرّة عن النعيب، إعراضي عن الأدب والأديب، لأصبحت لا تحسّ نعيها اه. وفيه وقد حرّم على الكلام في هذه الأشياء لأنني طلقها طلاقاً بائناً لا أملك فيه الرجعة اه. وفيه ولو كنت في عمر الحسل لكنت قد أنسيت أو نسيت لأنني حديثي لا يجهل في لزوم عطائي الضيق... وإنما ينال الرُتب من الآداب من يباشرها بنفسه ويُفنى الزمن بدرسه اه. ومراً لنا نقل قوله من الإغريضة. وفي ر (٥) إلى الفلاح، وإن العامة عهدتني في صدر العمر أستصحب شيئاً من أساطير الأولين فقالت عالم، والناطق بذلك هو الظالم « ومن ر (٦) إلى أبي المعلّى « من غدا بفرع منال، فقد بعُد عهدي بالنضال. ألم

(١) ويجيء في أبواب بنّاد حكاية عرض المنازي عليه شعره أولاً بالمرّة وثانياً بها وهي الآية المنلى في الدلالة على الحفظ والذكاء

(٢) مآهد ١ : ٤٩ وليعلم أن ترجمته له صدى لصوت الصّفدي في الوافي -

(٣) ومن نظمه في المعنى قوله - ل :

وكيف أروم في أدب وفهم
دراسا والمآل هو اندراسي
وانظر آخر باب فدا لكة الآراء -

(٤) ١ : ٦ -

(٥) ص ٦٠ -

(٦) ص ٦٤ -

يبلغك . . . أي دفعت الأدب إلى جانب كليب ، وعقدته بأذن الضُّبَيْب « اه
وفي رسالته ^(١) إلى النُّسَكِيِّ وكان دعاه أبا العَلَى (مقصورا) ومحمدا بدل أحمد
فنعى عليه سوء حفظه ثم قال «فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم أنس أيامه
ولا مذاكرته . . . فعهدى به تعجبه هذه الأرجوزة» اه. وهذا كله دليل على أن
هذه المعارف اللغوية والنحوية والتاريخية والدينية وغيرها مما نجده مبثرا في كتبه
ورقاعه ، ومما يُدهش اللبيب ويُسكلُّ من حدِّ بنائه ويراغه . ومن فنون يضيق
عنها نطاقُ الدهر ، وغايةٌ يحصرُ دونها نجائبُ العمر . وغرائبُ الأخبار ،
وطرائفُ الآثار . كلها من مكاسبِ صباه وشرِّحه ، وثمر غُضِّ لريعانِ عمره
قبل حُكْمته ورَسَخِهِ . وظاهرُ أن عقد الثلاثين لا يفي بجمع مثل هذا العلم الجَمِّ .
مالم يكن ثمَّ واعيةٌ لا يشدُّ عنها شيء حلَّ بها أو أمَّ ، وبحرُ حفظٍ لُعْبابه
زَخْرُ وطَمَّ . وكيف لنا بالتكذيب والتبريزي أحد انتقالات الأثبات فيما ينقله .
وهذا ابن القارح يشهد له بذلك ويفضله فيه على أعيان أشياخه قال ^(٢) « والعجب
العجيب والنادر الغريب حفظه . . . لأسماء الرجال والمشهور كحفظ غيره من
الأذكياء المبرزين المنظوم . وهذا سهل بالقول صعب بالفعل » (ثم رجحه فيه على
ابن خالويه وأبي الطيّب اللغوي وأبي عمر الزاهد الأسوة في الحفظ .)
لولا بدائع صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عَصَب .

وقال الذهبي مع عداوته له : « ويقال عنه إنه كان يحفظ ما يمرّ بسمعه . وكان
عجبا من الذكاء المفرط والاطلاع الباهر على اللغة وشواهدا » ^(٣) - وأوثق من كل

(١) ٧٧ - (٢) رسالته ٢١٠ - (٣) ونجد في الامية كثيرا من مفاتيح الحفظ

فان حرارة البلاد ترقق المزاج وتلطف الاخلاط والامشاج . والبلاد قد انجبت وأعرق .
وكنت قد قرأت في بعض الجرائد أن بمدارس صبية من مشركة الهند حفظت عنها كتب
هندسكريفية وهي لم تعد الثامنة من العمر بعد فأشار الاطباء على اهله ان يخلوها وشأنها في
حجرة فارغة من الشواغل ابقاء على دماغها ورفقا بواعيتها

ما مر مارواه ابن العديم في العدل أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه فأجابه
بتموله « ما سمعتُ شيئاً إلاَّ وحفظته وما حفظت شيئاً فنسيته »

ولكن هذا الحفظ الباهر بطاعته اختلَّ في كهولته على ما يقول . ل :
رَضِيتُ مُلاوَةً فَوَعِيتُ عِلْمًا وَأَحْفَظُنِي الزَّمَانَ فَقُلَّ حَفْظِي ✓

طلبه للعمل

لم يكن بيته من العلم مجدياً ، بل كان جنبه بالأدب مُخَصِّباً . فقرأ أولاً
النحو واللغة على أبيه بالمعرة وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحويّ بحلب
وغيرهما من بني كوثر وأصحاب ابن خالويه ، ومنهم أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز
صديق النُكَيْتِي الذي بعث إليه أبو العلاء ر ٢٧١ . وسرد ابن العديم في الباب
الرابع من العدل أسماء شيوخه بالمعرة وحلب وبغداد ولعل هذا وهم منه فانه
لم يتلمذ ببغداد لأحد كما سنبحث عنه .

وأما علمه بالحديث فانه يحدث عن أبيه وجده^(١) . وسمع بالمعرة عالياً من يحيى
ابن مسعر^(٢) التنوخيّ صاحب أبي عروبة الحرّانيّ وجزءاً من أبي الفتح^(٣)
محمد بن الحسين صاحب خيشمة في صباه^(٤) . قال السلفيّ^(٥) حدثنا الخليل بن
عبد الجبار بقزوين وكان ثقة حدثنا أبو العلاء التنوخي بالمعرة حدثنا أبو الفتح محمد بن
الحسين حدثنا خيشمة فذكر حديثاً . وروى السيوطي في ختام بُغْيَتِهِ^(٦) بطريقه حديثاً
مسنداً يتعلق بغرض لصاحبنا ونلّمُ بذكره في محله فأحبينا إيرادَه هنا . قال

(١) بنية ١٣٦

(٢) لا مصير كما هو عند ذ ١٤٤ ولعل هذا التصحيف من اتكاله على المآخذ الافرنجية -

(٣) الازدي الموصلي الحافظ الف في علوم الحديث . ترجم له ابن حجر في اللسان ١٣٩:٥

ومات سنة ٣٧٤ هـ -

(٤) ذهبى ١٣٠ واللسان ١ - ٢٠٤

(٥) ذهبى ١٣٢ - (٦) ص ٥١٠

«شافهني أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المِراغيّ بالمدينة الشريفة عن والده عن الشرف البارزيّ أخبرنا الكمال بن العديم حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن البناء البغداديّ بدمشق أنبأنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر الزاغونيّ حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباريّ من لفظه أنبأنا أبو العلاء المعريّ قراءةً عليه بالمعرة حدثنا أبو زكريا يحيى بن مسعر التنوخيّ المعريّ حدثنا أبو عروبة بن أبي معشر الحرّانيّ أنبأنا هو بَرّ حدثنا محمد بن عيسى الخياط عن أبي الزناد عن أنس بن مالك (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول «إن الحسد لأكُل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب وإن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار»، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنةٌ من النار» وقال في الغفران ^(١) بعد أن نقل عن أبي معشر المدنيّ في كتاب المبعث حديثاً في ذبحه عليه السلام ذبيحة للأصنام ثم إنه ألقاه بمنع زيد بن عمرو «وفي حديث آخر وقد سمعته باسناداً أن تميم بن أوس الداريّ كان يُهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة راويةً من خمر فجاء بها في بعض السنين وقد حرّمت ^(٢) الخمر فأراقها. قال السلفيّ ^(٣) قرأت القراءات بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات. وقال السمعاني سمع الحديث اليسير وحدث به. وقد عقد الصاحب ابن العديم باباً وهو السادس من العدل في ما وقع إليه من حديث أبي العلاء ^(٤) مسنداً وروى منه شيئاً غير يسير -

وأما علمه باللغة والنحو والأدب فهو الغاية القصوى. قال الصفدي وعدد من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها «وأبو العلاء المعريّ في

(١) ١٧٦

(٢) في الأصل حرحت ؟

(٣) ذهبي ١٣٥ واللسان عدد ٦٤٢

(٤) غيث ١١٨ : ١

الاطلاع على اللغة . ولا يكاد يقضي العجب من تبخره من طالع الغفران لاسيما (١) تفننه في قوافي بيتين للنمر بن تَوْلَب العُكْلِيّ حتى أتى على جُل حروف المعجم . ونقل المجد في البلغة (٢) عن محمد بن رادة اللغوي قال كان بالمشرق لغويّ وبالمغرب لغويّ في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما أبو العلاء وابن سيّده اهـ - وروى ابن العديم عن تلميذه التبريزي أنه قال « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعريّ »

وأما تبخره في علمي العروض والقوافي فبحسبك فيه مقدّمة اللزوم ورسالة له إلى النُكُتيّ وهي الـ ٢٧ ، وله تأليف فيهما

وله إمام بالفقّه والفروع والمذاهب قال صدر الافاضل في شرح قوله من :
في معشر كجِمار الرمي أجمعها ليلا وفي الصبح ألقيا إلى القاع

« في هذا البيت ما ينبغي علي أن أبا العلاء كان قد ضرب في الفقه بنصيب - وذلك أن كثيراً من الفقهاء يتوهمون أن الإفاضة من المزدلفة إلى منى ورمي جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ بعد طلوع الشمس من يوم النحر والصواب أنهما بعد إسفار الفجر من ذلك اليوم - فلذلك جعل أبو العلاء رمى الجمار في الصبح فله درّه من تحرير لا يغيض بحره هـ اهـ . ومما يدلّ له من اللزوم :

زكّوا على مذهب الكوفي (٣) أرضكم وجانبوا رأيه في مسكر طُبُخا
وانظر جميع شعره في المذاهب في النظرة -

وأما علمه بالملل والأديان وفرّق المسلمين فإن صفحات الغفران مُتَرَعّة به ويأتي الإلمام ببعضه آنفاً وفي النظرة -

(١) ص ١٤

(٢) في ائمة اللغة (خط)

(٣) أبي حنيفة رح

وكذلك الفرائض قال . ل :

هي الدنيا إذا طلبت أهانت وعالت والفريضة ذات عول

وكان يعرف شيئاً من الحساب أيضاً على عماء قال . ل :

وتداني الأيام يحدث قصصاً وازدياداً ، والجسم للنفس تبع

خمس في نظيرها خمس خمساً تنمت والنصف في النصف ربع^(١)

سما نفر ضرب المئين ولم أزل بحمدك مثل الكسر يضرب في الكسر^(٢)

وأما النجوم فإنه مع عدم إيمانه بأحكامها يعرف مالا بد للأديب منها

قال . ل :

والمال خدن النفس غير مدافع والفقر موت جاء بالاهمال

أو ماترى حكم النجوم مصوراً بيت الحياة يليه بيت المال

وكان آية في معرفة الأخبار والتاريخ الماضي والحاضر ، وهذا غفرانه ذكر

فيه جميع الزنادقة والملاحدة ومستطرفات أخبارهم ومستطرفات آثارهم حتى إنه

نقل في خبر فتح محمود الغزنوي للهند ما هو معلوم من إحراق المرأة نفسها

على زوجها الميت ويسمى بلسانهم ستي إلى غيره من أخبارهم وآرائهم ، وانظر

النظرة . وهذه رسالته في وفاة أبي بكر إلى خاله أبي القاسم تطرّف فيها بذكر

أكثر ملوك الأمم ، ومصيرهم للبلى والرمم . وصيرها مثلاً وأسوة ، ولمن

أتى بعده من نحو ابن عبدون قدوة . ومن شعره في المعنى . ل :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرّف

وهذا كله على أنه كان في صباه ظريفاً يدخل في كل فن من الجِدِّ والهزل ✓

(١) أي يحصل ٢٠ بضرب ٥ في ٥ في الزيادة و ١/٢ من ضرب ١/٢ في ١/٢ - ولم يفهم المعنى

محشى الزوم -

(٢) معناه كالسابق

وكان يلعب بالشطرنج والنرد على ما حكاه أبو الحسن الدلفي وكان رآه في
عنقوان شبابه بالمعرة على ما حكاه الثعالبي عنه في تيممة اليتيمية^(١). ومن شعره الى
لاعب . س^(٢) :

أيها اللاعب الذي فرس الشطرنج همّت في كفه بالصهيل
من يُباريك والبياذق في كفّك يغلبن كلّ رُخّ وفيل
تصرع الشاه^(٣) في المجال ولوجاً مردّي بالتاج والإكليل
أنت فوق الصولي^(٤) في هذه الخلّة مُزّرٍ في غيرها بالخليل
ومن ل في الدنيا :

في بُقعة من رُقعة يَسْرَت للبيدق الفتك بفرزانهما

إن لم تُحوّل فرازينا بياذقهم فالشاهُ فيل وذاك الفيل فرزان
قال الصفدي^(٥) وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنّداً
يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالى ويخطّهم

(١) نسخة باريس الخطية - وزعم مرجليوث ٣٠ أن هذا في زمن عزله وهذا غلط منه
ولعله لم يتأمل عبارة التيممة على أنا نربأ بصاحبنا أن يذهب عمره ادراج الرياح - وهو بقول س
١٤١:٢

جنيت ذنبا وألهي خاطري وسن
عشرين حولاً فلما نبه اعتذرا
وأما أبو الحسن فقد افترغت مجهودي في التطلب عنه فوجدته والحمد لله على ذلك في الصبح
المنبيء ١: ٤٢٤ وهو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن حمدان الدلفي العجلي النحوي شرح
ديوان المتنبي في عشر مجلدات قال صاحب البغية ٥٢ نقلاً عن ياقوت « أنه كان من أصحاب
الرماني وكان فاضلاً بارحاً ومات بمصر سنة ستين وأربعمائة » أقول كذا فيها وهو يورث
الاخلاق مع قول الثعالبي أنه لقيه قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة إلا أن يكون بلغ من
العمر ٩٠ سنة (٢) ٢: ٢٢٣

(٣) باللهاء بدون النقطتين

(٤) في التنوير هو أبو اسحق ولعل هذا وهم فالمرء به في الناس أبو بكر الصولي
الشطرنجي صاحب أدب الكاتب

(٥) الفيت ٢ : ٥١

ويغلبهم وما راغني فيه إلا أنه يقعد ويتحدث وينشد لنا الأشعار إلى آخر ما
حكى من أمره ثم قال « وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجله من يلعب
بالشطرنج » ثم ذكر رجالا يلعبون وهم غيب أو على عِدَّة رِقَاع في وقت. وظنى
أن صاحبنا أضرب عنه فيما زهد فيه من زهرات هذه الحياة على انه يشدد
الإيثار على من يضيع ساعة من عمره فيما لا يعنيه -

والظاهر انه لم يكن يعرف غير العربية من اللغات الا ان واعيته البديعة
حفظت له كل مامر بسمعه من كلمات غير العربية فنراه ينفث بها نقثا قال :
لا يُبْصِرُ الْقَوْمُ فِي مَعْنَاكَ غِسْلَ يَدٍ عَلَى الطَّعَامِ إِلَى أَنْ يُرْفَعَ السُّورُ
إذا قيل لك اخش الله مولاك فقل آرا !

والسور دعوة الوليمة وكل سرور. وآرا نعم. وكلاهما من الفارسية (١)
فياقَسْ وَقَعَ برزق الخطيب — ب وانظر بمسجدنا يا مُنْشِ
قالوا هو الناظر بالعبرية :

وقفت على كل باب رأيت حتى نهالك أبو ضابط
قالوا هو كنية الموت بالحشية :

وأما طلبه فقد انقضى قبل بلوغه عشرين سنة كما صرح بنفسه وصدع به
في (٢) ر له الى خاله أبي القاسم « وانصرفت (عن بغداد) وماء وجهي في سقاء
غير سرب. وما أرق من قطرة في طلب أدب ولا مال. ومنذ (٣) فارقت
العشرين من العمر ما حدثت نفسي باجتماع علم من عراقي ولا شام »

(١) وذكر في الغفران لفظ الباسنة والجمع بواسن بمعنى الاتاء ١٦٩ وهي هندية فيها

أحسب -

(٢) ص ٣٢ -

(٣) وأما مرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته ففهم انه لم يطلب العلم ولا المال بعد
العشرين وهذا لا يصح فانه لم يطلب المال قبل العشرين أيضا كما هو ظاهر من العبارة .

ولم يتكثر بالشيوخ والانتساب اليهم قبل العشرين أيضاً . ونقل القفطي^(١) عن التبريزي أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالبة بالسند فقال له : ان كنت تريد العلم فخذ عني ولا تعدني وان كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري . قال القفطي فهذا يدل على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وإنها في عصره لا نضج منها في عصر ابن السكيت . أقول وكأن أبا الفداء لاحظ هذا المعنى حيث قال لم يتلمذ أبو العلاء لأحد أصلاً . على أن الملك المؤيد رحمه الله وهو بَلَدِيَّة لم يمنحه استيلاءً بالحامده كبير جانب من الالتفات . قتره يأتي^(٢) في ذكره وهو نحو تسعة أسطر بالأقوال المرغوب عنها .

هذا وفي الضرام أنه تلمذ على عبد الوهاب بن نصر المالكي [والظاهر ببغداد أو بعد الرجوع] الذي أرسل إليه أبو العلاء ثلاثين درهما مع قطعة^(٣) في الاعتذار وذكره في أخرى^(٤) إلى التنوخي الصغير أيضاً - ولعله اغتر بقله في الأولى :

وما أنا الا قطرة من سحابة ولو أنني صُنِّفْتُ ألف كتاب

وفي الاسعاف^(٥) والبغية^(٦) أنه سمع من عبد السلام بن الحسين البصري [ببغداد] ولعله اغتر برواية المعري عنه بلفظ « حدثني » حكاية^(٧) جرت

(١) ذ ٣٠٤ -

(٢) ١٧٦ : ٢ وقال ابن الوردي في مختصر أبي الفداء وقد طالت هذه الترجمة فاني رأيت المؤلف (ابا الفداء) سأل الله غض من الشيخ فاحببت أن ابنه على ذلك اه

(٣) س ٢ : ١٣٨ و ١٣٩

(٤) س ٢ : ١٤٠

(٥) في شرح أبيات الكشف للخضر الموصلي ١٦٣ من نسخة حيدر آباد . وقد زاد ضففا

على ابالة حتى سماه عبد الله اه

(٦) ١٣٦

(٧) الوفيات ٢ : ٣٥٠

في مجلس السيرافي وكانت سبباً لتجرّد ابن السيرافي يوسف في طلب العلم. ولكن فيها « وكان لي صديقاً صدوقاً » ولا يقال مثل هذا في الشيوخ ، فكلا الرجلين إما غالط أو مغالط . وكان الرجل أعمى لا يستطيع أن يقرأ بنفسه شيئاً . فان قرأ له أحد أو ذاكره بشيء لا يتدرج الى استاذيته وإلا فجُملة تلامذته أساتذة له . نعم إن عبد السلام كان أسنّ منه وندكره في رحلة بغداد .

بمهذّب ذكر هاتيك العلوم ، في اللزوم

﴿ النحو واللغة والعروض ﴾

تولّى سيبويه وجاش^(١) سيب من الأيام فاختلّ الخليل
ويونس أوحشت منه المغاني وغيره مصابه النبأ الجليل
أتت علل المنون فما بكاهم من اللفظ الصحيح أو العليل
ولو أن الكلام يحس شيئاً لكان له وراءهم أيل
ودلّتهم^(٢) إلى حفر أياذ لنا بورودها وضح الدليل

أصاب الأخفشين^(٣) بصير خطب أعاد الأعرشيّين^(٤) بلا حوار
ورغيل المازني من الليالي بزند من خطوب الدهر وار
وللجرمي^(٥) ما اجترمت يداه وحسبك من فلاح أو بوار
فأما فرخه^(٦) فبلا جناح يطير بحمل أثقال جوار

(١) مجرى الماء والنهر (٢) التذلية

(٣) الأكر والأوسط أي أبو الخطاب استاذ سيبويه وتلميذه أبو الحسن سعيد بن مسعدة

(٤) اعشى قيس الأكر ميمون بن قيس واعشى باهلة طمر بن الحرث .

(٥) صالح بن اسحق مولى جرم بن زبان المتوفى سنة ٢٢٥ هـ بقيه ٢٦٨ .

(٦) كتاب للجرمي في النحو - ابن النديم ص ٥٧

ثم بعد وصف الفرخ في ٧ أبيات :

وما تقع (١) المبرّد من حميم وصادت ثعلباً نُوبٌ ضوارٍ

أرى ابن (٢) أبي اسحاق أسحقه الردي وأدرك عُمرُ الدهر نفس أبي عمرو (٣)
تباهاوا بأمر صيرّوه مكاسباً فعاد عليهم بالخشيس من الأمر (٤)

تخيّل من بنى الدنيا غداً عجياً للمفكرين وكل الناس محسور
كأن إعراب أعراب ثوواً زمننا بالدوّ فينا بحكم النحو مأسور
فناطق يسكن الأمصّار من عجم نطق ابن يدياً لَمَّا يحوه سور
وناظم لعروض الشعر عن عرّض وما يُحسُّ بأن البيت مكسور
ومعتدٍ بحبال الصيد ينصبّها كما يفى له من ذاك ميسور

لا تقطع الحين مغتاباً لغافلة من النفوس ولا تجلس إلى السمر
توخّ نقل أبي زيد وكتب أبي (٥) عمرو وخلّ كلاماً في أبي عمر (٦)

﴿التجويد﴾

صار الكتاب أغاني الغواة لهم به أغاني في حمّ و الزمر
صلّوا به ثم صلّوا في مظالمهم مثل السيوف على المستأنس القمر

(١) في الاصل نفم بالغاء مصحفاً .

(٢) أبو بحر عبد الله من متقدمي النجاة توفي سنة ١١١٧ هـ

(٣) ابن العلاء معاصر بن أبي اسحاق توفي سنة ١٠٥٤ هـ (٤) وبعده :

بكسوة برد او باعطاء باقة من العيش لاجم العطاء ولا غمر
ولم يصنعوا شيئاً ولكن تنازعوا اباطيل تضحي مثل هامة الجر

(٥) ابن العلاء او اسحق بن مرار الشيباني -

(٦) الزاهد غلام ثعلب اتهم بوضع اللغة من جهة سوء حفظه والمحدثون يوثقونه - انظر
النزهة وأدبا

تلا كتاب الله من حفظه من هو بالكأس مليء حفي
كأنه من سوء أفعاله يبدد الخمر على المصحف

خمساً وعشراً أجادوا في قراءتهم ووفروا المال من خمس ومن عشر
وانظر كلامه في النظرة في باقى العلوم

ابن خالوية واصحابه وآل حمدان

ملوك آل حمدان كانوا في جلب العلماء، والرغبة في الأدب والادباء،
بحيث سار بأخبارهم الركبان، وطار طائر صيتهم في أقاصي البلدان. كانوا
يرتاحون للندى، ويزيلون من محروفي العلم الصدى. فاجتمع ببابهم، وانضوى
بجنبهم. ومال إلى حضرتهم، ورغب في كنفهم وناحياتهم، من جلة الشعراء
وجهابذة الفضلاء، ما صاروا محسودين به بين ملوك الأطراف. وأحدثه في
السامر والألاف. وهذا كبش ملوك الطوائف وفحلهم فنا خسرو جلب من
حلب أبا على الفسوي، حتى مال إلى حضرتهم وضوي. وهذا أبو الطيب لم ير
لمدحه محلا صالحا بعد سيف الدولة إلا عضد الدولة. ولم ينتثر نظام وفوده، ولا
سلك عقوده. إلا بعد نكبات الروميين بالشام، ومصابهم ببلاد الإسلام
بمحن وآلام. ولا نجد في تاريخ المسلمين على سعته في الصقب والبعد، ولا في
جرائد أخبارهم على طول الأمد. ممدحا شرواه، ومملكا يجرى مجراه. في
إسناء الجوائز والصلوات، وإعطاء اللهى بعد اللهى على عواد من الدهر الخؤون
وهنات. وكان (١) المثني لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال قد
تجاوزت في قولي واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان. وهذا شاعر أفخم
ملوك الطوائف بالأندلس لما رأى صاحبه يتمثل بيت من شعر شاعر سيف
الدولة قال:

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فإنما بجود العطايا والآلهة تفتح الآلهة
تذبذباً عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتألهها

على أن كلهم أو جلهم شعراء وصيارفة الشعر وجهابذته . فسيف الدولة
شاعرٌ أيُّ شاعرٍ وكذلك أبو فراس ^(١) الذي قيل فيه على قولٍ « بُديء
الشعر بملك وختم بملك » يعنون امرأ القيس وإياه . وقد أطنب الثعالبي في
ترجمته وإيراد غرر شعره وأسهب . والحق أنه أرقص وأطرب . ومنهم ثم
من مُعاصري صاحبنا أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة ترجمه له الثعالبي في
اليتمة وتتمتها . وأورد أكثر شعراء حضرة سيف الدولة وناهيك به وبيانه ،
فقد تسلسل دُرّ بنانه ، وعقد جمانه . فراجع كتابيّه . وإنما نتطرق ببعض ما
وجدناه عند غيره .

وهذا لفظ ^(٢) محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الهلباجة « وقد خدمتُ سيف
الدولة - وأنا ابن ١٩ سنة تميل بي سنة الصبا وتنقاد بي أريحية الشباب - بهذا
العلم ، وكان كلفاً به علماً علاقة المغرم بأهله منقياً عن أسرارهِ . ووزنتُ في
مجلسه - تكرمة وإدناءً وتسويةً في الرتبة ولم تُسفر خدّاي ^(٣) عن عذاريهما -
بأبي عليّ الفارسيّ وهو فارس العربية وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين
سنة . وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز في علوم العربية تصرفاً في
أنواعه ، وتوسعاً في معرفة قواعده وأوضاعه . وبأبي الطيّب اللّغويّ وكان كما
قيل حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً (ثم أورد أبياتاً له في مدح سيف الدولة

(١) وبحسبك في فضله واحراز خصله حكاية ادعائه السرقة في بيت بيت من ميمية المتنبّي
في عتاب سيف الدولة انظرها عند البديمي ٦٧: ١ -

(٢) ادبا ٦ : ٥٠٣ -

(٣) في الاصل خدّاي مصحفاً -

ثم رسالة مخاطبة جرت بينه وبين المتنبّي.

وعمدة الباب العلامة اللغويّ ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد رَحْلَةُ الشام فقد أقام بحلب إقامة لا ظاعن في بعد أو كُشِب. ودّع ببلده همدان، وفارق الأوطان. وخيم بحلب إذ وجد الجنب مخضلاً، فأهلاً به وسهلاً لا محتويّاً ولا مجفوّاً مُهْمَلاً. قال الثعالبي^(١) وابن خلكان: وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب. وكانت إليه الرحلة من الآفاق. وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه. وهو القائل دخلت يوماً على سيف الدولة فلما مثلت بين يديه قال لي اقعد ولم يقل اجلس. فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب. يعني لأن المختار أن يقال للقاء أقعد وللنائم والساجد اجلس ذهاباً إلى أصلهما من الاشتقاق. وكان درس على أبي عمّر الزاهد وأبي بكر بن الأنباري وابن دريد ونفطويه. وفي البغية^(٢) رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطه قال رأيت في جزء من أمالي ابن خالويه سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا لا. فقال لابن خالويه ما تقول أنت؟ قلت أنا أعرف اسمين. قال ما هما؟ قلت لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى. فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجرّمي في كتاب التنبيه وهما صلفاء وصلافي وهي الأرض الغليظة وخبراء وخبارى وهي أرض فيها ندوة ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في الجمهرة وهي سبتاء وسباني وهي الأرض الحشنة اهأقول ولكنه زاد في (كتاب^(٣))

(١) القيمة ١ : ٧٦ وقوله ينتهي على > يقتبسون منه < والباقي من الوفيات ١ : ١٥٧

(٢) ٢٣٢.

(٣) مصر : ٢٠.

ليس) له : ثلاثة أحرف أخرى وهي وحفاء ووحافى أرض فيها حجارة ونَبَخَاء ونبأخى ونَفَخَاء ونَفَاخى اه ومات سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ ولم يَرِم ابن خالويه من حلب حتى لقي قضاءه المحتوم ، وأجله المرقوم ، سنة ٣٧٠ هـ أي حين بلغ صاحبنا ثمانية أعوام غير أشهر فلم يتمكن من الاقتباس من شموسه ، أو الاستفادة من دروسه . ولكنه خلف أصحابا وتلامذة أنجبا . أخذ عنهم صاحبنا في حلب وغيرها من أمهات بلاد الشام . وذ كر منهم أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز في ر له الى النُكُتي : والأسف أن الرجلين لم يتعرفا لي بعدُ مع طول التنقيب . وصاحبنا يذكّر ابن خالويه بكلّ أدب . ويصف بحر علمه الزاخر ذا التيّار والعَبَب ، ويصبو اليه والى ذكره ، صَبَوَة الواله الى بكره . جرى ذكره في الغفران ^(١) بما نصّه (قال في ابن القارح) « وجلس لهم في بعض المساجد بحلب حرسها الله فإنها من بعد أبي عبد الله بن خالويه عطلت من خلخال وسوار ، ونارت من الادب أشدّ النوار » . وكان ابن القارح ^(٢) كتب اليه في شأن حفظه ما نصّه بعد ما مرّ ذكره في فصل الحفظ « **حدثني** أبو علي الصّقلّي بدمشق قال كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه وأخرج كتب اللغة وفرّقها على اصحابه يفتشونها ليحجب عنها وتركته وذهبت الى أبي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحمره فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب . وقال أبو الطيب قرأت على أبي عمر [الزاهد غلام ثعلب] الفصيح واصلاح المنطق حفظا اه فأجاب عنه في الغفران ^(٣) « واما ابو عبد الله بن

(١) ١٧٨

(٢) رسالته ٢١١

(٣) ١٩١

خالويه وإحضاره للبحث النسخ . فانه ما عجز ولا انسخ (أي نسي) ولكن
الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً
أرى الحاجات عند أبي خبيب نكدن ولا أمة بالبلاد
أين كأبي عبد الله ؟ لقد عديمه الشام ، فكان مكة إذ فقد هشام^(١)
لأن الشاعر رثاه فقال :

أصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام

(مع بيتين يتلوانه) وأبو الطيب اللغوي اسمه عبد الواحد بن علي ، له
كتاب في الاتباع صغير على حروف المعجم في أيدي البغداديين . وله كتاب
يعرف بكتاب الإبدال قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب . وكتاب يعرف
بشجر الدر سلك به مسلك أبي عمرو^(٢) (؟) في المداخل . وكتاب في الفرق
قد أكثر فيه وأسهب ولا شك أنه ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم
قتلوه وأباه في فتح حلب وكان ابن خالويه يلقبه قرموطة الكبير ثل يريد حروجة
الجيل لأنه كان قصيراً « إلى آخر ما ترجمه به وإنما طوّلت لأني لم أر لأبي
الطيب صاحب مراتب النحويين^(٣) ترجمة أوفى من ترجمة صاحبنا . وهذا كله
يدل على أن الذين فاقوه في لقاء متقدمي الشيوخ كانوا يعدونه من بينهم أو
أفضل ، وأعلى منهم كعبا وأمثل . وكان ابن القارح تلميذ ابن خالويه وأبي علي
وأبي سعيد والرّماني والمرزباني وغيرهم كما صرح بنفسه في رسالته^(٤) . وهذا

(١) ابن المنيرة سيد مخزوم وهم ريعانة قريش . وعزا ابن أبي الحديد هذا البيت في

٤: ٢٩٣ إلى عبد الله بن نور الحفاحي وفي ٢٩٧ إلى الحرث بن أمة الصعري (؟ الضمري)

(٢) كذا غلطا والصواب حذف الوار وهو الزاهد المطرز غلام ثعلب له كتاب

بهذا الاسم . بنية ٧٠

(٣) بقي منه نسخة بخرانة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا حفظه الله تعالى

(٤) ٢٠٨

النُّكْتَى يَكاتبه صاحبنا مكاتبة الأقران للأقران ، ويجري معه في الرِّهان ، طَلَّقَ الجُمُوحَ ومَطْلَقَ العنان . بل يأخذ عليه بعض ما سبق به قلمه أودعته إليه الضرورة الشعرية ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرَّج ، وهو ممن على أقران ابن خالويه تَخَرَّجَ .

ومن أصحاب ابن خالويه غير من مرَّ أبو على الحسن^(١) بن على الشيزري وأبو بكر الخوارزمي^(٢) وعبد المنعم بن غليون^(٣) والحسن بن سليمان^(٤) إلى غيرهم

وفاة والده

وبينما كان يشتغل بالتعلم إذ فجئة وفاة والده الحبيب عبد الله . وكان مات بحِمَصٍ سنة ٣٧٧ هـ ليلاً^(٥) . أي حين ناهز صاحبنا ١٥ عاماً من عمره^(٦) . فرثاه وذكر أنه كان شاعراً كإخوانه وأبنائه وأسلافه ، كما في الضرام ومعجم الأدباء - قال . س :

أَمْوَالِي الْقَوَافِي كَمْ أَرَاكَ انْقِيَادُهَا لَكَ الْفَصَحَاءُ الْعُرْبُ كَالْعَجَمِ الْأَكْنَ
وَيَدِلُّ شَعْرَهُ هَذَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ ، وَكَانَ طَاهِرَ الذَّيْلِ دِينًا وَقَوْرًا
لَبِيًّا صَمَوْتًا حَسَنَ السَّمْتِ مَرْضِيَّ الطَّرِيقَةِ . وَلَسْنَا نَتَعَرَّضُ لَهْجَيْنِ^(٧) هَذَا

(١) ترجم له ابن عساكر ٤ : ٢٣٦ (٢) نزهة ٣٨٤ - (٣) الشافعية ٢ : ٢١٢ وفي البغية ٢٣٢ عبد المنعم بن عبيد الله وانظر - (٤) بغية ٢٣٢ -

(٥) كما في مرثيته وفي الضرام - (٦) لا ١٤ كما زعم غير واحد ومنهم صاحب ذ ١٤٨

(٧) كما فعله صاحب ذ ١٤٥ - وفي س كثير من قصائد صباه وبعضها أقدم من هذه القصيدة - ولعله يصعب عليه أن يهجنها مع أنه ليس ثمة دليل على أن هذه قيلت بعد الوفاة متصلاً - على أن الوجوه التي أبانها مستبشرة ليس وراءها ما يهم - وعلى أن له من الشعر قبل ١٥ عاماً من عمره مالا يمكنه أن يستخرج فيه ما يفيض به منه إذ ذاك . وانظر « شعر صباه »

الشعر لأنه شعر الصبا . والقصيدة جيدة تُذْيء عن نبات الصدر ، وتنمُّ بما سيكون له من الخطر والقدر ، في قرّض الشعر . وإني لأعجب ممن يضعف كل بيت منه من جهة الصنعة مع اعترافه بأنه شعر رجل أوتي الحكم صبيًا ، وخلق المعيا ذكيًا . وهذه التأينة تدل على أنه زهد في الدنيا ورغب عنها ورأى كل حلوها مرًا مقررًا ، وكل صفوها كدرًا . وفيه تقوية لقول القفطي والذهبي ^(١) أن شعره في الصبا ينمُّ عن بعض ما تعلمه بأنطاكية واللاذقية على ما سيأتي فمن ذلك قوله . س : ^(٢)

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي يراد بنا ، والعلم لله ذي المن إذا غيب المرء استسر حديثه ولم يُخبر الأفكار عنه بما يُغني وانظر في النظرة « أتى الدنيا كرها وفارقها كذلك » وما يجاوره . ثم يقول في أصحاب القبور المجاورة لآبيه :

طلبتُ يقينًا يا جهينة عنهم ولم تخبريني يا جهين سوى الظن
وذكروه ببغداد متناسيًا ^(٣) س :

نسيتُ أبي كما نسيت ركابي وتلك الخيل أعوجَ والجديلا

رحلته إلى بلاد الشام

﴿ وتشتت آرائه وزهده في ملاذ الحياة ﴾

ليس بأيدينا ما يدل على تعيين سنّها إلا أننا رأينا أن الرجل لم يكن يحتاج إليها ووالده حي وعمره قصيرٌ - أما رحلته إلى حلب فقد ذكرها في

(١) ذ ١٤٥ والمعجب من صاحبها حيث يقول بعد نقل قولهما « ولكنهما لم يرويا شيئاً

من هذا الشعر » هذا وقد اتينا بشعره في المعنى - (٢) ١ : ١٩٥ -

(٣) ٢ : ٢

قصيدة له ^(١) إلى أبي إبراهيم محمد بن إسحق العلوي الحلبي . س :

ليت التحمل عن ذراك حُلُول والسير عن حلب إليك رحيل
وهو الذي ^(٢) رثاه وقد مات بحلب بقصيدة آخرها :

لعلك في يوم القيمة ذاكري فتسأل ربي أن يخفف من إثمِي
ولعله كان يتردد اليه بحلب إذ أقام بها عند أخواله . وكان أبو إبراهيم
ضرب من قرض الشعر بنصيب . فأنفذ اليه نونية أجاب عنها صاحبنا بمثلها ^(٣) .
وله أخ شاعر يدعى أبا إبراهيم ^(٤) موسى بن إسحق أجاب صاحبنا ^(٥) عن
حائية له . وذكر في الغفران عدة من أمرائها وحوادثها ورجالها ^(٦) .

قال القفطي ^(٧) والذهبي إنه بعد أخذه عن علماء بلاده رحل الى طرابلس
وكانت بها خزائن كتب موقوفة فاجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له
علم بأقاويل الفلاسفة فسمع أبو العلاء كلامه فحصل له به شكوك ولم يكن عنده
ما يرفع به ذلك فحصل له بعض الحلال ^(٨) وأودع من ذلك بعض شعره فمنهم من

(١) س ١ : ١٨٣ وفي العنوان اسمه إبراهيم وهو مصحف عن أبي إبراهيم وانظر
في المتن ١٨٤ حيث ورد اسمه محمد -

(٢) س ١ : ٢٠١ قال صدر الافاضل هذا البيت يشهد لقائله بصفاء الاعتقاد وحسن
الايمان وفي ذ ٢٦ أن أبا العلاء لم يسم المرثي في الديوان ولم يدلنا عليه التاريخ وهذا لا يصح
فإن اسم المرثي ورد في العنوان وفي القصيدة نفسها مرتين

(٣) ١ : ٩٠ ورد هنا في اسمه في العنوان أبو إبراهيم موسى بن إسحق وفي نسخة
أبو إبراهيم فقط والصواب محمد انظر بيتا له ص ٩٥

(٤) كذا وردت هذه الكنية للأخوين وورد اسمه موسى في متن س ١ : ٦٤

(٥) س ١ : ٥٦ -

(٦) عبد المنعم قاضيها أيام شبل الدولة ٥٨٠ الأمير أبو المرجى ٦١ طهاتها ٦٥ الزاهدة
حمدونة الحلبي ٧٣ [قتل والي حلب أبا جوف ١٦٩ وابن عساكر ٣ : ٤١٨ ابن القارح
بحلب ١٧١ -

(٧) ذ : ١٦٥ وذهبي ١٢٩ -

(٨) ومر لنا ذكر شعره في الباب من س -

يقول ارعوى وتاب واستغفر اه ومثله عند الصفدي ^(١) والسيوطي والعباسي .
ولا نستبعد ^(٢) أصلاً أن يستغوى راهب - قد أكل الدهر عليه وشرب - ناشئاً
غراً هم أترابه في اللهو واللعب - وكانت اللاذقية إذ ذاك بيد الروم بها قاض
وخطيب وجامع لعباد المسلمين إذا أذنوا ضرب الروم النواقيس ^(٣) كياداً لهم
ويُحلُّ له شعر في المعنى انظره في الحاء من الفائق . وحدّث في الغفران ^(٤)
حكيتين في أبي الطيّب وبدء أمره لما كان بديوانها إحداهما عن رجل منها كان
أبو الطيب استخفى عنده . وأما خزانة طرابلس فقد قال ابن العديم « قد ذكر
بعض المصنّفين أن أبا العلاء رحل الى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها واشتبه
عليه ذلك بدار العلم ببغداد ولم يكن بطرابلس دار علم في أيام أبي العلاء وإنما
جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمّار
سنة ٤٧٣ هـ وكان أبو العلاء مات سنة ٤٤٩ هـ ووقف ابن عمّار بها من تصانيف
أبي العلاء الصاهل والسجع السلطاني والفصول والسادن وإقليد الغايات
والإغريض » اه أقول وكانت الخزانة ^(٥) إحدى عجائب الدنيا ولكن أحرقتها

(١) نكت ١٠٣ بنية ١٣٦ ومعا ١ : ٤٩ -

(٢) كمرجليوث فانه ارتاب من وقوعه زعمانه أن الاعراب ينسبون الى الرهبان كل سوء
سواء واخترع لدخول الشكوك في عقيدة أبي العلاء وجهاً لا يرتضيه كل من له أدنى مسكة
وهو أن الذي حدا صاحبنا حدوه من الشعراء هو المتنبّي وكان لا يذكر الانبياء بالتبجيل
اه وظلم منه أن يقيسه بالمتنبّي وهو لم يقتد به في التملق للمدحيين ولا في غيره من الامور
ويبينهما في الآراء والافكار يون ليس بهين فكيف القياس من الفارق - وحبه للمتنبّي علبس
الا من جهة اقامته بوطن أبي العلاء كما كان يحب ابن خالويه وأبا الطيب اللنوي وغيرهما من علماء
حلب دون الفارسي مع ان منزلته مما لا يحمله اثنان (٣) انظر رسالة ابن بطلان في
الحكماء للقفطي مصر ١٩٥ (٤) ١٣٦ وشعره في اللاذقية الذي المعنا اليه مما يقوى
المعنى - على ان القفطي اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

(٥) وكانت تسمى دار العلم وكان بها ثلاثة آلاف الف الف (٤) كتاب وخمسون الف مصحف
وعشرون الف تفسير وقال الشيخ يحيى بن أبي طي حميد النجار الحلبي لم يكن في جيم البلاد مثلها
كثرة وحسنا وجودة - وانظر مانشر من تاريخ ابن الفرات في الزهراء ص ١١٠ سنة ١٣٤٤ هـ

الفرنج سنة ٥٠٣ هـ

وأما رحلته الى أنطاكية (وتملكها الروم ^(١) ٣٥٣ - ٤٧٧ أي مدة حياة أبي العلاء وقبيلها وبُعِيدَها ثم استردّها منهم السلاجقة) فقد مرّ ذكرها في حكاية أسامة في فصل الحفظ - ولم أر أحدا من أصحاب التراجم ذكرها - ولكن شعر ل يشهد لها قال :

لا ينزلن بأنطاكية ^(٢) ورِعْ كَم حَمَلَّ الدين عَقْدُ للزنانير
بها مُدَام كَذُوب التبر تَمَرُّجُه للشاريين وجوه كاللدنانير
بيض لوايس ديباج حمت لها سُودَ الإِماء وشعري الصنانير
وعندنا ما يَعْضُد قول القفطي والذهبي وهو أنه نقل عن كتاب بدء الخلق
من كتب التوراة في الغفران ^(٣) قال وذكر من نظر في كتاب المبتدأ حديث
طاوت لما أمر ابنته - وهي امرأة داود عليه السلام - أن تُدْخِلَه عليه وهو نائم .
فجعلت له في فراش داود زقّ خمر ودستّه عليه وضربه بالسيف وسالت الحجر
فظن أنها الدم - فأدركه الأُسف والندَم . فأومأ بالسيف ليقتل نفسه ومعه ابنته
فأمسكت يده وحدثته ما فعلته فشكرها على ذلك اهـ . ولا يُستغرب إن قلنا انه
أحال على غيره من ناظري الكتاب ، تنصلاً من القذف بالإلحاد أو الارتياب .
على أن الرجل أعمى لا ينظر . أي إن صنيعة هذا أحد الملاحن والمعاذير وهي
في الناص تكثر . واستعماله كلمة عبرية وأخرى حبشية على ما مر يشهد لمخالطته
بالقوم بالبلدين النصرانيّتين وهذا على كثير من عاداتهم وأخلاقهم التي ألمّ بها
في ل وراجع النظرة .

(١) بلدان رسم انطاكية -

(٢) وانظر لتحقيق لفظها الغفران ١٩٠ واللفظة مخففة الياء وشدها كأمري والقيس وزهير

(٣) ١٨٠ -

وقال الحافظ ابن حجر^(١) انه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم اه أقول
ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد فإنه بعد الرحلة لم يختص بتركه في موطن دون
آخر على أن أحدا من مترجميه لم ينقل عنه رحلة بعد الرجوع منها - والصواب
أن بدء زهده في ملاذ هذه الحياة : من ترك اللحم والاقتناع بالنبات ، وصوم
الدهر - غير إفطار العيدين - بعد هذه الرحلة بأعوام . وكذا معرفته
بالفلسفة وعلوم الأوائل واختلاف أرباب الديانات والمِلل فكُلّه في هذه المدّة .
وأما المقالات الإسلامية والنحل ، وعلوم أصول الدين والجَدَل . فإنه تعرّف
بها على ما هو الظاهر ببغداد ، إذ كانت نخبة المعتزلة والمتكلمين والمراد . وهذه
لَمُعٌ من كلامه تشير إلى مراده . قال في ر^(٢) إلى داعي الدعاة « وقد سمع العبد
الضعيف من اختلاف القدماء ثم أطال في ترتيب قضيته واستنتاجها في أن الله
(والعياذ به) لا يريد الخير - ثم قال - فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلاف
الأقوال وبلغ ثلاثين عاماً (أي بدء سنة ٣٩٣ هـ) سأل ربه إنعاماً ورزقه صوم
الدهر . فلم يُفطر في السنة ولا الشهر . إلّا في العيدين . وصبر على توالي الجديد
وظنّ اقتناعه بالنبات . يُثبت له جميل العافية » ثم أتى بما يستشنع ذكره
ويستبشع نشره مما يرمى إلى المروق . وأن فتوق دينه كما قالوا ليس لها من
رُتوق . وقال في أخرى^(٣) إليه « انه اجتنب عن اللحم ٤٥ سنة » ولا نسلم
قول^(٤) ابن الهبّارية انه توفّي بعد إرسال آخر ر إلى الداعي متصلاً فإن كلام أبي
الملاء يكذب به . والمرء يصدّق فيما يروى عن نفسه . ومما يشهد له قوله . من^(٥)

(١) اللسان ١ : ٢٠٤

(٢) ادبا ١ : ١٩٩ و ٢٠٠ -

(٣) ص ٢٠٧ -

(٤) ادبا ١ : ١٩٤ -

(٥) ٢ : ١٤١ -

جَنَيْتُ ذَنْبًا وَأَلْهَى خَاطِرِي وَسَنٌ عَشْرِينَ حَوْلًا فَلَمَّا نَبَّهَ اعْتَذَرَا
إِلَّا أَنْ رَأَيْهِ هَذَا كَانَ فَجًّا بَعْدَ لَمْ يَنْضَجْ إِلَّا بَيْغَادًا . فَانْهَ تَمَّ لَهُ بَعْدَ
الرجوع منها ما أراد . كما قال في . ل :

تَنَسَّكَتَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ضُرُورَةً وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَقُومَ الصَّوَارِخُ
أَنِي رَقَدْتُ فَعُمْتُ فِي لُجَجِ الْمُنَى ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَعَادَنِي اقْصَارُ
وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ عَنْهُ أَنَّهُ رَدَّ شَيْئًا مِنْ لَذَائِدِ الدُّنْيَا مَبَاحًا ، وَمِنْ رَغَائِبِهَا طَلْقًا
حَلَالًا أَيَّامَ أَقَامَتِهِ بِهَا . فَأَحْرَبْنَا أَنْ نَعِدَ الْقُرَاءَ بِفُرْصَةِ أُخْرَى ، وَزُورَةَ تُثَنِّي .

بضاعته

وعسره أو يسره

وَحَصَلْتُ مِنْ وَرَقٍ عَلَى وَرَقٍ بَيْضٌ يَشَقُّ مَتُونَهَا الْخَبَرُ
الَّذِي يَجْزَمُ بِهِ فِي الْبَابِ ، وَيُعْتَقَدُ حَقًّا لَامْرِيَّةً تَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ وَلَا ارْتِيَابَ . أَنَّهُ
لَمْ يَرِثْ مِنْ أَبِيهِ كَبِيرَ طَائِلٍ ، أَوْ خَطِيرَ نَائِلٍ . وَصَدَعَ الرَّجُلُ فِي ر (١) إِلَى الدَّاعِي
أَنْ الَّذِي لَهُ فِي السَّنَةِ نَيْفٌ وَعَشْرُونَ دِينَارًا يَشْرِكُ فِيهَا خَادِمُهُ (قَنْبَرٌ أَوْ غَيْرُهُ)
وَلَفْظُهُ «فَإِذَا أَخَذَ خَادِمِي بَعْضَ مَا يَجِبُ ، بَقِيَ لِي مَا لَا يُعْجَبُ . فَاقْتَصَرْتُ عَلَى
فُولٍ وَبُلْسُنٍ ، وَمَا لَا يَعْذُبُ عَلَى الْأَلْسُنِ . فَأَمَّا الْآنَ فَإِذَا صَارَ إِلَيَّ مَنْ يَخْدُمُنِي
كَبِيرٌ [مَا] عِنْدِي . وَعِنْدَهُ هَيِّنٌ . فَمَا حَظِّي إِلَّا الْيَسِيرَ الْمُتَعَيِّنَ . وَلَسْتُ أُرِيدُ
فِي رِزْقِي زِيَادَةً ، وَلَا أُؤْتِرُ لِسُقْمِي عِيَادَةً » أَهْ ثُمَّ إِنَّ الدَّاعِي كَتَبَ إِلَى تَاج (٢)

(١) ادبا ١ : ٢٠١

(٢) ادبا ١ : ٢٠٤ . وَهُوَ أَبُو الدَّوَامِ ثَابِتُ بْنُ ثَمَالٍ بْنُ صَالِحِ بْنِ مُرْدَاسٍ الَّذِي عَمِلَ
صَاحِبًا لَابَنِهِ عَزِيزِ الدَّوْلَةِ الْأَمِيرِ الْعَزِيزِيِّ وَيَأْتِي رَاجِعًا ادبا ١ : ١٨٨ ، أَوْ لَيْسَ صَدَقَةً بِنِ
يُوسُفَ الْمَلَاخِي كَمَا زَعَمَ مَرْجَلِيوُثٌ وَلَا سَمَاءُ أَحَدُ تَاجِ الْأَمْرَاءِ . وَكَانَ أَمْرَاءُ آلِ مُرْدَاسٍ
يُخَضِّعُونَ لِدَعْوَةِ الْعَبِيدِينَ وَكَانَ الْإِفْتَاءُ بِحَلْبٍ نَحْوَ سَنَةِ ٤٤٠ هـ وَهِيَ سَنَةُ هَذِهِ الْمُرَاسَلَاتِ عَلَى
مَذْهَبِهِمْ كَمَا نَقَلَ ابْنُ بَطْلَانَ وَانْظُرْ فِي الْبُلْدَانِ رَسْمَ حَلْبِ

الامراء أن يتقدم إليه بما هو بُلغة مثله من ألدّ الطعام . فأجابه بعد الدعاء للتاج أن يجعل الله له جميع جبال الشام ذهباً . انه يستحي من حضرة التاج أن ينظر إليه بعين من يرغب إليه في العاجلة . وقال الذهبي وابن حجر ومن تبعه أنها ثلاثون ديناراً . ولكن القول في هذا قوله . فنقدّها بخمسة وعشرين تقريباً والذي كان يصل إليه منها زهاء اثني عشر ديناراً أي نحو خمس جنيهات إنكليزية ويدلنا غفرانه أن الذي كان خلقه أبوه عقار كان يُكرِّيه ولفظه ^(١) «وكان لي كَرِيٌّ من اهل البادية يعرف بعوان وله امرأة تزعم أنها من طيء اهـ» ولعله كان له بعض أراضي تغلّ له الثمار وغيرها كما يدل عليه ر ^(٢) الى خاله أبي القاسم في شأن عجوز كانت تخدمه وكان أهدي الى رجل لم يسمّه شيئاً من الفستق فهل كان من غراسه كما في ر ١٩ .

ويظهر من شعره في س أنه كان له بعض ثراء عبثت به أيدي الضياع فصار حليف إدقاع . وهو ^(٣) :

أثاري عنكم أمران : والدّة لم ألقها ، وثرأء عاد مسفوتا
أحياهما الله عصرَ الين ثم قضى قبل الإياب الى الذخرين أن موّتا
ويشهد له من حكاية حفظه بأنطاكية قول الخازن إنه من بيت الثروة والغنى
وأما هداياه الى إخوانه وإعانتته لأصدقائه ونجاح بعض حاجاته التي لها
خطر فالظاهر أنها من صلوات أخواله وكانت لهم ثروة طائلة كبيرة ، ونعمة
ظاهرة أثيرة . كما مرّ ولكن لم يكن عليهم كلاً وكلاً ، يضيّقون به محتملاً .
كما كتب الى خاله ^(٤) أبي طاهر وكان استنسخ له من بغداد نسخة شرح

(١) ٢٠٥ . (٢) ص ٥٠ . (٣) س ٢ : ١١٩

(٤) لا أن يكون كتب خاله إليه من حلب الى بغداد كما قد أصلحنا هذا الغلط من قبل في ذكر أخواله

السيرافى أن يعرفه ما وزن فى القيمة ليبادر بإفناذه . وهذا يدل على أنه لم يكن يقبل من أخواله أيضاً غير ما يتبرعون به من تحف الاسفار . وكان قبولها أيضاً على جهة التنصل والانكار . نعم ان هداياهم ربما تجاوزت الحاجة الى الاسراف والتبذير فيشدد اذا البراءة والتكثير^(١) .

وكان قانعاً باليسير ، لم يكن يحرص على التوفير من المال والتكثير . كما قال فى مقدمة س^(٢) « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد . ولا مدحت طالباً للثواب . وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس . فالحمد لله الذي ستر بغفة من قوام العيش ، ورزق شعبة من القناعة أوفت على جزيل الوفر » وفى الإغريضية^(٣) « فأما فى النشب فلم تزل لى بحمد الله تعالى وبقاء سيدنا بلعتان بلغة صبر وبلغة وقر » ومر من ر الى الداعى أنه لا يجب الاستزادة من المال . ولا يؤثر الإثراء على الإقلال . وكان الوزير أبو القاسم المغربي أيضاً طلبه بمصر فكتب اليه مثل ما كتب الى الداعى^(٤) . ولا كان يحب السفر ليمول قال ل :

إلزم ذراك وان لقيت خصاصة فالليث يستر حاله الإخدار

(١) قال فى رله الى أبى طاهر ص ٤٢ « قد كان يجب . . . أن يقتصر من بر الجماعة على ماسالته من الحاجة المؤذية . . . فالآن جاءت الحاجة ميسرة والهدية مضاعفة موفرة . . . فالحمد لله ولولا التمسك بطاعته والخشية من المام سخطه . . . ان ما فعل سرف ولوانه من بحر يفترف . لو كان قليلا او وسطاً لكان العذر فى قبوله منبسطة . فاما هذه القيمة التي هى بغية للمهاجر وبضاعة للتاجر اه »

(٢) ص ٦

(٣) ر ٢٠ وفيها الذنب وبلغه وفر بالفاء وصحح من صبح الاعشى ١٤ : ١٩٠ وقد سرد الاغريضية بتمامها ونسخته أصح من نسخة الرسائل . وما لاوفر والبلغة ؟ والوقر يريد من الوقار والله اعلم

(٤) ر ص ٥٦ ولفظه ولو كنت من نفسى راضيا لشرفتها بزيارة حضرتي ولكنى عنها غير راض اه

لم تدر ناقة صالح لما غدت أن الرواح يحمّ فيه قُدار
 وكون الفتى في رهطه نيل عزّة على أن داء الدهر ليس له حَسَمُ
 ولم يكن^(١) تعليمه وتأديبه ترشيحاً له على أن يحذو حذو المتنبّيء في الحصول
 على جوائز الملوك والامراء . وإنا لنربأ بصاحبنا أن يخلدَ الى زهرة الحياة وقد
 أتينا على شهادة الرجل في نفسه من مقدمة س . على أنه لا يرى مكاسب الشعراء
 من الحلال المباح فيما يدين الله به كأننا ما كان ، مع تنفير الرجل عن أكل مال
 الحرام والترغيب في الحلال . وله في المعنى شعر كثير . ل :

وما شعراؤكم الا ذئاب تَلَصَّصُ في المدائح والسباب

سيّان عندي ماح متخرّص في قوله وأخو الهجاء إذا ثَلَبُ
فرقاً شعرتُ بأنهما لا تقتني خيراً وأنّ شرارها شعراؤها
 تنكسب الناس بالاجسام فامتهموا أرواحهم بالرزايا في الصناعات
 وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا في جذب نفع بنظم أو سجاجات

كلوا طيباً فالطيب فيما طعمتم يُبين على أفواهكم خالص الشكر
 لا تأنفنّ من احترافك طالباً حِلاً وعدّ مكسب الفجار
 فالجد أدركه على علاّته قومٌ يثرب من بني النجار
 ومغرّم بالخمازي طالبٌ صلة مغرّى بتنفيق أشعار له كسدي

متى ما تُصِبَ يوماً طعاماً لظالم فقم عنه وافغري بعده فم قالس
 خذي من رزق ربك غير بسل كما أخذت من المرعى الوحوشُ

وَيُعْجِبُنِي دَابُّ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا سَوَى أَكْثَرِهِمْ كَدُّ النُّفُوسِ الشَّحَائِحِ
الْأُيَّاتِ الثَّلَاثَةِ :

وَأَرْوَحُ الرِّزْقِ مَا وَافَاكَ فِي دَعَا حِلَا وَقُسِّمَ فِي أَيَّامِهِ مُبْلَغَا
جَهْلَتُ، أَقَاضِي الرِّىَ أَكْثَرُ مَا ثَمَا بِمَا نَصَّه أَمْ شَاعِرٌ يَتَغَزَّلُ

لَا خَيْرَ فِي جَزْلِ الْعَطَاءِ أَتَى رَجُلًا بِأَنْ كَلَامَهُ جَزْلُ
يَرْجُو فَيَمْدَحُ غَيْرَ مَرْتَقِبٍ رَبَّاءُ كُلُّ كَلَامِهِ إِزْلُ (١)
خَيْرَ لِعَمْرِي مِنْ جَمَائِلِهِ (٢) الْكُرْمِ الْجِلَادِ جَمَائِلُ جَزْلُ
شَهَرَتْ سَيُوفُ الْهِنْدِ طَائِفَةٌ كَذِبٌ وَأَفْضَلُ مِنْهُمْ الْعَزْلُ

وَالْبَرُّ يَلْتَمِسُ الْحِلَالَ وَلَمْ أَجِدْ هَذَا الْوَرَى الْآفَقِيْدَا حِلَّهُ

إِذَا فَاتَكَ الْإِثْرَاءُ مِنْ غَيْرِ (٣) وَجْهِهِ فَإِنْ قَلِيلَ الْخَلِّ أَوْلَى وَأَبْرَكُ
وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَبِيحُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَدْحِيِّينَ أَنْ يَجْلِسُوا لِسَمَاعِ الْمَدَائِحِ
وَيُيْطَرُوا . ل :

وَأَقْلُّ عِبٍّ مِنْ جُلُوسٍ مَمْدَحٍ لِلْوَفْدِ يَقْصِدُ أَنْ يَرْوَحَ مَوْبِنَا
وَتَحِبُّ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِأَنْكَ الـ بَرِّ التَّقَى وَأَنْتَ صِلْ أَرْقَمُ
لَا يَقَالُ إِنَّهُ كَذَا كَانَ فِي عُزْلَتِهِ وَلَكِنْ مَدَحٌ فِي دَوْرِ حَيَاتِهِ الْأَوَّلِ سَنَةِ (٤)

(١) كذب

(٢) يشير إلى خبر النابغة مع النعمان وقوله :

الواهب المائة المعكاه زينها سعدان توضح في أوبارها اللبد

والجزل بالضم من الجزل محركا وهو الدبر

(٣) كذا ؟ ولعل لفظة غير مصحفة

(٤) كما جاء في عنوان أول قصيدة في س في نسخة الخزائن الأهلية بباريس .

٣٩٠ هـ سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ولا يخلو مثل هذا عن غرض . فإن ما تقدم عن مقدمة من ليس إلا لدفع مثل هذا الوهم . على أنه لم ينقل لنا التاريخ أنه دخل حلب حضرة السعيد بعد سنة ٣٨٣ هـ عام ختمه طلبه كما مرّ فأين أنشده شعره على أنه كان ثمّة كثير من جلة الشعراء يفضل عليه أشعارهم وهو ابن ٢٠ سنة . فلم يكن هذا المديح وأمثاله إلا على معنى الرياضة وتمرين الخاطر كما مرّ من قوله ليس إلا . على أن الرجل كان أحيى^(١) من العذراء في خدرها فكيف يسمح له حيّاؤه أن يقوم مقام مجتد متعلّق ، من أمير متمدّح متفهب . وقد عقد ابن العديم بابا برأسه وهو ١٣١ من العدل في قناعة نفسه وشرفها وعفتها عن أخذ صلات الناس وظلمها .

ولم يكن^(٢) يصل إليه من تلامذته شيء بل كان بضده يصلهم كما سيأتي في حكاية البطيخ في ذكر بضاعته . قال الذهبي^(٣) وكان يعتذر الى من يرحل إليه من الطلبة فإنه كان ليس له سعة ، وأهل اليسار بالمعرة يعرفون بالبخل وكان يتأوّه عن ذلك ونذكر كثيرا من شعره في المعنى ومنه نقداً . ل :

ماذا تريدون لا مالاً تيسّر لي فيستأح ولا علم فيقتبس
وأما حاله في ذلك بيغداد فهذه أبيات من قصيدة كتب بها الى أبي حامد الاسفرائني عند دخوله بها :

ولا أثقل في جاه ولا نشب ولو غدت أخا عدم وإدقاع

(١) قال س : ٢ : ٣٧ :

لك الخير قد انفذت ما هو ملبسى حياء وعند الله من قاتل علم

(٢) كما زعم مرجليوث ٣٤ من عدم معرفته بمادة اهل المشرق في ذلك

(٣) ١٣٠ - وهذا التبريزي تلميذه وصله الخطيب ابو بكر اذ كان التبريزي يشتغل عليه

بقراءة كتب الادب بجامع دمشق بخمسة دنانير ثم باخرى مثلها وانظر تذكرة الحفاظ ٣ :

ان الهدايا كرامات لا أخذها إن كنَّ لسن لا إسراف وإطعام
ولا هدية عندى غير ما حملت^(١) عن المسيب أرواح لقتماع
مقل من الأهلين يسر وأسر كفى حزناً بين مشت وأقلال
وكان أبو طاهر وصى أصدقاءه من أهلها به فكلم^(٢) سألوه أنجاح حاجة
أو قضاء طلبه يعرض وينشد (لزهير) :

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يعنفها يوماً عن الذل يسأم
وكانت المهاداة كما مرَّ جارية بينه وبين أصدقائه . وكان صريع الدلاء
ذو الخلاعتين البصرى المتوفى سنة ٤١٢ هـ استهداه قبيل وفاته خمرًا فأرسل إليه
قليل نفقة واعتذر بقطعة منها^(٣) :

فإن يك ما بعثت به قليلاً فلى حال أقل من القليل
ثم ان القاضي عبد الوهاب المالكي نبا به المقام ببغداد فرحل ولقيه بالمعرة
فقرأه أبو العلاء ، ولما أراد النقلة منها الى مصر حيث توفى بعيد الوصول على
ما يأتى أهده ثلاثين درهماً واعتذر بقطعة وهى في س^(٤) . وذكر ابن العديم في
العدل في الباب الثانى كثيراً من أمثلة كرمه على قلة ماله ، وجوده على نزارة
موجوده .

ولعل الأمراء أيضاً كانوا يهادونه وفي س^(٥) قطعة الى رجل أهده شيئاً

(١) أي القصيدة

(٢) ٣١ — وذكر أن أهلها عرضوا عليه لما عزم على الرجوع عنها أموالهم عرض الجيد
فصادفوه غير هـش الى معروف الاقوام ر ص ٣٥

(٣) س ٢ : ٣٤ -

(٤) ٢ : ١٣٨ -

(٥) ٢ : ٣٧

وأخرى (١) إلى من أهداه كتابا ثبت عليه سماعه - وكان أيضا يهْدِي (٢)
إلى الناس -

وقال الرحالة الفارسي (٣) وكان زار المعرة سنة ٤٣٨ هـ ما تعريه « وكان
بها رجل ضرير يدعى أبا العلاء وكان أمير البلدة . وله من النعمة والعبيد والخدم
ما يُستكثر ، وكان جُلُّ أهلها كالعبيد له إلا أنه سلك طريق النُسك وتردَّى
بِرُّه جُد في بيته . وكان يأكل كلَّ يوم نصفَ مَنْ من خبز الشعير لا غير (٤) .
وبلغني أنه فتح بابه ويتولَّى عنه نوابه ومُعمَّله أمور البلدة إلا فيما يهْمُ فيرجعون
إليه . وهو لا يمنع أحدا مما آتاه الله ويصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشغل نفسه
بشيء من أمور الدنيا وقيل له (٥) إن الله خَوَّلَكَ ما نرى من المال والنعمة
لماذا تعطى الناس وتبذلهم ولا تتمتع أنت بنفسك . فقال ليس لي منه إلا ما
أتبلغ به من القوت فحسب . ولما وصلتها كان حيا يُرْزَق اه واعتُرَّ بنقله هذا
بعض أهل العصر (٦) فزعم أنه تولاها من قِبَل صالح حين قال له قد وهبتها (٧)
لك على ما يأتي في خبر صالح وهذا باطل نفسه . ويستدلُّ لثرائه غير ما مرَّ
بمحكية أسامة المارة في حفظه - إلا أنا لم نر للرجل بيتا فذا في المعنى ولا أثبتة

(١) ٢ : ٢٢٤ - (٢) اهدي إلى بعض العلوية قليل نفقة واعتذر بر ٩ - وإلى

مجهول فستقام مع رص ٢٩ - (٣) سفرنامه ناصر خسرو طبعة برلين ص ١٥ -

(٤) من نحو الادام فانه ربما تركه ليلا كما قال :

أفقرت من جهتين فقر مفازة وطعام ليل جاء وهو فقار
اي بلا ادام
(٥) وقال :

ويقول الغواة خولك الله كذبتم لغيري التخويل

(٦) صاحب ذ ٢١٥

(٧) معناه صفحت عن زلة أهل المعرة من أجلك لا ما زعم صاحب ذ ٢١٥ ولفظ أبي

غالب الممرى وهو العمدة (أدب ١ : ٢١٦) قد وهبتهم لك - وأما رواية قد وهبت لك المعرة
وأهلها فليس الا من مجهول كما يأتي

أحد من مترجميه فلا بد أن نأول كل ما جاء من هذا القبيل بأن الرّحالة
استتج هذا لما سمع باحترام الناس له ، فلا غرو أن أهلها زادوا في تكريمه مذ
أقذهم من أيدي صالح ، والرّحالة لم يكن لقيه وإنما روى ما بلغه ^(١) في الخان
الذي نزله . وبأن بيته لا ريب بيت قضاة مؤثرين إلا أنه لم يصله من ثرائهم
ما يؤثّر ولعل سببه الفتن المتوالية التي كانت تهدد الشام من هجوم الاعراب
وشنهم الغارات . وطمع العبيدين في تملك الشامات . وهذا كله من جهة أنا
نرى التاريخ ^(٢) حفظ لنا تغلب القاضي وادع عليها . ومرّ في بني سليمان فلم أغفل
عنه مع اعتناء الناس بشؤونه وأخباره أكثر بكثير من عنايتهم بوادع . ولا نقل
عن أبي اليسر في المعنى شيء . نعم روى ياقوت ^(٣) عن الكمال بن العديم قال
قرأت بخط أبي اليسر شاكر المعري أن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء
ما يبيت المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل منه شيئاً وقال قطعين (وانظرهما في
الفائت أسوان . رزقي) ومثله في النكت ^(٤) وغيره . وروى ^(٥) القفطي أن
طلابه ذكروا بحضرته يوماً بطيخ حلب قال فتكاف أبو العلاء وبعث من جاءه
منه بحمل فأكلت الجماعة وأفردوا له منه شيئاً لم يذقه ولم يعرض له حتى فسد .
والرواية ليست تدل ^(٦) على أنه كان يملك من المال وفراً . وانظر فيها لفظة
« فتكلّف » على أنه كان من السهل عليه أن يكتب فيه إلى أخواله وزد عليه أن
البطيخ مما لا يعوز على المقلين . وله كثير من الشعر في معنى القناعة والتبلى

(١) صفر نامه ١٥

(٢) تاريخ ابن القلانسي ص ١٣٢

(٣) أدبا ١ : ١٧٨

(٤) ص ١٠٥

(٥) ذ ٢١٦

(٦) كما اغتر صاحب ذ ٢١٦

بِالْكَفَافِ فِي أَدْوَارِ حَيَاتِهِ الثَّلَاثَةِ . س^(١) :

قَنِعْتُ فَخَلْتُ أَنْ النِّجْمَ دُونِي وَسَيَّانَ التَّقْنَعُ وَالْجِهَادُ

✓ فَمَا يَنْفَكُّ ذَا مَالٍ عَتِيدٍ قَتَى جَعَلَ الْقُنُوعَ لَهُ عَنَادًا^(٢)
وَمِنْ الْمَقُولِ بِبَغْدَادِ :

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتَهُ لَمَا زَادَ وَالْدُنْيَا حُظُوظَ وَإِقْبَالَ^(٣)

رَحَلْتُ لَمْ آتِ قِرْوَاشَا إِزَاوِلَهُ وَلَا الْمَهْدَبُ أَبْغَى النِّيلَ تَقْوِيَتَا^(٤)
وَالْمَوْتُ أَحْسَنَ بِالنَّفْسِ الَّتِي الْفَتَ عِزَّ الْقَنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقَوَاتَا
وَمِنْ لَوْ هُوَ كَثِيرٌ جَدًّا :

وَهِيَ النُّفُوسُ إِذَا تَمَيَّزَ بَيْنَهَا فَأَعَزَّهَا فِي الْعَيْشِ مَقْتَنِعَاتُهَا
الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ أَصْبَحَتْ فِي دَعَا أَرْضِي الْقَلِيلَ وَلَا أَهْتَمَّ بِالْقَوَاتِ
لَكِنْ أَقْضَى مَدَّتِي بِتَقْنَعٍ يُغْنِي وَأَفْرَحَ بِالْيَسِيرِ الْأَرْوَاجِ

كَشَفَنِي رَأْسِي وَافْتَقَارِي بِهَا خَيْرٌ مِنْ التَّمْلِيكِ وَالتَّاجِ
أَرْضَى الْأَنَامَ تَقَى فِي زُرَى جَبَلٍ يَرْضَى الْقَلِيلَ وَيَأْبَى الْوَشَى وَالتَّاجَا
أَكَلْتُ مَا مُتَرَى الزَّمَانُ وَإِنْ طَعَا مُتَرٍ وَلَا مَسْعُودُهُ مَسْعُودُ
مَا سَرَّنِي أَنِّي إِمَامُ زَمَانِهِ تَلَقَّى إِلَى مِنَ الْأُمُورِ مَقَالِدُ

(١) س ١ : ٦٥

(٢) س ١ : ١٧١

(٣) س ٢ : ٥٥

(٤) س ٢ : ١١٩ و ١٢٠

فَزَجْ دُنْيَاكَ فَمَا يَخْلُدُ الـ ناقص في العيش ولا الزائد

مَقُوتِي غِنَايَ وَطَمَرِي سَاتِرِي وَتَقَى مَوْلَايَ كَنْزِي وَوَرْدَ الْمَوْتِ مَوْعُودِي

مَحْمُودِنَا اللَّهَ وَالْمَسْعُودَ خَائِفَهُ فَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ مَحْمُودٍ وَمَسْعُودٍ

وَإِذَا غَلَا الْبُرُّ النَقَى فَشَارَكَ الْفَرَسَ الْكَرِيمَ وَسَاوِ طَرْفُكَ تَمَجُّدِ

وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ سَلِيطِ ضِيَائِهَا أَدُمًا وَنَزَرَ حُلَاوَةً مِنْ مُنْجَدِ

يَكْفِيكَ صَيْفَكَ مِنْ ثِيَابِكَ سَاتِرٌ وَإِذَا شَتَّتَ فَقِطْعَةً مِنْ بُرْجَدِ

أَنْهَاكَ أَنْ تَتْلَى الْحُكُومَةَ أَوْ تَرَى حِلْفَ الْخَطَاةِ أَوْ إِمَامَ الْمَسْجِدِ

تِلْكَ الْأُمُورَ كَرِهْتُهَا لِأَقَارِبِ وَأَصَادِقَ فَابْخُلْ بِنَفْسِكَ أَوْ جُدِ

مَنْ لِي أَنْ لَا أَقِيمَ فِي بَلَدٍ أَذْكَرَ فِيهِ بَغِيرَ مَا يَجِبُ

يُظَنُّ بِي الْيُسْرُ وَالِدِيَانَةُ وَالْعِلْمُ وَيُنَى وَبَيْنَهَا حُجُبُ

أَضَحَتْ تَظَنُّ بِكَ الدِّيَانَةُ وَالْغِنَى وَالْعِلْمُ فَاهْتَجَتْ لَكَ الْحَسَادُ

هَذَا وَرَبِّ صَدِيقٍ لِي أَفَادَ غِنَى زَهْدَتُ فِيهِ عَلَى عُدْمِي وَإِزْهَادِي

لِي الْقُوَّةُ فَلْيَعْمُرْ سَرَّ نَدِيبَ حَظِّهَا مِنْ الدَّرِّ أَوْ يَكْثُرْ بَعَانَةُ تَبَرُّهَا

وَمَنْ يَذْخَرُ لَطُولَ الْعَيْشِ مَا لَا فَإِنْ تَقَايَ عِنْدَ اللَّهِ ذُخْرِي

مَا سَرَّنِي بِقِنَاعَةٍ أَوْ تَيْتُهَا فِي الْعَيْشِ مُلْكًا غَالِبٍ وَذِمَارِ

وَالْمُدُّ يَكْفِيكَ وَلَكِنْ فِي طَبْعِكَ أَنْ يُدْخَرَ الْكَرُّ

دُنْيَاكُمْ لَكُمْو دُونِي حَكَمَتْ بِهَا 'حُكْمُ ابْنِ عَجَلَانَ' يَجْنِيهَا الَّذِي أَبْرَأَ

ماذا تريدون لا مال تيسر لي فيستباح ولا علم فيقتبس
 ما كنت ذا يسر فأجمعه ولا ذا صحة فأحالف التغلisa
 واتهامي بالمال كلف أن يطـلب مني (١) ما يقتضي التمويل
 ويقول الغواة خولك الله كذبتهم لغيري التحويل

قطعنا الى السهل الحزونة نبتغي يساراً فلم نلف اليسير ولا السهلا

ألم ترني حيت بنات صدري فما زوجتهن وقد عسسته
 ولا أبرزتهن الى أنيس اذا نور (٢) الوحوش به أنسسه
 ورضت صعاب آمالي فكانت خيولا في مراتعها شمسه
 ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها غنى خدسه

ولي أمل كأتم القنا وحال كأقصر سهم يكون
 فيا ألف اللفظ لا تأمل حراً كأفالك إلا السكون

إني أوارى خلتي فأريهم رياء وفي سرّ الفؤاد أوار (٣)

وما سرّني أتى ابن ساسان أغتدي على الملك في الألوان أصبح أو أمسى

فلس ما اخترت أن أروح من يسار قارون عفة وفلس

يغني الفتى ملبس يستره وقوته في دجى الظلام فقط

(١) من الزكاة - (٢) نوافرها -

(٣) من قوله فقطعنا الى هذا البيت : يرعى الى غرض غير القناعة. ولعلنا نلم به في أبواب

بغداد -

صَدَقْتُكَ صَاحِبِي لَا مَالَ عِنْدِي وَقَدْ كَثُرَ الضَيَافُنُ وَالضَيُوفُ

وَوَجَدْتُ نَفْسَ الْحُرِّ تَجْعَلُ كِفَّهُ صِفْرًا وَتُلْزِمُهُ بِمَا لَمْ يُلْزَمَ

شعر صباه

قالوا إنه قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة^(١). إلا أننا أخرنا هذا الباب ظناً منا أنه لم يدرج في س مما قاله باديء بدء من عمره شيئاً وجل شعر صباه في س مما قيل بين ١٣-٢٠ من عمره - وأظن أن قصيدتيه اللتين أولهما:

أليس^(٢) الذي قاد الجياد مُغْدَةً رَوَّافِلَ فِي ثَوْبٍ مِنَ النِّعَمِ ذَائِلُ

لَتَذَكُرُ^(٣) قَضَاعَةَ أَيَّامِهَا وَتُرْزَهُ بِأَمْلَاقِهَا حَمِيرُ

واللتين في عنوانهما « قلها في الصبي » أنشأهما في هذا العمر فإن لم يُخْلَفْ ظني فقد أتى بفليقة من الفليق - ودهاناً بنت طبق . حيث قال في الأولى:
إذا الناس حلّوا شعرهم بنشيدهم فدونك مني كلّ حسناء عاطل
ومن كان يستدعي الجمال بحليلة أضرب به فقد البرى والمراسل
وهذا المعنى مما لا يستطيعه القرّح والنيب ، فأنتى يكون لقريع منه نصيب .
غير أنه كما قال:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

ومما يقوي مذهبنا إليه ما قاله التبريزي في شرح السقط أنه كان يغيّر شعر صباه . ويشهد له ما يوجد في عناوين بعض القصائد من لفظة^(٤) « من قصيدة »

(١) نكت ١٠٣ ومعا ٤٩:١ .

(٢) س ٢ : ٢٠ : في عنوانها « قلها في الصبي »

(٣) س ٢ : ٢٤ وفي العنوان كالسابق

(٤) س ١ : ١٦٣ و ٢ : ٢٤ و ١٥٠ .

وأرى أن ما خلا منها من المطالع المصرّعة أيضا من هذا القبيل . ولم يأت في عنوان رثائه لأبيه إذ توفي وعمره ١٥ عاما شيء من ذكر الصبياء فلعله قيل بعد وفاته بمدة غير طويلة . ولم يرد ذكر الصبي في أول قصيدة من مس وكان قالها سنة ٣٩٠ هـ إذ كان ابن ٢٧ عاما إلا أشهر .

فترة الشباب

أو خمسة عشر عاما وأشهر

٣٨٣ — ٣٩٨

لعل رحلاته التي رحلها إلى أمّات بلاد الشام اختارها بعد وفاة والده لأنه صرّح بنفسه أنه لم يتعلّم بعد العشرين من معرّق ولا شام . وكان الرأي له بعد مفارقتها والده الرحيم وأدّ به العيم أن يتعلّل بقاء الرجال ، ويتسلى بشد الرحال . ففضى أربه منها قبل سنة ٣٨٣ هـ . ثم أقام بالمعرة في بيته يشتغل بالتعليم لبعض أبناء وطنه وسماح كتب النحو والعروض والأدب واللغة والأخبار من أصحابه ليستكثر حظّه من العلوم . ويُتقن معرفته بهاتيك الفنون . وفي خلال ذلك كان يمرّن خاطره ويروّضه على قرّض الشعر وإنشاء الأسجاع والترسل إلى علماء الأدب وأمراء بلاده ووزرائها ^(١) . وقد حفظ لنا التاريخ أنه كان مدة هذه الفترة كلفا بالعلم مغرّى به غرام المشوق بالشائق . كأنهما العذراء وواق

رضيحي لبان ندّي أمّ تقاسما بأسحم داج عوّض لا تتفرّق
يحبّ منه الاستكثار والاستثثار . وربما ضاق ذرعا إذ لم يجد في أنحاء

(١) قال الدلفي على مافي التهمة وحضرته يوما وهو يعلّي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء : وافي الكتاب وأوجب الشكرا... الايات . وهي في الفات

بلادهم والأقطار . ما يُروى غُلة حَرَّانَ ، وَيَنْقَعُ غليلَ القلبِ بالرَّشْقَانِ .
فِيُحَدِّثُ نفسه بمفارقة البلاد ، والمجال في الأرض والمستراد . وربما تسمَّى به .
قَرُونَهُ المتشوّقة إلى رحلة بغداد . كما قال . س (١) :

كَلِّفْنَا بِالْعِرَاقِ وَنَحْنُ شَرِّخٌ فَلَمْ نُلَمِّمْ بِهَا إِلَّا كَهَوْلًا

إِنْ فَسَدَتْ مِنْ زَمَنِي نِيَّةٌ أَوْ ظَهَرَتْ مِنْهُ خِيَّاتٌ
فَالْأَعْوَجِيَّاتُ لَنَا عُدَّةٌ تَقْدُمُهُنَّ الْأَرْحِيَّاتُ (٢)

إلا أنه كان يَنكصُ على عقبه حينما يتفكر في مشاق الشقة ومتاعب
الرحلة وضيق ذات اليد . وهُجُومُ العلماءِ بِهَا مَا تَغْصُ بِهِمْ وَيَخْتَنِقُ مِنْهَا الْمُقَلِّدُ . إلا
أنه يُقْنَعُ نفسه ويخفِّضُ جأشه على رأى يرتئيه وفكر ينتحيه وهو أن الرحلة إليها
تَجْلِبُ لَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ واحتفال الكرام حينما يَسْبِقُهُ صيته إليها وسمُّعته الطائفة
تتغلغل قبله بِسَمْعِهَا .

وفي هذه (٣) المدّة زاره أبو الحسن الدُّلْفِيُّ المصَيِّصِيُّ الكاتب الذي
نقل عنه الثعالبي في تَمَّةِ اليتيمة أخباره . فَإِنَّهُ صرَّحَ أَنَّهُ لَقِيَ الدُّلْفِيَّ فِي مَدَّةِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً . وتوفى الثعالبي سنة ٤٢٩ هـ

ونرى أَنَّ جُلَّ شَعْرِ السَّقَطِ غَيْرَ مَا قِيلَ فِي الصَّبَا أَوْ فِي أَمْرِ بَغْدَادِ وَالْدَرَعِيَّاتِ
وغير قليل من المقاطيع أنشأ في خلالها . كقطعة له إلى شَطْرُنَجِيٍّ (٤)
وَلَا مَيْتَهُ عَلَى لِسَانِ سَائِقِ الْحَاجِ (٥) ورثاء أبي حمزة وكان مات قبل الأربعمائة كما

(١) ٨٣ : ٢ .

(٢) ١٧٨ : ١ .

(٣) بدء التتمة نسخة باريس الخطية وانظر ترجمته في حاشيتنا في باب طلبه للعلم .

(٤) س ٢ : ٢٢٣ .

(٥) ٢١٩ : ٢ .

في الجواهر المضيئة^(١) ورثاء أبي إبراهيم العلوي^(٢) وقصيدته^(٣) إلى ابن
جلبات الميمية وما مدح به الأمراء كسعيد الدولة^(٤) وأبي الرضى الفصيصي^(٥)
أو أنشأه^(٦) بطلب منهم وفيها أجاب شاعرا يسمى المفضل^(٧) عن قصيدة قافية
مدحه بها بأخرى على رويها وفيها خاطب أبا الخطاب الجبلي^(٨) القصير وكان
فارق وطنه بالعراق وزاره ببائية^(٩) وكان مدح صاحبنا بقصيدة وأعطاه نُسختها.
وفيها صنع لابن السقاء دالية^(١٠) وكان سألَه أن يعمل له قصيدة إلى صاحبه يصف
فيها ما شاهد منه من الوفاء والإخلاص.

وأرى أنه كتب من المعرة في خلاها إلى خاله أبي طاهر - وكان ببغداد - أن
يستنسخ له شرح الكتاب لأبي سعيد السيرافي كما مرَّ مع إيضاح مدحضة مزلة
هوى فيها كثيرون.

وإن صحَّ خبر عرض أبي نصر المنازي الوزير شعره عليه بالمعرة ثم ببغداد
كما يأتي بيانه فإنه أيضاً في خلاها

(١) حيدر اباد ١ : ١٩٦ والرثاء في س ١ : ٢٠٨ وليس المرئي به أبا الخطاب الجبلي
كما قاله السمعاني وتبعه ياقوت على ما انفصله فيما بعد .

(٢) ١ : ٢٠١ . وله غير الرثاء إليه وإلى أخيه قصائد ١ : ٥٦ ، ٩٠ ، ١٨٣ .

(٣) ١ : ٩١ -

(٤) ١ : ١٤٠ ، ٤١ ، ٥٣٦ ولم يذكر اسمه في الآخريتين

(٥) س ١ : ٣٠ والمعاهد ٢ : ٩٨ . وقد عثرت بعد ما دل الفحص في انباء الرواة للقفطي

بخطه في ترجمة محمد بن جعفر أن له شعرا في مدح أبي الرضى الفصيصي قال والفصيصيون مقامهم
بحب وقد كان منهم من يتجند في أيام آل حمدان - ويعلم من رائبة المعري أنه من قحطان من
تنوخ كما في التنوير

(٦) ١ : ١٤٧ -

(٧) ١ : ١٤٧ . ولعله المفضل بن محمد أبو المحاسن المعري وكان معاصرا لابن العلاء وترجم

له في البقية ٣٩٦ أو هو المفضل بن سعد الذي خلف صاحبنا بمحضرة عزيز الدولة لما اعتذر
بكبده على ما نقله مرجليوث عن الكمال ابن المديم ص ٣١ ولكن الصواب المفضل بن سعيد
ابن عمرو المعري قال الثعالبي في التتمة ويلقب بالعزيزي هـ . ويأتي في الحكم

(٨) ١ : ١٥٣

(٩) ١ : ١٧٤

أبو القاسم الوزير المغربي

وأبوه أبو الحسن^(١)

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن الحافظ بن عساكر. وابن خلكان نسبته إلى ساسان ثم منه إلى بهرام جور وأسند هذا الأخير سياقة النسب إلى ابن الصيرفي وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور. ونقل عن أدب الخواص للمغربي أنه مغربي حقيقة.

ونقل ابن أبي الحديد العلامة المعتزلي عن أبي جعفر العلوي النقيب أنه كان يُنسب في الأزد ويتعصب لقحطان على عدنان ولأنصار على قريش وكان غالبا في ذلك مع تشييعه. ثم نقل أن القادر وجد في مجموعة بخطه قصيدة طويلة غرض فيها من عدنان إلى غيرها من الهنات. ومنها في النبي صلى الله عليه وسلم: نحن الذين بنا استجار فلم يضع فينا وأصبح في أعز جوار بسموفنا أمست سخينة^(٢) بركا في بدرها كنعائر الجزار إلى آخرها وهي طويلة. ومن أخرى وجدت بخطه:

إن الذي أرسى دعائم أحمد وعلا بدعوته على كيوان
أبناء قيلة^(٣) وارثو شرف العلى وعراعر الأقيال من قحطان

(١) هو الأكثر وأبو الحسين في بعض المواطن أظنه تصحيفا. واخذنا هذا الفصل عن الوفيات ١: ١٥٥ و ابن الفارح ٢٠٨ والفهران ١٨٥ — ١٩١ وابن عساكر ٤: ٣٠٩ وتاريخ ابن القلانسي ٦٢ — ٦٤ وغيرها والكامل ٩: ٣٦٦، ٣٧٦، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٠، وابن أبي الحديد ٢: ٦، ٤: ٥٠٧ والذم ٢: ٣٦٦ وجرزة الحاطب والشربشي وغيرها قال الباخري في الدمية قرأت في رسائل أبي العلاء المعري ما نبهني عليه وعرفني درجته في البلاغة واختصاصه من صناعات النظم والنثر بحسن الصياغة وكان يلقب بالكامل ذي الجلالين اهـ وهذا يكفي في اثبات فضله.

(٢) نبزلقريش

(٣) أم الاوس والخزرج.

فغَضَّ القادر بذلك من دينه . وكان أبو القاسم يبرأ منهما ويحجدهما . ولسنا
 نجزم بما أتى به النقيب ولا نَظُنُّ ، فإن النقيب ليس بمأمون عندنا فيما له علاقة
 بالمذهب الذي ينتحله . على أن التاريخ يسمي لنا كثيرا من رجال عصره نسب
 إليهم ببغداد وأمّهات البلاد ما هم منه براء الذئب من دم ابن يعقوب . فإن
 صحَّ وقيل فيه « أزديا مرة وقيسيا أخرى » أنشدنا فيه قول (١) « عمران بن
 حطان - عاذرين إياه والحق أنه يبسط له العذر ماعناه من صروف الحدثان -
 يارَوْحُ كم من أخى مشوى نزلت به قد ظنَّ ظنَّكَ من لَحْمٍ وغَسَّانِ
 حتى إذا خَفَّتْهُ فارقتُ منزله من بعد ما قيل « عمران بن حطان »

فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له في النابئات خطوبا ذات ألوان
 يوما يمان إذا لاقيتُ ذايمين وإن لقيتُ معديا فععدناني
 كان (٢) أبو الحسن والده من أصحاب سيف الدولة . قال ابن القارح « كنت
 أدرس على أبي عبد الله بن خالويه وأختلف إلى دار أبي الحسين (٣) المغربي
 [بحلب] ثم إنه انتقلت به الأحوال حتى صار كاتب بكجور (٤) ووزيره . وكان
 بكجور غلاما لفرغويه (٤) أحد غلمان سيف الدولة . وكان فرغويه قد استناب بكجور
 في حلب فلما قوي أمره قبض على مولاه وحبسه في قلعتها . وأقام نحو ست سنين -
 ثم إن سعد الدولة أبا المعالي بن سيف الدولة تغلب عليها وأخرجته منها وولاه
 حمص فكتب إلى العزيز صاحب مصر أن يوليّه دمشق فولاه إياها . ثم كاتبه

(١) رأس القعد من الصفرية . وانظر الكتاب الكامل للمبرد مصر سنة ١٣٢٣ هـ

١٢٣ : ٢

(٢) كامل ٩ : ١٣٧ وقارح ٢٠٨ -

(٣) كامل ٩ : ٣٦ -

(٤) وفي بعض الكتب فرغويه وفي بعضها فرغويه -

يُطعمه في أخذ حلب بإشارة من وزيره أبي الحسن فوعده بالإنجاد إلا أن أسباباً عرضت دون مناه فأخذه سعد الدولة وقتله . وكان أبو الحسن انتقل إلى الرقة لما أحسّ بسوء العاقبة . ولكن لما سار سعد الدولة إليها أيضاً فرّ منها إلى مشهد على . ثم إن أبا الحسن انتقل منها إلى مصر عند العزيز [وتوفي هنا سعد الدولة وخلفه ولده أبو الفضائل سعيد الدولة] فعظم له أمر حلب وهون أمر تملكه عليها له . فسيّر إليها منجوتكين صُحبة أبي الحسن ليقوم بالأمر والتدبير . وتحصّن أبو الفضائل . وكان خادمه لؤلؤ الموكّل به من قبيل أبيه كاتب ملك الروم بسيل في الاستنجاد فأنجده بخمسين ألفاً ^(١) . فخرج منجوتكين إليهم وقتل منهم وذهب وسبى ما شاء . ثم رجع إلى حلب . فلما يؤس لؤلؤ من الروم كاتب المغربي وبذل له المال على أن يشير على منجوتكين بالانصراف . فانصرف إلى دمشق . ولكن العزيز لم يُعجبه صنيعه هذا ، ووجد أعداء المغربي طريقاً إلى الطعن عليه والوقعة فيه . فصرفه . ثم أرسل منجوتكين في العام القابل إليها وجّهزه بالعدة والعديد . فاستغاث لؤلؤ إلى ملك الروم . فسار بنفسه وهزم المصريين أقبح هزيمة فعظم على العزيز ذلك . فخرج بنفسه في عساكر كثيفة ولكنه توفي في طريقه . وخلفه الحماكم ذلك الفاتك القاسي القلب الجسور . وكان من تقلّب الوزارة في عهده ما كان . إلى أن تولاها منصور بن عبدون . قال ابن القلانسي وكان نصرانياً خبيثاً وبينه وبين أبي القاسم ووالده عداوة قديمة لأن أبا القاسم صرف به عن ديوان السواد . فواصل أبو القاسم الوقعة فيه . وكان النصراني المذكور يعتمد فيهم مثل ذلك ، إذ كان الناظر في الدواوين بمصر . حتى تقدّم الحماكم إلى السيّاف أن يقتل أبا الحسن ومحمداً ابني المغربي . ففعل . ثم أمره أن

(١) كامل ٩ : ٣٧ وعند ابن القلانسي ٤١ بخمسة آلاف ولكنه غلط يدل عليه

ما عند نفسه في ص ٤٢ -

يحضر أبا القاسم وأخويه ويقتلهم قال ابن^(١) القارح «وعدت من الحج إلى مصر
وقد قتل الحاكم أبا الحسن . فجاءني أولاده سرّاً يرومون الرجوع إليهم^(٢) .
فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولا يكم ببغداد ودائع خمسمائة ألف دينار
فاهربوا وأهرب . ففعلوا وفعلت . وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس اهـ . وهذا
كله سنة ٤٠٠ هـ ونجا أبو القاسم بحيته وحصل بحيلة^(٣) حسن بن المفرج
الطائي صاحب الرملة - ويجي في ذكر ولادة عهده - فاستجاره ومدحه بقصيدة بائية
جيدة أوردها ابن القلانسي^(٤) فسكن حسن جأشه ، وبذل له من الوعود ما
أزال به استيحاشه . ثم إن أبا القاسم أفسد نية حسن على الحاكم وتوجه إلى
الحجاز وأطمع صاحبه أبا الفتوح العلوي في الحاكم ومصر واستقدمه إلى الرملة .
فأنفذ الحاكم إلى حسن مالا جزيلا وأفسد معه حال أبي الفتوح . فسار أبو
الفتوح إلى مكة . وقصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك الوزير . إلا أن
القادر اتهمه بتشيعه ورأسل فخر الملك في إبعاده . فاعتذر هذا وأصعبه إلى
واسط فبقي معه إلى أن قتل فخر الملك . ثم انه أخذ في استعطاف القادر إلى
أن صلح له بعض الصلاح . فعاد إلى بغداد وأقام قليلا إلى أن فارقه إلى الموصل
واستكتب لصاحبها قرواش . ولكن لما خافه من جهة مكاتبة الخليفة به في أمره
سار عنه إلى أبي نصر بن مروان بميا فارقين - إلى أن توفي عنده وقيل عند أحمد
ابن مروان صاحب ديار بكر وكان^(٥) صار وزيراً له . فحمل تابوته بتوصيته

(١) ر ٢٠٩ -

(٢) كذا - ويعني المصريين -

(٣) وهذا هو الصواب لا بحيلة بالجيم كما هو عند ابن القلانسي ٦٢ -

(٤) ٦٢ -

(٥) وفي ديوان مهيار ١ : ٢٠٦٤٥٨ قصيدتان طنائتان في مدحه أحدهما عنده

تقلده الوزارة سنة ٤١٤ هـ أنشدها أيام في داره بباب الشعير والآخرى في استعداده إلى بغداد

سنة ٤١٥ هـ -

من ميا فارقين الى مشهد على ودُفن في قربه سنة ٤١٨ هـ وكان وُلد سنة ٣٧٠ هـ على ما نُقل عن خطِّ والده^(١)

ولا شك أنه كان حَوْلاً قَلْباً مَخْلَطاً مَزِيلاً أديباً مصقفاً شاعراً مفلحاً داهية .
وأكثر الناس يرمونه بأدواء . ويصفونه بكل سَوَاةٍ سَوَاءٍ . فمنهم من يطعن في دينه كما مرَّ عن النقيب، وآخر يصفه بخُبث النية وسوء الطوية كابن الأثير^(٢) وكصاحبه ابن القارح فإنه بلغ في هجومه الغاية كما في الادباء^(٣) ورسائله^(٤) المكتوبة الى صاحبنا بعد وفاته ووصفه فيها بالجنون والسامة والحقْد وذ كر من سوء صنيعه إذ كان يسعى لنصب أبي الفتوح وترشيحه للخلافة ما أضربنا عنه .
أقول وكتاب مقطعات مَرَاثِ المطبوع بليدين في مجموعة جرزة الحاطب هو روايته عن ثعلب (بالوِجادة) وفي طُرَّتِه « نقلتُ من خطِّ . . . علي بن ثروان ابن الحسن الكندي النحوي ما صورته - كان بخط الوزير أبي القاسم المغربي على وجه الجزء، ما هذا حكايته - جزءٌ جميعه منسوخ من خط أبي العباس اهـ » وله كثير من الحواشي والشروح عليه الدالة على تضلُّعه من علوم الأدب ، ومثله من خط ابن ثروان على ديوان امرئ القيس^(٥) صنع السكراني انه نقله من خط أبي القاسم المذكور

(١) الوفيات ١ : ١٥٦ -

(٢) ٩ : ١٣٨ -

(٣) ٥ : ٤٢٥ -

(٤) ٢٠٨ - ٢١٠ -

(٥) راجع فهرس ليدن ٣٤٧ - وابن ثروان هذا ابن عم أبي اليمن الكندي

قرأ على الجواليقي وتوفي نحو سنة ٥٦٥

﴿ عماد المعري ﴾

وأما المعريّ فانه على رغم ابن القارح كان يحسن فيه وفي أبيه الظنّ . ولم يكن عنده لهما قرّف أو زنّ . بل عفو وصفح ، وغضّ وسمح . كما قيل :
 اذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزاتيه عذرا
 قال في الغفران ^(١) « وأما انخيازه الى أبي الحسن رحمه الله فقد كان ذلك الرجل سيّدا . ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيدا . ولمن قوي منهم وادّا . ودونه للنوّب محادّا كما قال القائل ^(٢) :

وإذا رأيتَ صديقه وشقيقه لم تدرِ أيهما ذوو الأرحام
 وكما قال الطائي :

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب
 والمثل السائر ^(٣) على أهلها تجني براقش وما زال الشبان
 المحسّون من أنفسهم بالنهضة يبغون ما شرف من المراهص ^(٤) ، وكيف بالسلامة
 من الواهص ^(٥) . ورأى ^(٦) الشيخ خير من مشهد الغلام . وقال بعده ^(٧)
 بصفحات : وأما صديقه الذي جذب عند السبر ، فهو يعرف المثل « أعرض عن
 ذي قبر » . اذا حجز دون الشخص تراب ، فقد تقصّصت الآراب . من ليم في

(١) ١٨٥ -

(٢) الحماني -

(٣) انظر الزويري ٣ : ٤٠ والميداني في الطبقات الثلاث ١ : ٤٠٢ ، ٣١٠ -

٤٢٢ ولا -

(٤) المراتب -

(٥) الرأي العنيف واللكاسر والشادخ

(٦) الميداني الطبقات الثلاث ١ : ٢٥٧ ، ١٩٧ ، ٢٦٧ ولاء

(٧) ١٩٠ -

حال حياته ، استحق المذرة في مماته . ولعله نطق بما نطق في معنى انبساط ،
ولا هو بالكلم ساط . ومن غفر ذنباً حتى وهو يلحق به الأذاة ، فكيف
لا يغفر له بعد الميتة وقد عذّر منه الشدة . وسلام على رسم من مخالس ،
يعدل بألف تسليمة في المجالس وهو يعرف ما قالوه في معنى البيت « وآتي صاحبي
حيث ودّعا » أي أزور قبره اه . وهذه نقّات أنطقه بها إخلاص المودة ، والمروّة
والفتوة . والوفاء بالإخوان ، والنصح للأصدقاء والأخلاق . وتدل على ما جيل
عليه الرجل من كرم الشيم ، عن خال وعن عم . « ومن يشابه أبه فما ظلم » .
ورثي أبا القاسم في ل رثاء يُنبى عن بنات الشوق والإخاء ، والصدق
والصفاء . وهما كه (١) :

ليس يبقى الضرب الطويل على الدهر ولا ذو العبالّة الدرّحاية
يا أبا القاسم الوزير ترّحلت وخلفتني ثفال رحاية
وتركت الكتب الثمينة لنا من وما رحت عنهم بسحاية
ليتني كنت قبل أن تشرب الموتي أصيلاً - شربته بضحاية
إن نحتك المنون قبلي فإني مُتّحها وإني مُنتحاية
أم دفر تقول بعدك للذا ثق لا طعم لي فأين فحاية
إن يخطّ الذنب اليسير حفيظاً لك فكم من فضيلة محاية
والبيت الثالث ظاهر في أنه كان جماعةً للكتب (٢) ، وأنه كان له ولع بها
وُحِب . والآخرة في أنه ليس من المكابرين يدعى عصمته . إلا أنه يرجو
من فضل الله عفوه ورحمته

(١) الضرب الخفيف من الرجال . والعبالة النلاظه . والدرحاية القصير . وسحاية
الفرطاس ماسحى منه أي أخذ . والفعا بالفتح مقصوداً توايل القدر وأبازيرها . ومحاية
مبالغة في المحو .

(٢) نقل مرجليوث أن أبا القاسم وقف كتبه على أهل ميا فارقين م ر ١٦٦ .

ويوجد له من رايه ثلاث وهى على الترتيب الذي وُضعت عليه رسالة (١) المنيح والإغريضية (٢) وبطاقة (٣) له في الاعتذار اذ طلبه الى حضرته بمصر فأما الاولى فالذي انتقيناه منها بعد طول البحث وإعمال الروية أنها رسالة أدبية فحسب وصف فيها بلاغة أبي القاسم وأثنى على فضله وأدبه الغزير وأبدى شوقه اليه. ويظهر أن المغربي كان أقام بالمعرة وخالط رجالها في صباه واصطفى صاحبنا صديقاً لنفسه. فلما بلغ مع أبيه مصر كاتب أهل المعرة عموماً وصاحبنا خصوصاً وأرسل جملة من شعره للعرض عليه عادة الشعراء به ووعد بارسال شعره ونثره في الآتي أيضاً. فأجابه صاحبنا أن اهلهما دهشوا لما رأوه من معجزات بلاغته، وعجزوا عن الجواب فلم ينبسوا فيه ببنت شفة. وأن عبده موسى وافاهم بقصيدتين له ميمية وواوية ثم أطنب في وصفها بالفصاحة وأن اهلهما أرادوا أن يجعلوها إماماً لهم في الآتي في كل ما يقرضونه من الشعر. ثم ذكر غبطة المعرة بإقامته فيها في بعض الأيام الماضية وجرحها على غيرها من البلاد ذيل الفخار فبقيت بعد رحيله منها كجسم فارق رُوحاً. ثم ذكر عزمه على أن يتخذ آثاره مشاهد للأدب محضورة. كما يتقيل الخلف الصالح آثار السلف الفاضل. ثم عذره وعذر المعرة في الاقتراق بأنها لم تكن تصلح لمثله من النبهاء. ثم قال وقد أفادت هذه البتعة الصيت البعيد وانتقادت لها أزمة الجد السعيد. ليالى آمنتها المكارم عليه، واستودعتها البراعة حدة أصغريه. فظعن وأرجه مقيم، وارتحل وللشاء تخيم. ثم التمس منه على بعد المزار وتنائى الديار. أن لا يحرم أهل المعرة إرشاده وحكمته وإبصاره. فإنه وإن ألقى عصا التسيار بمصر فلا يزال أهل المعرة

(١) ص ٣

(٢) ١٤ وصبح الاعشى ١٤ : ١٩٠ .

(٣) ٥٦ .

يَحْتَشُونَ اليه بِالْحَرَمِ وَالْمَزَالِفِ ، وَيَتَرَقَّبُونَ كَلَاءَتَهُ تَرَقَّبَ الصَّيِّبُ الْوَاكِفَ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُمْ أَضَاعُوا الْفُرْصَةَ وَلَمْ يَنْتَهِزُوهَا بِالْاِقْتِبَاسِ مِنْهُ أَيَّامَ كَوْنِهِ بِهَا . ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ وَإِنْ فَقَدُوا شَيْئًا لَا خَظَرَ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ خَطِيرٌ لِمِثْلِهِمْ ذَوِي الْبُضَاعَةِ الْمُرْجَاةِ (وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ هِيَ الَّتِي أَوْهَمَتْ بَعْضَ الْمُسْتَعْرِبَةِ) ثُمَّ قَالَ إِنْ الْأَوَّلَى بِمَجَاهِلِهِمْ أَنْ لَا يَضَاهَوْهُ فِي الْكِتَابَةِ وَالشَّعْرِ إِجْلَالًا لَهُ وَتَكْرِمَةً . إِلَّا أَنْ قَلِيلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَهُمْ بَدَارُ الْخِيفَةِ مَرْتَقِينَ كُلَّ آفَةٍ لَعَلَّهُ يُسْتَطَرَفُ مِنْهُمْ خَاصَّةً . وَإِنْ زَهِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى فَضْلِهِ فَإِنَّمَا زَهْوُهُ عَلَى أَمْثَالِهِ مِنْ مُقَلِّي الْبُضَاعَةِ . ثُمَّ وَصَفَهُ بِكُلِّ فَضْلٍ وَأَبْدَى شُكْرَ مَنْنِهِ أَنْ أَدَبَهُ فِي أَدَبِهِ كَالْقَطْرَةِ مِنَ الْغَدِيرِ . وَذَكَرَ أَفْضَالَ وَالِدِهِ عَلَيْهِ . ثُمَّ فَضْلَهُ عَلَى الْأَدْبَاءِ قَاطِبَةً وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ « إِنْ إِقْدَامُهُ عَلَى حَضْرَتِهِ بِالْمَكَاتِبَةِ لَعَرُضُ الْحَالِ ، لَا لِإِبْدَاءِ الْفَصَاحَةِ فِي الْمَقَالِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهَا إِلَّا ذَرَّةٌ » أَهْ وَسَرَدْتُ مَعْنَى رَلَأْنِي رَأَيْتُ بَعْضَ الْمُسْتَعْرِبَةِ وَقَعَ فِي وَادِي تَضَلُّلٍ وَسَلَا جَمَلٍ ، فَخَلَطَ بَيْنَ الْأَبِّ وَالْإِبْنِ (١) وَلَمْ يَعْرِفْ الْمَهْرَ مِنَ الْبَرِّ . وَزَعَمَ أَنَّ الْمَغْرِبِي (٢) أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْمَعْرَِّةِ عَامَةَ كِتَابِهِ لَمَّا كَانَتْ الْعَسَاكِرُ الْمَصْرِيَّةُ (٣) فِي حِصَارِ حَلَبٍ فَانْضَمَّتْ إِلَى الْمَصْرِيِّينَ فَحَمَلُوا عَلَيْهَا الْخَلِيبُونَ إِلَّا أَنَّ الْمَصْرِيِّينَ أَتَقَذَوْهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ . وَكُلُّ هَذِهِ مَزَاعِمٌ أَوْ دَعَاوٍ زَائِفَةٌ لَمْ يُقَمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلًا . وَمَا أَجْدَرُهَا بِالرَّدِّ إِلَّا أَنَّنَا نُزَيِّفُهَا لئَلَّا يَقَعَ فِي مَهْوَاتِهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَغْرَارِ وَكَثِيرٌ مَا هُمْ . (١) الْكَاتِبُ إِلَى أَهْلِهَا رَلَيْسَ إِلَّا أَبَا الْقَاسِمِ وَكَانَ وُلْدُ (٣) سَنَةِ ٣٧٠ هـ وَمَالَهُ (٤) وَلِلْسِّيَاسَةِ فِي هَذَا الْعَمْرِ الْقَصِيرِ (٢) لَمْ

(١) أَوْ نَقَلَ عَنْ خَلَطٍ بَيْنَهُمَا وَهُوَ مَرْجُيُوثٌ فِي تَرْجُمَةِ الرِّسَالَةِ ص ٢ ...

(٢) وَقَعَتْ هَذِهِ الْفَتْنُ مَا بَيْنَ سَنَتَيْ ٣٨٢ - ٣٨٦

(٣) عَلَى مَا نَقَلَ فِي الْوَفَايَاتِ عَمَّا وَجَدَ يَخْطُ وَالِدُهُ أَبِي الْحَسَنِ

(٤) عَلَى أَنَّهُ الْفَخْرُ الْمُخْتَصَرُ الْإِسْلَامِيُّ الَّذِي قَرَضَهُ الْمَعْرِي فِي الْإِفْرِيضِيَّةِ سَنَةِ ٣٨٧

وَهُوَ ابْنُ ١٧ عَامًا - فَظَاهِرٌ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِنَا رِسَالَتَهُ وَهُوَ ابْنُ نَحْوِ ١٥ عَامًا - لَا يُقَالُ أَنَّهُ

وَقَدْ نَمَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الرِّسَالَتَيْنِ فَإِنَّ فِيهِمَا مَا يَنْفِيهِ عَلَى أَنَّهُ وَهَبَ فِي الْإِفْرِيضِيَّةِ أَنْ يَنْفَذَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ

سَبْعٍ كِتَابًا ص ١٥ -

يُنْفَذُ كتاب المغربي (?) من حلب بل من مصر كما في ر^(١) المنيح تصریحاً (٣) وجنوح المعرة وأهلها إلى المصريين باطل. فإن صاحبنا لم يكن يميل إليهم أو إلى مذهبهم بل لا يزال يشنع على محلتهم وينعى على حكمهم سوء أعمالهم وانظر النظرة. وإني لاستغرب من هذه الدعوى وهل صاحب حلب في هذه الأيام إلا أبو الفضائل سعيد الدولة وكان من ممدوحى صاحبنا. وأول قصيدة من مدحه بها^(٢) سنة ٣٩٠ هـ. على أن ابن القلانسي^(٣) ذكر أن أبا المعالي سعيد الدولة لما كاتبه رجال فرغويه من حلب ليمتلكها سار إلى المعرة فملكها أولاً وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير. وكان ذلك سنة ٣٦٦ هـ. فهذا يدل على صلة المعرة بسعد وسعيد قبل سنة ٣٨٦ هـ التي سماها ذلك المستعرب وبعدها. على أنا نراه يفضل أمراء آل حمدان على غيرهم قال. س^(٤):

لا تأمنن فوارساً من عامر إلا بذمة فارس من وائل

نقل الخوارزمي عن التبريزي ما خلاصته أن عامر بن صعصعة هم المستولون على العراق والجزيرة والشام. وآل حمدان ملوك حلب من وائل فكأنه. يشكو في هذا البيت عامراً ويشكر وائلاً وفيه إنباء إلى أن فارساً من وائل يعدل بفوارس من عامر اه. ومن ل:

يا ولى المصر والإقليم قد حفظت صنائعك أم كل امرئ ناس
أودعت ضعفاً فلا تجحد مؤدعه إن الأمانة لم ترفع من الناس
وكل من فوق الثرى خائن حتى عدول المصر مثل اللصوص
أيا ولى المصر لا تظلمن فكم جاء مثلك ثم انصرف

(١) ص ٩ ولفظه وان ضرب أوراق البيتية بمصر.

(٢) كما جاء في عنوان نسخة باريس الخطية من س -

(٣) ص ٢٨ -

(٤) ١ : ١٥٧ -

يقولون في المصر العُدُول وإنما حقيقة ما قالوا العُدُول عن الحق
ولستُ بمختار لقومى كونهم قضاة ولا وضع الشهادة في رَق
مضى قبل^(١) مصر الى ربه وخلى السيسة للخائل
أما عرف المقيم بأرض مصر وميض بوارق ودوى رعد
إن نال من مصر قضاء نازل فمسير هذا الخلق شر مصير

والمصر المحلى بآل هو مصر لا غير كما نرجح . وهذا للتوصل وقت الحاجة .
وأما بعض جمل من ر لها علاقة جزئية بالسياسة فإنها كما يكتب به الاخوان
ليس غير . فقد كتب^(٢) الى أبي أحمد عبد السلام بعد الرجوع من بغداد
والفتنة عند صماء . طعان بالمران ورماء . إنما يجيء الصيف وقد سل سيفاه
فهل يقول فيها أيضاً أنها سياسية . وكل هذا نتيجة ولع أبناء المغرب بالسياسة
لا علاقة صاحبنا بها .

وتصدى للرد عليه وشمر بعض شبان العصر^(٣) الا أنه وقع في مهوأة
أخرى فظن أن كاتب بكجور هو أبو الحسن الحسين بن علي المغربي فجعل
الوالد مجموعة الأب والابن حيث كناه بكنية الأب وسماه باسم الابن . ثم قال
إننا لا نشك في أن الوزير المغربي إنما يطلق على أبي القاسم وحده . أقول ولكن
ابن الأثير^(٤) وابن خلدون دعوا الأب أيضاً وزيرا . والأعمال التي دبرها مع
بكجور تدل على وزارته لا كتابته فحسب . وأما اختلاف المؤرخين في إطلاق

(١) لعله يريد العزيز والحاكم -

(٢) ر ص ٤٧ -

(٣) صاحب ذ ١٥٩ -

(٤) الكامل ٣٦ : ٩ - والعبر ٤ : ٢٥١

لفظتى المغربى ^(١) وابن المغربى على الوالد والولد وعلى عكسه فهذا سائغ فان كلا
منهما مغربى وابن مغربى أيضا . كما أن الجمهور يطلقون على التبريزي لفظ الخطيب
ولكن ياقوت ^(٢) يصحح ابن الخطيب فإنه لم يكن بنفسه خطيبا بل أحد أسلافه
ولكننا نرى كلى الإطلاقيين سائغا جاريا . وزعم أن صاحبنا لقب أبا القاسم
الوزير في رسائله ثم استشكل ذلك إذ لم يكن ولى الوزارة بعد . وهذا كله
دعاء فارغة فإني نقبت عن الرسائل الثلاث فلم أجده يخاطبه بالوزير أصلا ^(٣)
بل خاطبه بالسيد الجليل وخاطب والده بالسيد الأجل والأكبر

وأما الاغريضية فانها في تقرير مختصر إصلاح المنطق الذى وضعه أبو
القاسم وذكر فيها كالأولى أن لوالده عليه أيادي . ووصف شعرا له أرسله .
وذكر أن عبديه موسى والزهيرى ورداه وطلب منه موسى جواب كتاب صاحبه
وذكر أن له بلغة يتبرّض بها وأنه في المراسلة به دون والده كمن سجد للشمس
زاعما إياها إلا أنه وأن الرسالة الاولى عرضت منه موضع الإكرام فبعث أختها
راجيا لها بختها . والذي يهّم أنه أظهر فيها وجده الى زيارة فنائه . والظاهر أن
أبا القاسم طلبه إلى حضرته إلا أنه اعتذر عنه برسائلته ٢١١ -

القاضى أبو حمزة التنوخى ^(٤) وأبو الحسين النكته وأبو الخطاب الجبلى

فأما الأول فهو الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن
داود بن المطهر ويجمع مع صاحبنا في داود على ما نراه صاحب الجواهر

(١) انظر ابن الملاء ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، وغيره -

(٢) البقية ٤١٣ -

(٣) بل خاطبه بالوزارة بعد وفاته في رثائه المار وكان ولى الوزارة قبل موته مرارا -

(٤) قاضى منبج كان - الوفيات ٢ : ٤١٧ -

المصيدة^(١) قال ومات قبل الأربعمائة اه فرثاه أبو العلاء بداليته^(٢) التي أولها:
غيرُ مجْدٍ في مِلَّتِي واعتقادِي نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرَنَّمُ شَادِ
وهي^(٣) من غُرر المراثي وحسناتها، ودُرر التآيين لآخر زاتها. أبان
فيها عن صدق الإخاء، والوفاء للاصدقاء. وكان من أسرة الدين واثقوى
والإنابة والرعوى وكان خِدَن صباه لم يحلَّ لجهل حباه. قال س^(٤):
كنتَ خلَّ الصبي فلما أراد البينَ وافقتَ رأيَه في المراد
ومنه يظهر أنه مات في غصارة شبابه وخلف أخا يدعى محسنا^(٥) ذكره
صاحبنا في القصيدة وترجم له صاحب الجواهر^(٦) أيضا وأبناء^(٧) - ووصفه فيها
بالخطابة والفقه ورواية الحديث - والقصيدة تنمُّ بالخطبة التي توخاها في
عزله من إعراضه عن الدهر ولذته فلا بأس أن نلمع ببعضها. فمنها بعد البيت
الأول:

وشبيهه صوت النعي إذا قيَّسَ بصوت البشير في كل نادٍ
أَبَكَّتْ تِلْكَ الحَمَامَةُ أُمَ غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا المَيَّادِ
صاح مهدي قبورنا تملأ الرُحْبَ فأين القبور من عهد عاد
خَفَّفَ الوطءَ ما أَظَنَّ أديمَ الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قَدَّم العهْدُ هوانُ الآباء والأجداد

(١) حيدر آباد ١ : ١٩٦ -

(٢) س ١ : ٢٠٨ - وزعم صاحب ذ ٢٣٩ أن القصيدة من شعره في دور حياته الثالث

بعد الرجوع عن بغداد وهذا غلط منه كما ترى -

(٣) قال الصفدي الغيث ٢ : ٢٤٤ وما أكثر حكمة المعري من هذه القصيدة اه -

(٤) س ١ : ٢١٥ -

(٥) س ١ : ٢١٦ -

(٦) ٢ : ١٥١ -

(٧) س ١ : ٢١٧ -

سِرَّانَ أَسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويْدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَا حَكٍ مِنْ تَزَا حُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِنَ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
.....

تَعَبُ كُلِّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مَنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إِنَّ حَزْنًا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
خَلَقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يَنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لَ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ
ضَجَعَتِ الْمَوْتَ رَقْدَةً يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا جِسْمُهَا فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ
.....

كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ ، مَا تَبَتَّنَى الْوَر قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
وَالْفَتَى ظَاغِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السَّيِّدِ ضَرْبَ الْأَطْنَابِ وَالْأَوْتَادِ
بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ مِنْ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادِ
وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ
وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مِنْ لَيْسَ يَغْتَرُّ بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِلْفَسَادِ
قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي النَّسَبِ (١) « أَبُو الْخَطَّابِ الشَّاعِرُ الْجَبَلِيُّ ... وَكَانَ مِنْ
الْمُجِيدِينَ قَالَ ابْنُ مَا كُولَا : لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَمَدَحُ أَبِي وَعَمِّي قَاضِي الْقَضَاةِ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ . قُلْتُ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِتِيَّ مَشَاعَرَةً ، وَمَدَحَهُ أَبُو الْعَلَاءِ
بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَنْشَدْنَاهَا الْأَدِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَلَّالِ
بَأَصْبَهَانَ [قَالَ أَنْشَدْنَا] أَبُو الْمَكَارِمِ عَبْدِ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَنَعَمِ الْأَبْهَرِي
[قَالَ] أَنْشَدْنَا أَبُو الْعَلَاءِ ... لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُجِدِّ الْبَيْتِ . وَمَاتَ أَبُو الْخَطَّابِ فِي ذِي

(١) ورق ١٢٢ وصحح كلامه من البلدان رسم جبل وفيه اسمه محمد بن علي بن محمد بن
إبراهيم كما في التتمة أيضا

القعدة سنة ٤٣٩ هـ « اه قال ابن خلكان ^(١) وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعري الى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفى قاضي منبج كان ، وقد ذكر ذلك القاضي كمال الدين عرف بابن العديم الحلبي هـ . قال العاجز أما القصيدة فانها في أبي حمزة حقاً وفي عنوانها يرثى « فقيها حنفياً » وسمى فيها أبا حمزة وأخاه محسناً وأبناءه كما مر . وقد علمت ان محسناً أخو أبي حمزة من الجواهر أيضاً . على أن القصيدة ليست من المشاعرة في شيء . ويلزم على هذا أن يكون في س من الشعر ما قيل بعد سنة ٤٣٩ ^(٢) وهو باطل . إلا أن ابن خلكان سبق قلبه فتابع السمعاني في قوله « بل كتبها الى » اه فإن القصائد ليست مما يكتب الى الاموات . فوجه العبارة « بل كتبها في » اه وأبو الخطاب يأتي في الزوار أيضاً . وأما قصيدة أبي العلاء إليه فانها بائئة ^(٣) من س أجاب بهاعن قصيدة مدح بها أبا العلاء ودفع نسختها إليه وجاء في عنوان البائئة أنه كان مفرط القصر -

وورد ذكر أبي حمزة في ر ^(٤) له إلى النكتي بما نصه « وأما صديقنا أبو حمزة رحمه الله فقد نقله الله جل اسمه من دار الشقاء الى دار النعيم والبقاء » اه هذا يدل على أن هذه الدرر اثلاث من عقد قد انفصم . فاستأثر بأبي حمزة الأوَّاب الجذع الازلم . وأما النكتي فانه أبو الحسين أحمد بن عثمان البصري . ولم أعثر من أخباره غير ر ^(٥) وتدل على أن الرجل شاعر أديب راوية وله كتاب في تفسير سورة الاخلاص ذكر أن نسخته كانت عند أبي

(١) ٤١٧ : ٢

(٢) ويأتى في ذكر سران آخر قصيدة فيه مارتى به ابن المهذب نحو سنة ٤٣٥ هـ ان صح قول شارح المجانى ص ١٢٤٩

(٣) ١٥٣ : ١

(٤) ٨٧

(٥) وهي ٢٧ ص ٦٥

بكر المؤدّب وذكر صديقاً للنسكتي يدعى أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز من تلامذة ابن خالويه . وروى عنه أبو العلاء خبراً ففعل النسكتي أيضاً من أصحاب ابن خالويه أو من أصحاب أقرانه . ومر أمر قصّره كنية صاحبنا وغيره . وقد أطال صاحبنا في سرّد الضرورات الشعرية بما خلا عنه أكثر كتب العروض . وهذا يدل على اضطلاع الرجل من العروض اضطلاعاً لا مزيد عليه . وذكر أن صاحبنا قبل هذا وأن الرجل رحالة . وأما تاريخ هذا الكتاب فهو نحو ٤٠٠ هـ أو بعده . والله أعلم

أسباب رحلته الى بغداد

قد نقلنا فيما سبق بيتاً له في أنه كان يُحدّث نفسه بالرحلة إليها من شرخ شبابه إلاّ أنها لم تتيح له إلا بعد الكهولة . فأما جواب مُسائلي له ؟ فإني أسأله لماذا كان رحل إلى حلب وغيرها من بلاد الشام ؟ فما أجابني فهو جوابي له غير التعلم . والذي يخلص إلينا من كلامه تشيره ونظامه أنه زارها لدار الكتب ، ولقاء فحول العلم والأدب . والاستمتاع بحضور محافلهم وحلقاتهم ، والأفادة والاستفادة من محاضراته ومحاضراتهم . لأن عام بغداد في هذا الغرض كان يفضل على قرن المعرفة . على أنه كان أسأله بأوطانه الضرير والمضرة . فإذاً السبب الثاني تبرّؤه من الفتن الهائلة ، والدول الدائلة . وتوثّب أجلاف البدو ، وحملة المصريين والغزو . على ما كان الروميون المجاورون يسومونهم من أنواع الخسف ، ويكيدونهم به من الحيف والعسف . فكان هاتيك الفتن المتوالية رنقت سائغ منهله فعزم على الرحلة والنقلة . بعد أن كان يجمع بها في العزلة . وهذه شواهد لسانه ومرقوم بنانه : كتب إلى ابن سحتمكين (١) « وكنت عرّفته

أن من رحل عن بغداد لم يجد منها عَوْضًا ، وإن وجد مَحَلًّا مَرُوضًا . لأن غابر العلم بها غريص ، وصحيح الأدب في سواها مريض » - وكتب الى خاله أبي القاسم ^(١) « والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها * [الحماسي] :

ولست وإن أحببت من يسكن الغضا بأول راج حاجة لا ينالها شر فالذلك المنزل منزلا وللساكنين به نفرا ولما دجله واديا ومشربا . ومما كتب الى أهل المعرة ^(٢) وقد عزم على الرجوع « وأحلف ماسافت أستكثر من النشب ولا أتكثر بقاء الرجال . ولكن آثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يُسَعَف الزمن بإقامتي فيه » . ومما كتب الى الواجكا ^(٣) بعد الرجوع « ولو قدرت لم أقدح الا بمرخ ^(٤) ولا سكنت بلداً غير الكرخ » . وفي س ^(٥) :

وما أربي إلا مُعَرَّسُ معشر هم الناس لاسوق العروس ولا الشط
قال صاحب التنوير والضرام يعنى دار الكتب ببغداد لأنها مجمع العقلاء والعلماء الذين هم الناس . وسوق العروس مجمع الطرائف بها . ومن ل :

إذا دنوت لشام أو مررت به فنكبيه وراء الظهر أو حيدى
قد غير الدهر منه بعد مبتهج وألحد السيف فيه بعد توحيد

ألمنا بلاد الشام ألف ولادة نلاقي بها سر الخطوب وحرها
والشام فيه وقود الحرب مشتعل يشبه القوم شدت منهم الحجز

(١) ر ٣٢

(٢) ر ٣٤

(٣) ر ٤٧ -

(٤) مر شرحه فيما قبل - والمرخ يكثر بنجد وما جاورها -

(٥) ٢ : ١٢٥ -

وبالعراق وميض يستهل دماً وراعد بلقاء الشر يرتجز
ونراه يكرّر أنه لم ينوها للإثراء ، ولا قام من أحد مقام المستميع بالمدح
والإطراء . كأنه كان يعلم بما به يُظنّ ، ويُقرّف ويُزنّ . س :

وأني تيممتُ العراق لغير ما تيمّمه غيلانُ عند بلال (١)

وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم له بارقاً والمرء كالمرز هطّال (٢)
وكتب إلى ابن فورجة وهما ببغداد :

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاءك الخطّ الجزيل (٣)
وكتب إلى التنوخي الصغير بعد الرجوع :

رحلتُ لم آتِ قرواشاً أزاوله ولا المهدّب يوماً أبتغي القوتا (٤)
والموت أحسن بالنفس اتى ألفت عزّ القناعة من أن تسأل القوتا

وقال في مريّة أبي أحمد الموسوي مخاطب ولديّه :

أوضعتُ في طرُق التشرف سامياً بكما ولم أسلك طريق العافي (٥)
ومما كتب إلى أبي حامد :

وبالعراق رجال قريهم شرف هاجرتُ في حُبهم رهطي وأشياعي (٦)
على سنين تقضت عند غيرهم أسفتُ لا بل على الأيام والساع

ولا أثقل في جاء ولا نشب ولو غدوتُ أخا عدم وادقاع

(١) ٤٥ : ٢ -

(٢) ٥٤ : ٢ -

(٣) ٨٧ : ٢ -

(٤) ١١٩ : ٢ -

(٥) ٦٦ : ٢ -

(٦) ١٦١ : ١ ، ١٦٢ -

هذا وقال القفطي^(١) في إنباء الرواة بأنباء النحاة والذهبي^(٢) في تاريخه الكبير « أن عامل حلب قد كان عارض أبا العلاء في وقف كان له فسافر الى بغداد متظلماً منه » اهـ ولعل العامل هو أبو نصر بن لؤلؤ^(٣) المستولى على أبي الفضائل سعيد الدولة وكان أبوه لؤلؤ من موالي أبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة. ويشتكل على هذا أن أبا نصر كان خطب للحاكم العلوي لا للخليفة العباسي حتى يكون مسيره اليه للتظلم والاستصراخ، ولكني أرى أن أبا نصر لم يكن لينذل للفاطمي نخيلة صدره ونصيحة ضميره. ولم تكن الخطبة باسمه الا استظهاراً على أبي الفضائل واستكفاً لشر العبيدين. ويعجبنى قول^(٤) من قال على أنه من الممكن أن نسلم أن مسيره الى بغداد كان تبرماً من أمر اختلال معيشته لا تظلماً الى الخليفة في استرداد وقفه وضيعة. فانا لم نجد ذكراً للوقف المذكور مدة إقامته بها. على أن يتبين له من من يكذب أن ما روياه - قال بعد الرجوع يخاطب أهل بغداد:

أثارتني عنكم أمران: والدته لم ألقها، وثراء عاد مسفوتاً
أحيها الله عصر البين ثم قضى قبل الاياب الى الدخارين أن موتاً
فقوله أحيها إله صريح في أن ثراء عاد مسفوتاً بعد مفارقتها المعرة
وقبل رجوعه إليها - لا قبل مفارقتها المعرة - ولم أر أحداً من مترجميه أثبت
صلة له بالخليفة إلا دولت شاه الفارسي وقوله مردود عليه كما يأتي. ولا
نظن^(٥) أن العامل هو سعيد الدولة فاما نرى شيئاً إذا وأمرأ بدعا أن

(١) ذ ٥٥

(٢) ذهبي ١٢٩

(٣) كما يفهم من سوق ابن الاثير ٩ : ٩٤ وأبي الفداء ٢ : ١٤٠ لا لؤلؤ كما في ذ ٥٥

وانظره في الحكام

(٤) هو المستعرب د - س . مرجعنا

(٥) كما ذهب على صاحب ذ ٥٥

ينتزع من صاحبنا وقفه مع أنه لم يكن مضى على مدحه إياه بعدة قصائد كما
مرّ الا بضعة أعوام

وروى ابن الوردي ^(١) عن الشيخ أبي غالب فيما حدثه أبو العلاء من لفظه
أنه نزل بغداد ليقرأ بها العلم فلم يصادف بها مثله . وقال ابن العديم في العدل إنه
أقام ببغداد يتفقّد خزائن الكتب بها . والقولان يؤيدان ما أسلفناه .

بغداد

فيم كانت إذ ذاك ؟

كانت بغداد في هذا العصر وقبله وبعده محفوفةً الى غيرها من حواضر
الاسلام بمنافسات السياسة . فعادت مجال فرسان ملوك الأطراف ومطمح أنظارهم
المتعارضة التي جعلت الخليفة تحت الحراسة . فكان كلعبة يرقص على أغراضهم .
يقبل بإقبالهم ويُدبر بإغراضهم . ولا كان لأوامره نجاز ، أو إكرا أو إعزاز
كما قيل فيما كان قبله من الجليل :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما تقول البيغا

وكان المستولى عليه - من ملوك آل بُويّه - بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن
قويّاً أيّداً ، ولا كريماً سيّداً . كان يعيش من خلوّ الجوّ خلوّ البوّ ، وإفقار
الدوّ ، كجُبّاً تَوّ

إلا أنها مع ضعفها من جهة السياسة كانت مُخَيِّمَةً علماء الإسلام ، وآحاد
الأنام ، ونخبة الأيام ، من كل محصل همام . رقيت في العلم رُقياً لم يقدر لها
فيما مضى عليها من القرون ، على هنات وشجون ، وتشتت الشؤون . والسبب

فما أعلم أن كل الملوك كانوا ارتضعوا أفويق الحضارة الإسلامية ومعاشرتها وتبرّضوا أوشالها وغمرتها . وتربوا في ظلّها السابغ ، على كل نبيه نابغ . فخرج كلّهم ابن بجدته ، ونسيج وحده . فكان فحل آل بويه عضد الدولة نحوياً أديباً شاعراً . وسيف الدولة لغوياً شاعراً أيّ شاعر . والصاحب والاستاذ ابن العميد لم يُخلفا بعدهما من يجاريهما في الرهان . فكيف بإحراز الخصل عليهما عند الأقران .

وكانت بغداد مدينة السلام وبيضة الإسلام فاجتمع بها من أرباب المقاتلات والمبلل ، والآراء والنحل ، والفقه والأصلين والجدل . والأخبار والآثار ، وعلماء الحديث والنحو والأدب واللغة الأخيار . ما يجاوز الوفا ، ويمقد على اذان الدهر شنوقاً . ولم يكن مضى بعدُ على وفاة أبي علي وأبي سعيد والصاحب وابن العميد . والبديع . وابن فارس . وابن جني وهو فارس مضمار العربية أيّ فارس كبيرُ مدة ، وطويلُ برهة . فالعلم بها غصّ غريض ، ولم يكن الجريضُ ، حالَ بعدُ دون القريض . فهي غاصة بعلمائها وفقهائها ، شارقة بأعيانها ووُجهاها . وكان بها من أمثالها ممن لم نعثر له على صلة بصاحبنا أبو بكر البرقاني وابن المحاملي من أصحاب أبي حامد والقاضي عبد الجبار المعتزلي والاستاذ أبو منصور البغدادي ومن أعيان العصر القادر بالله الخليفة وبهاء الدولة البُويهي والوزير أبو نصر وقرّ وواش صاحب الموصل والمهذب صاحب البطيحة والسلطان محمود الغزنوي وهو متغلغل في مجاهل الهند . ومن عثرنا له على صلة به شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني والامام الرئيس أبو حامد الاسفرائني وكان ذا كلمة نافذة يحضر حلّته ٧٠٠ متفقه كما قال الخطيب ^(١) ورُجِح ^(٢) أنه مجدد المائة الرابعة وأبو ^(٣)

(١) الشافعية ٣ : ٢٥ والوفيات ١ : ٢٠ -

(٢) الشافعية ١ : ١٠٥ و ٣ : ٢٦ - وكان يدرس بقطيعة الفقهاء كما سيأتي -

(٣) أحمد بن محمد الضرير ترجم له في الشافعية ٣ : ٣٣ -

سعيد الخوارزمي من تلامذته وكان زار صاحبنا بالمعرة سنة ٣٩٨ هـ وهو بنية الحج ، قالوا ولم يكن في عصره بعد أبي الطيب أفتق منه . والامام أبو الطيب الطبري الفقيه النظار شيخ الخطيب أبي بكر والامام أبي إسحق الشيرازي . والقاضي عبد الوهاب أكبر علماء المالكية . وعلي بن عيسى الربيعي صاحب أبي علي الخصيص وصاحب أبي سعيد ، والأديب الراوية الجهمذ الواجك وسيرد الشريفان المرتضى علم الهدى والرضي الشاعر وهما إذ ذاك مأثرتا بغداد وعلماهما ، ورأساهما الشرسوران لا قدماهما ، وأبوها الشريف النقيب أبو أحمد الموسوي ، وأبو القاسم علي بن المحسن ^(١) وهو القاضي التنوخي الصغير ، إلى غيرهم ، وهم كثيرون ويؤثر سردهم السأم والملل « وعن البحر اجتزاء بالوشل »

تجهز للسفر

ووصف طريقه إليها

بينما كان يعدّ المعداد لسفره إذ ورده بالمعرة الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير من بغداد في رمضان سنة ٣٩٨ هـ . وهو من أكابر أصحاب أبي حامد ويقال انه لم يكن في عصره من الشيوخ بعد أبي الطيب الطبري أفتق منه ومات سنة ٤٤٤ هـ . ترجم له صاحب طبقات الشافعية ^(٢) . وكان صحبته كتاب من أبي الطيب الطبري إلى أبي العلاء إلا أن البادية اختطفته في جملة كتبه ونهبتها . وقد أخذ صاحبنا في جواب هذا الكتاب المفقود إلا أنه لم يكمل

(١) بتشديد السين المكسورة قال في س ٢ : ١١٨ :

يا ابن المحسن ما أنسيت مكرمة الخ

(٢) ٣ : ٣٣

فَيُوصَلُ إِلَيْهِ كَمَا فِي عَنَوَانِ ر^(١) «الَا أَنِي أَرَى الْأَصْلَحَ أَنْ يَصِيرَ بِنَفْسِهِ جَوَابَهُ الْمُعَدَّ
فَإِنْ رَحَلْتَهُ كَانَتْ أَرْفَتْ وَكَأَنَّ قَدْ وَيُظْهِرُ مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ مُتَرَدِّدًا^(٢)» بَعْدُ فِي السَّفَرِ
عَلَى السُّفُنِ الْدُحُمِ ، أَوْ التُّوقِ الْجِلَادِ الْأُدُمِ .

وَذَكَرَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ أَنَّ جَمَلَةَ مُعَدَّاتِ السَّفَرِ مِنَ السَّفِينَةِ وَالْمَطِيَّةِ
كَانَتْ مِنْهُ وَكَانَ أَخُوهُ أَبُو طَاهِرٍ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى مَعَارِفِهِ بِبَغْدَادٍ فِي التَّوَصِيَةِ بِصَاحِبِنَا
وَهَذَا لَفْظُهُ^(٣) « وَمَا هَبَطْتُ فِي طَرِيقِي وَادِيًا وَلَا فَرَعْتُ جَمَلًا ، وَلَا حَمَلْتَنِي
سَفِينَةٌ وَلَا ذَلَّتْ لِي مَطِيَّةٌ ، إِلَّا بِمَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمِنْهُ سَيِّدِي وَعِنَابُهُ . . . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّهُ يَعْمَلُ ذَلِكَ مَعِيَ لَا يَرِيدُ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا . وَأَمَّا سَيِّدِي أَبُو طَاهِرٍ .
مَا زَالَتْ كِتَابَةُ تَطَرُّقِ أَصْدِقَاءِهِ مَحَافِظَةً عَلَى الْمَسْكَرَمِ ، وَمِرَاعَاةً لَأَمْرٍ غَيْرِ لَازِمٍ
حَتَّى جَعَلَهُمْ إِلَيَّ كَعَرَفِ الْفَرَسِ أَوْ قُوَى الْمَرَسِ وَكَلَّمَا عَرَضُوا قِضَاءَ حَاجَةٍ
أَعْرَضْتُ عَنْ تَكْلِيفِ الْمَشَقَّةِ لِأَنِّي أَعْتَقِدُ حِكْمَةً زَهِيرًا فِي قَوْلِهِ :

وَمَنْ لَا يَزِلُّ الْبَيْتَ وَمَرَّ

وَلَمَّا دَخَلَهَا كَتَبَ إِلَى أَبِي حَامِدٍ عَيْنِيَّةَ مَنْ س^(٤) وَصَفَ فِيهَا طَرِيقَهُ الْخَوْفِ
وَسَفِينَتَهُ وَبَذَلَ لَهُ فِيهَا وَدَّهَ قَالَ :

إِسْمِعْ أَبَا حَامِدٍ قُتِيًّا قَصِدْتَ بِهَا	مَنْ زَائِرٌ لَجِيْلٍ الْوُدِّ مَبْتَاعِ
مُؤَدِّبِ النَّفْسِ كَالِ عَلَى سَغَبِ	لَحْمِ النَّوَائِبِ شَرَّابِ بَأْتِقَاعِ
أَرْضِي وَأَنْصِفْ إِلَّا أَنِّي رُبَّمَا	أَرَيْتُ غَيْرَ مُجِيزٍ خُرْقِ إِجْمَاعِ
وَذَلِكَ أَنِّي أُعْطِيَ الْوَسْقَ مُنْتَحِيَا	مِنْ الْمَوَدَّةِ مُعْطِي الْوُدِّ بِالصَّاعِ

(١) وهي ٢٥ ص ٦٢

(٢) ر ص ٦٣

(٣) ص ٣٠

(٤) ١ : ١٥٨

ولا أثقلُ في جاء ولا نَشَبَ ولو غدوتُ أخا عُدْم وإدقاع
 مَنْ قال صادقٌ لئام الناس قلت له قول ابن أسلت «قدأبلغت أسماعي»
 وحضه على استخلاص سفينته ولكنه لم يوفق إلى ذلك وخلصها آل حكار
 فشكر لهم صنيعهم ونذ كره فيما بعد :

مطيقي في مكن لست آمنه على المطايا وسرحان له راع
 فارفع بكفي فاني طائش قديمي وامدّد بضبعي فاني ضيق باعي
 وما يكن فلك الحمد الجبل به وإن أضيعت فاني شاكر داع

فالظاهر إذاً أن يسير من المعرة^(١) إلى وادي الفرات على النوق حيث
 كانت سفينته معدّة فيركب فيها إلى الفارسية بالفاء والراء وهي قرية على ضفة
 نهر عيسى بعد الحوّل من قرى بغداد بينهما فرسخان وذكرها ياقوت . وفيها
 أخذها العشّارون وكانت من عود الفرصاد وأظنها هي التي كان يركبها أخواله
 في رحلاتهم إلى بغداد للتجارة . وفي طبقات السقط :

سارت فزارت بنا الأنبار سالمة تزجى وتدفع في موج ودفاع
 والقادسية أدتها إلى نفر طافوا بها فأناخوها بجمعاج
 القادسية بالقاف والذال وكذا في طبقات التنوير أيضاً . وهو تصحيف
 شنيع أوقع كل من كتب عن أبي العلاء شيئاً^(٢) في غلط قبيح . قال الخوارزمي
 في شرحه هي بالفاء والراء عن الامامين صاحب الايضاح^(٤) وصاحب التنوير

(١) وذهب على مرجليوث ومن تبعه انه رحل من حلب وهذا غلط فانه صرح في رسالته
 ص ٢٩ الى أبي القاسم أنه نكب حلب في الابداء والانكفاء أي الذهاب والاياب . ومثل هذا
 الخطأ غريب من ترجمان الرسائل ، وكم له من مثله

(٢) كمرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته وغير جلدته كصاحب ذ ١٧٠ وعجب منه
 أن يقول «انه يصف في العينية طريقه البرية» ولعله اغتر بذكر الناقة في أولها فهل غفل نظره
 عن قوله على نجاة من الفرصاد البيت فانه كنى بالناقة عن السفينة
 (٤) هو التبريزي

وكان الاستاذ البارع (يريد شيخه ^(١)) برهان الدين أبا المظفر ناصر الدين بن أبي المكارم عبد السيد المطرزي صاحب شرح المقامات والمصباح والمغرب المتوفى سنة ٥٩٦ هـ .) قد أسمعني (؟) بالقاف والدال وهو سهو لان القادسية أول منزل في البادية بينها وبين الكوفة مرحلة . وما للسفينة والبادية ؟ وحكى لي بعض إخواني من الأفاضل أنه ^(٢) قد وقع فيه بيني وبين الاستاذ البارع منازعة فتحنا كئنا الى بعض العلماء من مستعربة تلك البلاد فحكم لي اه مختصراً قال بعض مستعربة العصر ^(٣) ان سفينته لما وصلت الأنبار سالمةً وكان هناك نهر يمكنه المسير فيه الى بغداد الا أنه أعرض عنه لعارضة الفصل فمال بسفينته الى القادسية من طريق أخرى (؟ ؟ ؟) فحبسها أصحاب السلطان ^(٤) هناك اه وهذا الرجل سار بها في البر فيا للعجب وقد استغنينا عن رد قوله بما مضى ولا شك أن رحلته هذه واحدة . وذهب على ابن خلّكان ^(٥) ومنزلته من التحقيق معلومة أنهما رحلتان له اليها وهو وهم منه لا محالة . وقلده بعض أهل العصر ^(٦) فوقع فيما وقع فيه . ولم أقف على مصدره بعد . وأما انفصاله من المعرة فالذي نستنتجه أنه وقع في آخر شوال بل أول ذي القعدة سنة ٣٩٨ هـ . وذلك أنه كان في رمضان بالمعرة كما مرّ حيث زاره أبو سعيد القتيبي الضرير فلم يكن يمكنه الا أن يسير في شوال لدنو العيد . وان مدة إقامته بها سنة وتسعة

(١) فانه روى عنه السقط قراءة . وانظر مقدمة الضرام -

(٢) لعل الاصل قال انه الخ

(٣) هو رجليوث في م ر ص ٢١ - تاريخ كلاه صاحب ذ ١٣٠ وغيرهما

(٤) (٤) ولو انه نظر عنوان الطائفة ٢ : ١٢١ س لكما وفيه « وامر الزورق الذي كان نزل معه الى بغداد » وهذا الرجل حبسه في البر على القادسية

(٥) ٣٤ : ١ - وتبعه اليافعي ٣ : ٦٨

(٦) كجورحي زيدان وفان كريمر الالمانى وغيرهما

أشهر كما في النزهة^(١) لابن الأثيري رواية عن التبريزي تنتهي على رمضان سنة ٤٠٠ هـ وكان ودعها لست بقين منها كما هو في ر^(٢) إلى خاله أبي القاسم . وقال ياقوت وتبعه ابن خلكان والصفدي أنها سنة وسبعة أشهر^(٣) . ولا أرى ما ذهبوا إليه صواباً . وذلك أنه لم يدخلها إلا أول سنة ٣٩٩ هـ كما في النسب للسمعاني والنزهة . ولعل هذه المزلّة هي التي ثبّت من جهتها ابن خلكان رحلته الفدّة حيث زعم أنه دخلها أولاً سنة ٣٩٨ هـ ثم سنة ٣٩٩ هـ

ويظهر من رله^(٤) أنه استأذن أمّه البرّة في أمر هذه الرحلة فأذنت فيها وكانت تحسبها هنيئة . ومديدة وبرية . إلا أنها طالت . إلى أن وافاها الحماهم ففادت . ولم يكن صاحبنا انتحاشاً للفراق . بل ليقم ببغداد إلى أن يخترمه حلاق إلى ما قال . ل :

إذا غدوت عن الأوطان مرتحلاً فضاء في البين حذف الواو من يعد
كانت فبانت وما حنت إلى وطن وعاد غاد إلى وكر ولم تعد
ومن شعره في المعنى . س^(٥) :

فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينع لمساكنك البال
فإن أستطع في الحشر آتاك زائراً وهيئات إلى يوم القيامة اشغال
ومن ر^(٦) « فشاهدتُ انفس مكان لم يُسَعِف الزمن بإقامتي فيه » - ومما

(١) ٤٢٧

(٢) ص ٣٢

(٣) وكذا في حاشية من شرح التبريزي على السقط . وليس معلقها التبريزي نفسه كما زعم مرجليوث ص ٢٠ وكيف يقول هذا القول مع صحة الرواية عنه بسنة وتسعة أشهر

(٤) ٢٩

(٥) ٢ : ٥٤ .

(٦) ص ٣٤ -

كتبه ^(١) الى خاله ابي القاسم ولما فاتني المقام بحيث اخترت الخ ويأتي للبحث
تتمة في وداعه لها .

وفي العدل لابن العديم إشارة الى أن أبا العلاء وصل بغداد يوم موت أبي
احمد الموسوي مع قوله بأنه وصلها سنة ٣٩٩ هـ وهذا تناقض ولعله ممن ^(٢)
روى عنه فلا ريب ثم أصلا في ان موت الشريف وقع في جمادى الاولى
سنة ٤٠٠ هـ وكان دخول أبي العلاء بغداد سنة ٣٩٩ هـ كما مر .

مقامه بها ومنزله

الذي يُرشدنا إليه بيت من س ^(٣) مما كتبته الى التنوخي الصغير وهو :
أيام واصلتني ودًا وتكرمةً وبالقطيعة دارى تحضر النهرًا
أن مقامه القطيعة . وبالكرخ من بغداد وهو الجانب الغربي الذي تدبره
منها قطيعتان إحداهما قطيعة الربيع كان يسكنها التجار والأخرى قطيعة الفقهاء
ولا نجزم بإحدهما لفقدنا مأخذًا من التاريخ إلا أننا نرجح قطيعة الفقهاء
ومستدلنا بيت من س ^(٤) :

بمحلة الفقهاء لا يعيشو الفتى نارى ولا ينضو المطى عزائى
وإن كان صاحب التنوير والضرام أرادا بمحلة الفقهاء بغداد . وأظن أن هذا
من عدم علمها بمقامه ، وإلا فظاهر أن المحلة لا يراد منها مدينة عادةً
وأما نزوله بالكرخ فقد تواتر لدينا دلائله . وبه كان في محلة بين السورين

(١) ص ٣٣ -

(٢) وهو عيسى اسكندر الملعوف الذي وصف نسخة العدل المخرومة في مجلة المجمع
العلمي بدمشق سنة ١٣٣٩ هـ ص ٢٣٦ - ٢٤٤ -

(٣) ٢ : ١٤٠ -

(٤) ٢ : ١٠٠ قال ابن الاثير ٩ : ١٠٨ كان ابو حامد الاسفرائني يدرس بمسجد عبد الله
ابن المبارك بقطيعة الفقهاء

خزانة سابور . ولعل منزله بالقطيعة كان من دار سابور الملحقة بخزانته مما وقفه
 لأهل العلم الذين يستفيدون منها وذكرها في س^(١) بقوله:
 وغنّت لنا في دار سابور قينةً من الورق مطراب الأصائل ميهال
 ويأتي قول ميهار فيها -

وقال أبو الطيّب الطبري^(٢) على ما نقل عنه السلفي في الجزء الذي
 وضعه في أخبار أبي العلاء « كتبتُ إلى أبي العلاء المعريّ الأديب حين وافى
 بغداد وكان قد نزل في سوقة غالب (وهي من محالها) ثم أتى بأبياته وبجوابها
 على اللام - وانظرهما في الفأنت - فلعل نزوله بها كان بادئ بدء عند بعض
 معارف خاله أبي طاهر أو من مكاتبه من أعيان فقهاءها ، ثم يكون انتقل منها
 إلى القطيعة

وكان الكرخ إذ ذاك محطّ رحال أمثال الفضلاء ، نشأ فيه ناشئة من
 بلغاء الأدباء والشعراء . وبحسبك في الباب ما أورده ياقوت^(٣) في ترجمة
 الباخري عن السمعاني أنه لما ورد بغداد مدح القائم بقصيدة (ذكر بعضها
 ياقوت) فاستهجن البغداديون شعره وقالوا فيه برودة العجم فانتقل إلى الكرخ
 وسكنها وخالط فضلاءها وسوقها مدة وتخلق بأخلاقهم واقتبس من اصطلاحاتهم
 ثم أنشأ قصيدة (ذكر أيضاً بعضها) فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره ورق
 طبعه اه . أقول وكان صاحبنا أشار إلى هذا المعنى بقوله - س^(٤) :

(١) ٥١ : ٢ -

(٢) الوفيات ١ : ٢٣٣ والبدائم للزدي ٢ : ١١٤ ولم يذكر الازدي سوقة غالب
 وأورد الخبر مسنداً فقال أخبرني ابن المقدسي قال أخبرني الحافظ السلفي قال سمعت أبا الحسين
 المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول سمعت القاضي أبا الطيب الطبري يقول كتبت إلى أبي
 العلاء المعري حين وافى بغداد اه مختصراً والياضي ٣ : ٧٠ - وابن الوردي ١ : ٣٦١

(٣) ١٢٣ : ٥ -

(٤) ٧٦ : ٢ -

وما الفصحاء الصيِّد والبدر دارها بأفصح قولاً من إمائكم الرُّكَّع
وفي دَرْب الزعفران من الكرخ يقول القاضي أبو الحسن الميائنجي^(١)
الفتية وكان رفيقاً لأبي إسحاق الشيرازي في القراءة على أبي الطيب الطبري
ويصف ما وشان همدان:

إذا ذكر الحسان من الجنان فحيَّلاً ! بوادي الماوشان
تجد شعباً تُشعَّبُ (?) كلَّهم وملهى ملهى عن كلَّ شان
ومغنى مغنياً عن كلَّ ظبي وغانية تدلُّ على الغواني
بروض موق وخير ماء ألدَّ من المثلث والمثاني
وتغريد الهزار على ثمار تراها كالعقيق وكالجمان
فيالك منزلاً ! لولا اشتياقي أصحابي بدرب الزعفران
أنشدت هذه الأبيات بين يدي أبي إسحاق وكان متكئاً فلما بلغ
إلى البيت الأخير جالس مستويا وقال المراد بأصحابي درب الزعفران أنا - ما
أحسن عمده^(٢) اشتاق إلينا من الجنة.

دار الكتب القديمة

وأبو أحمد الموسوي وولداه

كان ببغداد خزانة الخلفاء وكان فيها من الكتب ما لا يوصف كثرة ولا
يقوم عليه نفاسة ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر ببغداد - كما في صبح
الأعشى^(٣) - وأظن الواجكاً من خازني هذه الدار . وذكر في الغفران^(٤) ابن

(١) علي بن الحسن بن علي -

(٢) كذا والظاهر ماعده -

(٣) ٤٦٦ : ١

(٤) ١٠

حاجب النعمان وهو أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم. قال النديم في الفهرست^(١) وقد ترجم له «ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزائنه لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة» اهـ. ولا نستغرب أن يكون صاحبنا استفاد منها ومن غيرها من الخزائن الخصوصية. ثم إن بهاء الدولة بن عضد الدولة أنشأ^(٢) خزانة بشيراز وولّى رعايتها علي بن هلال المعروف بابن البواب - صاحب الخطّ الشهير - ففعل هذا كان الباعث لوزيره أبي نصر سابور بن اردشير الملقّب بهاء الدولة المتوفى سنة ٤١٦ هـ على أن أنشأ بالكرك في محلة بين السورين داراً حافلة بالكتب الثمينة العتيقة. قال ياقوت «بين السورين محلة كبيرة كانت بكرك بغداد وكانت من أحسن محالّها وأمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير سابور، ولم يكن في الدنيا أحسن كتبها منها. كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة، واحترقت فيما احترق من محال الكرك عند ورود طغرل بك أول ملوك السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ^(٣)» اهـ زاد ابن الأثير^(٤) أنه عملها سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها أكثر^(٥) من عشرة آلاف مجلّد - وفي الوافي^(٦) أنه جعل رعايتها إلى علويّين أحدهما أبو عبد الله ابن البطحاوي العلويّ وكان حياً سنة ٤٠٢ هـ^(٧). هذا وقال ابن الأثير بنفسه في حوادث سنة ٣٨٣ هـ وفيها بنى أبو النصر سابور ببغداد داراً للعلم ووقف فيها

(١) ص ١٣٤، ١٦٦ وكان القادر استوزره ولمبار الديلمي فيه قصيدة في ديوانه ١ : ٦٧

(٢) أدبا - ٥ : ٤٤٦ -

(٣) وقال ابن الأثير ٩ : ١٤٥ سنة ٤٥٠ . وعند مرجليوث سنة ٤٥١ -

(٤) ٩ : ١٤٥

(٥) وفي الوافي على ما نقل عنه مرجليوث ١٠٤٠٠ غير مائة نسخة من المصاحف المكتوبة بخط بني مقلّة .

(٦) على ما نقل عنه مرجليوث ٢٤

(٧) الكامل ٩ : ٩٨

كتبها كثيرة على المسلمين المتفعين بها اه . فانظر فباي قوليه تأخذ وعلى أيهما
تعول

خذا بطن هـرشي أوقفها فإنيما كلا جانبي هـرشي لهن طريق
وتأتي فيما بعد حكاية تدل على ما كان لهذه الدار من القيمة إذ ذاك .
وأخرى . وسابور هذا كان ممدحاً جواداً . وبابه محطاً لرحال الشعراء ومرآداً .
وعقد الثعالي في يتيمة^(١) باباً لمُدَّاحه وأورد كثيراً من أشعارهم . وكان أبو
إسحاق الصابي من أصدقائه وله فيه شعر كثير أورد بعضه ابن خلكان^(٢)
وياقوت^(٣) - وأظن أن لأبي أحمد الموسوي وولديه يداً قوية في إنشائها -
ومما يقوي ظني أن الرضي أصهر إليه في ابنته فتزوجها وأورد نسخة هذا العقد
وهي من إنشاء الصابي صاحبُ صبح الاعشى^(٤) - وفي هذه الدار يقول
مهيار الديلمي كفي الضرام :

نزلنا في بني ساسان دُوراً بها تسلمى بيوتك في قضاة
إذا ما الضيمُ رابك فاستجيري ذرا سابور وانتجى بقاعة
ولعل ابن البواب كان يتردد إليها حيث تعف به صاحبنا وذكره في
شعره . س^(٥) :

ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النصار الكاتب ابن هلال
وأما خازنها إذ ذاك فإني مع طول التنقيب لم أتمكن من الجزم بأحد الرجلين
الواجكا أو أبي منصور إلا أن الظاهر ترجيح أبي منصور . والواجكا يكون

(١) ٢ : ٢٩٠

(٢) ١ : ٢٠٠

(٣) أدبا ١ : ٣٤٨ ، ٣٥٣

(٤) ١٤ : ٩٧

(٥) ٢ : ٤٤

خازن خزانة الخلفاء والله أعلم . وأما صاحبنا فإنه يدعوها دار العلم أو دار الكتب
والقديمة صفة للكتب في اسم دار الكتب القديمة لا صفة للدار كما ذهب على
بعض شبّان العصر^(١).

وأما الشريف النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي فإنه كان يتولى
تقابة الطالبين قديماً ببغداد والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم رُدَّت هذه
الأُمور كلها سنة ٣٨٠ هـ لا سنة ٣٨٨ هـ كما ذهب على ابن خلكان ومستندنا
نسخة هذه الولاية بتمامها في صبح الأعشى^(٢) الى ولده الرضى^(٣) محمد ابى
الحسن في حياة أبيه . وناهيك من جلالة قدرهم^(٤) أن أبا الفتح عثمان بن جنى
صنف كتاباً في تفسير أربع قصائد للرضى وسماه تفسير العلويّات . وللرضى في
مدحه شعرٌ أنظره في ديوانه . وللمرتضى وهو أكبر من الرضى في الرد على
أبى الفتح تصنيفان^(٥) تتبّع أبيات المعاني للمتنبى التي تكلم عليها ابن جنى
وكتاب النقض على ابن جنى في الحكاية والمحكى . وله الأملى المعروفة^(٦)
يدُرّر الفرائد وغرر الفوائد أو الدرر والغرر . وهؤلاء الثلاثة كانوا في الشغف

(١) صاحب ذ ١٦٨ ولفظه : احداهما قديمة أسسها الرشيد وهي بيت الحكمة والاخرى
حديثة أنشأها سابور اه والمعجب انه نقل بعد هذا كلام ياقوت وفيه كما مر لنا نقله اسم داو
سابور دار الكتب القديمة لا الحديثة . وانظر الادباء ايضاً ٦ : ٣٥٨

(٢) ١٠ : ٢٤٧ -

(٣) كأمير لا كالى قال صاحبنا س :

ساوى الرضى المرتضى وتقاسما خطط الى بتناصف وتصاف

(٤) ادباء ٥ : ٣٠

(٥) ادباء ٥ : ١٧٤ -

(٦) طبع بايران ثم بمصر -

وترجم للولدين ابن خلكان ١ : ٣٣٦ و ٢ : ٢ وللمرتضى ياقوت ٥ : ١٧٣ وأبو
جعفر الطوسي في فهرسته . وللرضى ترجمة حافلة عند ابن أبى الحديد ١ : ١٠ - والبيهية
٢ : ٢٩٧ -

بالعلم وأهله ، والولع بالمعتن بنقله وحمله . ما يحرزون به قصبات السبق على
أبناء عصرهم وأعيان مصرهم وكانت حلقاتهم عُصرة فضلاء الدهر ونُخبة أمثال
العصر . وكان الناس يعرضون عليهم الشعر ويمتصرون من أخلاف حوافل محافلهم
غزير الدر . وهذه بعض حكايات ترمى إلى الغرض وتقضى عنا بعض المفترض :
حكى الكمال ابن الأنباري ^(١) وابن الجوزي وياقوت وغيرهم أن الربيعي
كان على شاطئ دجلة في يوم شديد الحر وهو عريان يسبح فاجتاز عليه
المرتضى ومعه عثمان بن جني وهما في سُميرية ^(٢) [ياقوت زبب] ^(٣) وعليهما
مِظلة تظلهما من الشمس . فلما رأى المرتضى عرفه وعرف أن معه عثمان بن جني
فقال له يا مرتضى ما أحسن هذا التشيع ! على (الربيعي) تتلقى كبده في الشمس
من شدة الحر وعثمان عندك في الظل تحت المنكور ^(٤) لئلا تصيبه الشمس .
فقال المرتضى للملاح جدّ وأسرع قبل أن يسبنا .

أورد ياقوت ^(٥) في ترجمة أحمد بن علي البتيّ كاتب القادر من نوادره الشائعة
وكان مزاحاً « أنه انحدر مع الرضي والمرتضى وابن أبي الريان الوزير وجماعة
من الأكابر لاستقبال بعض الملوك فخرج عليهم اللصوص ورموهم بالحراقات
وجعلوا يقولون أدخلوا بأزواج القحاب . فقال البتيّ ما خرج هؤلاء علينا إلا
بعين . قالوا ومن أين علمت . قال وإلا فمن أين علموا أنا أزواج قحاب .
قال المرتضى ^(٥) « دخل عليّ أبو الحسن بن المحاملي مع أبي حامد الإسفرائني
ولم أكن أعرفه فقال لي أبو حامد هذا أبو الحسن بن المحاملي وهو اليوم أحفظ
للغة والفتة مني . »

(١) نزهة ٤١٦ الاذكياء ٦٥ ادباء ٢٨٤ : ٩ الكامل ١٦٤

(٢) كلاهما ضرب من السفينة وردا في مناقب بغداد لابن الجوزي ص ٢٧ -

(٣) لم أجد الحكمة في المعاجم المعروفة الحاضرة

(٤) ٢٣٤ : ١ - وبت بالفتح قرية من أعمال بغداد

(٥) الشافعية ٣ : ٢٠

تقل يا قوت^(١) في ترجمة وليّ الدولة ابن خيران أنه سلّم لبعض الأعيان بمصر جزئين من شعره ورسائله ليستصحبهما إلى بغداد ويعرضهما على المرتضى وغيره من الرؤساء ويستشير في تخليدهما دار العلم . فينفذ بقية الديوان والرسائل إن علم أن ما أنفذه قبل ارتضى واستجيد اه

وفي الغيث^(٢) والأدباء أن المرتضى كان جالسا في علمية له تشرف على الطريق فمرّ تحته المطرّز (الغيث ابن المطرّز) الشاعر يجرّ نعلا بالية وهي تثير الغبار . فأمر بإحضاره . فلما حضر قال له أنشدني أبياتك إني تقول فيها :
إذا لم تبلغني اليكم ركائبى فلا وردت ماء ولا رعت العشب
فأنشده إياها فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية . وقال له أهذه كانت من ركائبك ؟ فأطرق [المطرّز غيث] ساعة . ثم قال له لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله إلى مثل قوله :

وخذ النوم من جفوني فإني قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبى إلى مثل ما ترى لأنك خلعت مالا تملكه على من لا يقبل . فاستحي الشريف منه . وكان^(٣) الشيخ صدر الدين ابن الوكيل يقول « والله إن قول المطرّزيّ عندي أحسن من قول الشريف » .

وتقل ابن الجوزي في الاذكياء^(٤) عن طراد بن محمد أن يهوديا ناظر

(١) ١ : ٢٤٢ -

(٢) ١ : ٢٢٩ - ١٧٨ : ٥ - والمطرّز هو أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى ابن أيوب ذكره ابن الاثير وأورد له أبياتا قال وتوفي سنة ٤٣٩ هـ انظر ٩ : ٢٢٦ وترجم له الباخري في دمية القصر وسماه وكناه كابن الاثير والشعالبي في التتمة ودعاه أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد ثم أورد له الايات وفيها : إذا لم الخ . والباخري والشعالبي دعواه ابن المطرّز لا المطرّز ولا ابن المطرّزي وهو الظاهر -

(٣) هذه الزيادة من الغيث -

(٤) ١٠٥

مسألة أظنه قال في مجلس المرتضى . فقال اليهودي أيّس ؟ أقول في قول سماهم الله
مُذْبِرِينَ يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم حنين . فقال المسلم فإذا
كان موسى أدبر منهم (كذا) . قال له كيف ؟ قال لأن الله تعالى قال ولّى
مُذْبِرًا ولم يعقب وهؤلاء ما قال فيهم ولم يعقبوا . فسكت

فإن شئت قتل هذه أسرار وحكايات . ولكن عندي أنها آيات بينات .
تدل على مزايا العهد وخصائصه ، للباحث عن العلم وغائضه . وما مُنَحَ السيد
المرتضى وبيته من الإكرام والتبجيل على ما أتيت به وانتقيته

الشيخ أبو أحمد عبد السلام

المعروف بالواجك^(١) خازن دار العلم ٣٢٩ - ٤٠٥

هو الأديب^(٢) النحوي الراوية اللغوى عبد السلام بن الحسين بن محمد
ابن عبد الله البصري . وكان من أصحاب أبي سعيد السيرافي^(٣) وابن جني^(٤)
والقرميسيني^(٥) النحوي وأبي القاسم الدهلي^(٦) قرأ عليه أشعار ربيعة الجوع
وجد نسخها - ياقوت بخط أبي أحمد . ومن أخذ عنه ابن برهان النحوي^(٧)

- (١) بنية ٣٠٥ وغفران ١٨٤ والاشباه ١٣٣: ٣ - وفي فهرست ابن الخير الاشيلي
٣٣١ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرميسيني البصري .
- (٢) وزعم مرجليوث ٢٤ وتبعه صاحب ذ ١٦٧ أنه صاحب الصوت البعيد في علم تقويم
البلدان - ولم أر هذا عند غيرهما وفيما عند غيرهما مقنم .
- (٣) لا ابنه أبي محمد يوسف وهو السيرافي الصغير كما زعم مرجليوث ٢٥ غلطاً وانظر
الحكاية الآتية - وفي آخر نسخة الموشح للمرزباني أن عبد السلام انتسخها سنة ٣٦٦ هـ
وهذا يؤيد ما قلنا

(٤) نزهة ٤٠٩ ادبا ١٩: ٥ .

(٥) ادبا ٥ : ٤٤٠ .

(٦) ادبا ٥ : ٧٨ .

(٧) نزهة ٤٢٨ .

وعبد العزيز الأزجي^(١) ترجم له صاحب النزهة^(٢) واختلسه صاحب الضرام
وصاحب البغية وقد خبط خبطاً شديداً^(٣) - وفي فهرست أبي بكر بن الخير^(٤)
الإشيلي قال أبو بكر المصنف قال لي الفقيه الراوية أبو الحسن علي بن إبراهيم
في بعض ما كان يُخبرني به : أكبر من لقيت من رواة كتب اللغة والنحو
وال تفسير والأخبار ونوادير العرب وأيامها الشيخ أبو أحمد عبد السلام بن
الحسين البصري وكان راوية بغداد يومئذ اهـ.

وكان لصاحبنا صديقاً صدوقاً ، يبتغله ويرتشف من كأس وداده صبوحة
وغبوقا . ولم يتلمذ عليه صاحبنا كما وهم صاحب البغية وقد شرحناه فيما مضى .
وروى عنه كثيراً من الأخبار . وسيرد بعضها . وهالك هُنا ما يصلح منها
للإسار :

نقل^(٥) من نسخة لكتاب إصلاح المنطق قال أبو العلاء المعري حدثني
عبد السلام البصري وكان خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً قال
كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه^(٦) إصلاح المنطق
فمضى بيت حميد بن ثور (رض) :

ومطوية الأقرب أما نهارها فسببت وأما ليلها فذميلة
فقال أبو سعيد ومطوية أصلحه بالخفض . ثم التفت إلينا فقال هذه واو
رب . فقلت أطل الله بقاء القاضي إن قبله ما يدل على الرفع . فقال ماهو ؟

(١) بفيه ٣٠٦

(٢) ٤١٢ .

(٣) حيث قلد الصفدي (مرجليوث ٢٤) في سنة وفاته أنها ٣٢٩ هـ وهي سنة الولادة
وقال انه قرأ على الفارسي أيضا . وسمى أباه الحسن وهو الحسين بن محمد نزهة ٤١٢ وغيره

(٤) ٣٨٧ طبع اسبانيا .

(٥) الوفيات ٢ : ٣٥٠ .

(٦) وأورد البيهقي التبريزي في تهذيب الاصلاح ١ : ١٥ والسبت السير السريخ

قلت :

أتاك بى الله الذي أنزل الهدى ونور وإسلام عليك دليل
ومطوية الأقرب ... فعاد وأصلحه وكان ابنه [أبو] محمد حاضراً فتغير
وجهه لذلك فتهض لساعته ووقته والغضب يستطير في شمائله الى دكانه وكان
سمّانا فباعها واشتغل بالعلم الى أن برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح إصلاح
المنطق . قال أبو العلاء وحدثني من رآه وبين يديه أربع مائة ديوان وهو يعمل
هذا الديوان اه فانظر الى غزارة أدبه وعلمه وكونه باعثاً على نبوغ عالم من خيرة
العلماء بين ظهرانيّنا .

وفي الغفران ^(١) قد شاهدت عند أبي أحمد عبد السلام بن الحسين المعروف
بالواجكا رحمه الله - فلقد كان من أحرار الناس - كتباً عليها سماع لرجل من
أهل حلب وما أشك أنه الشيخ (يعني ابن القارح) اه

وقال في الغفران ^(٢) حكى لى الثقة أن أبا عليّ الفارسي كان يذكر أن أبا
بكر ابن السراج عمل من المَوْجَز النصف الأول لرجل بزّار ثم تقدّم إلى أبي
عليّ بإتمامه اه ومن قطعة في س ^(٣) بعث بها إلى التنوخي :

جزء بدرب جميل في يدى ثقة سألته ردّ مضمون إذ قدرا
ولا ريب أنه أراد بالثقة فى البيت الواجكا ، فأحر به أن يريد به فى
الحكاية أيضاً . ودرب جميل الذى كان به منزل الواجكا أغفله ياقوت إلا أن
بيتاً من س ^(٤) يرشدنا إلى أنه بالكرخ :

وهل يُرجس الكرخي والدارغرى به من الشام حس الراعد المترجّع

(١) ١٨٤ .

(٢) ١٣٧ .

(٣) ١٤٠ : ٢ .

(٤) ١١٠ : ٢ .

وكان صاحبنا يجتمع معه كل جمعة في مجلس المحاضرات ولعل ذلك في جامع المنصور. ومستندنا ما فاض من أمر المحاضرات والمناظرات به في ذلك العصر^(١). وقال أهل العصر^(٢) ان ذلك بدار الواجكا ولكن لم يأتوا بما يعول عليه في الباب. قال - س^(٣) :

مَهَيَّجُ أَشْوَاقِي عَرُوبُهُ إِنْهَا إِلَيْكَ زَوْتَنِي عَنْ حُضُورِ بِمَجْمَعٍ
وله إليه بعد الرجوع عينية من س^(٤) وورد ذكره في عنوان التائية^(٥) إلى التنوخي وفيها أيضاً^(٦) وفي الرائية^(٧) إليه أيضاً. والطائيه^(٨) التي في عنوانها «يخاطب خازن دار العلم» أيضاً إليه على ما أظن وسيرد أمرها. ومن الرسائل ر ١٦ إليه بعد الرجوع ذكر فيها أن كتبه لاتصله فيحتاج إلى الاعتذار وأنه يشتاق إليه وإلى السكر شوقاً بلغ الغاية. وتطرب إليه في ١٥ إلى الصابوني. وورد ذكره مراراً في الغفران تصريحاً وكناية كما مضى وكما يأتي روى القفطي^(٩) أنه عرض على صاحبنا ما مخزاته من الكتب فلم ير فيها شيئاً غريباً إذ كان قد قرأها كلها بطرابلس إلا ديوان تيم اللات فاستعاره منه وسافر إلى المعرة وهو معه فردّه إليه مع قصيدته التائية اه والحكاية بحيث ترى مجموعة أو هام وذلك أنه لم يكن إذ ذاك بطرابلس داراً للكتب أصلاً

(١) انظر حياة الحيوان ١ : ٢٣٥ والشافعية ٣ : ١٨٢ وغيرها

(٢) صاحب ذ ١٧٩ - وكل من تبعه هو -

(٣) ٢ : ١١٠ -

(٤) ٢ : ١٠١

(٥) ٢ : ١١٢

(٦) ٢ : ١٢٠

(٧) ٢ : ١٤٠

(٨) ٢ : ١٢١

(٩) قال صاحب ذ ١٧٨ والذهبي - أقول ولعله وهم منه فليس هذا القول في تاريخ الاسلام له -

كما قد مضى روايته عن العدل. وإنا نراه يقدر الكتب حقَّ قدرها واستفاد منها علما جَمًّا. ومن ذا الذي يستغنى عن أعلام الأُسُفَار كائناً مَنْ كان، على أنه سيرد بعد هذا ما يردّها، وإن كان ما قاله له وجهٌ لم يكن تطرُّبُه إلى دار الكتب بلغ به إلى هذه الغاية. على أن الديوان لم يكن منها بل هو صُنع المحسن والد أبي القاسم التنوخي وكان استعاره من أبي القاسم لا من عبد السلام ولم يستصحبه إلى المعرة بل أودعه عَبْدُ السَّلام وأوصاه أن يوصله إلى التنوخي، والتأنيّة ليست إليه بل إلى التنوخي. ولكن الصاحب بن العديم قارب في العدل حيث ذكر أن أبا العلاء طلب ببغداد أن تعرض عليه الكتب التي في خزائنها فأدخل إليها وجعل لا يقرّأ عليه كتاب إلا حفظه

وورد في عنوان العينية^(١) إليه «عبد السلام صاحب الدولة» ولا توجد هذه الكلمة في سائر النسخ ولا أثبتنا فيه أحد من أصحاب التراجم بل قالوا بجمعهم إنه تولى الإشراف على دار الكتب ولا تحققت معناها فيه من أي جهة كان؟ رجعنا إلى ذكر المجمع العلمي مع الواجكا - قال بعض الشبان^(٢) وكان هذا المجمع السريّ هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر حيث يقول

وإذا أضاعني الخطوب فلن أرى لوداد إخوان الصفاء مُضيعة اه
أقول وهذا رجمٌ منه بالغيب وغلط، فلم يكن المجمع من السريّ في شيء، ولا كان فيه أحد من متفلسفي ذلك العصر. وأكثر أعضاء مجمع إخوان الصفاء كانوا متواترين عند ورودهم ببغداد. وأما هذا البيت فإنه أحد أبيات ثلاثة^(٣) قالها على لسان الحافظ الرحالة المحدث أبي الوليد الحسن بن محمد البلخي الدّر بندي

(١) س ٦ : ١٠١ -

(٢) صاحب ذ ١٧٩ -

(٣) س ٢ : ١٣٦ وأدبا ١ : ١٧٥

المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ترجم له ابن عساكر^(١) وياقوت رسم در بند، و كان زاره بالمعرة^(٢)، وما للمحدثين ومجامع الفلاسفة؟ وورد في حماسة البحترى^(٣) لإسماعيل بن إشار وكان قبل ظهور هذه الجماعة بقرنين:

وإن أيقنت أن الغيَّ فيما دعاك إليه إخوانُ الصفاء

على أن الرجل كان زاره بعد الرجوع بزمان وكان رحالة لا يلتقي عصا التسيار. ولا يملّ من الأسفار، وله أسوة في هذا الرجم بصاحب الضرام ولفظه «عنى بإخوان الصفاء أصدقاءه الصافية الوداد، وكأنه يوهم أنه عنى بهم أصحاب الرسائل المعروفة برسائل إخوان [الصفاء] وهي رسائل فصيحة تشتمل على ضروب الحكمة، صنفها جماعة من الحكماء منهم (أبو^(٤)) سليمان محمد (ابن) معشر المقدسى وأبو الحسن علي بن زهرون^(٥) الزنجاني وأبو أحمد النهرجورى^(٦) وزيد بن رفاعه - وألفاظ هذه الرسائل للمقدسى «اه وهو في الغلط شريكه إلا أن لفظة «كأنه يوهم» يقلل نصيبه مما ملأ منه عصرنا عدله -

أبو منصور خازن دار العلم

ذكر في الغفران^(٧) توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد

(١) ٢٤٧ : ٤ -

(٢) والظرة في زواره بالمعرة -

(٣) الخطبة ٣٦٥ -

(٤) الاصلاح من تاريخ الحكماء للقفطي مصر ص ٥٩ والشافية ٣ : ٢٧ والمثل للشهرستاني -

(٥) عند القفطي هارون -

(٦) عند القفطي المهرجاني -

(٧) ٧٣ -

على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن وكانت تُخرج الكتب إلى النساخ. فهذا نص في اسمه واسم أبيه. وهذا الرجل بعث إليه صاحبنا بر ١٩ خاطبه فيها « بسيدي الشيخ » ورغب في الاجتماع معه والسير إليه ثم اعتذر عنه بعجزه وأن كتبه إليه تثرى إلا أنه لم يحظ بأجوبتها وأنه أرسل إليه قصيدة لزومية ولم يدر هل وصلت أم لا؟ فالظاهر أنها بعيد الرجوع إذ كان يهمس برحلة أخرى إلى بغداد - كما يشير إليه قوله أدنى إشارة - س^(١) : أظن الديالي وهي خون غوادر بردى إلى بغداد ضيقة الذرع ولا أرى التاريخ يفيدنا أكثر مما مر. وأما خزانته التي كان يتولى رعايتها فالظاهر أنها دار الكتب القديمة إلا أنه ليس ثمة نص على ذلك - وأما الطائفة^(٢) فالظاهر أنها إلى أبي أحمد المذكور والله أعلم. (للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني) :

ومما أعجبني قط دعوى عريضة وإن قام في تصديقها ألف شاهد وهناك أبو منصور محمد آخر بعيد ذلك العصر ورد اسمه بآخر نسخة^(٣) شعر أبي دهبيل الجمحي في صورة سماع أخيه الشيخ أبي غالب محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد من الشيخ أبي القاسم التنوخي علي بن المحسن فعد أبو غالب أسماء من سمع الديوان معه وفيهم أخوه المذكور من غير أن يسميه خازنا - وورد اسم أبي غالب محمد مراراً على أول الديوان وآخره مع لفظ الخازن - وهذه الخطوط مما لا يتطرق إليه أدنى ريب -

(١) ٢ : ٧٩ -

(٢) وفي ذ ٢١٢ ما يدل على أنها قيات بعد سنة ٤٢٠ هـ وما هو دعوى محضة

(٣) نسخة جامعة لبسبك (ألمانيا) عدد V, 807 والمعد القديم D.C. 354 وقد طبعوها مع صدر ورقتي الأول والآخر بمجلة الجمعية الآسيوية ١٠١٧ - ١٠٧٥ سنة

وترجم ياقوت لمحمد بن أحمد بن طاهر الخ قال هو أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة مات سنة ٥١٠ هـ ذكر ذلك ابن الجوزي. سمع علي التنوخي الصغير وكان فقيها على مذهب الإمامية ثم روى عن غرض النعمة في كتاب الهفوات ما خلاصته قال كان بدار العلم التي وقفها سابور خازن يعرف بأبي منصور. واتفق بعد وفاة سابور بسنين كثيرة أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى فرتب معه آخر يعرف بأبي عبد الله بن أحمد (?) مشرفاً عليه وكان داهية فصمد لأبي منصور كيذا ثم سرد الحكاية قال ياقوت هكذا وجدت هذا الخبر وقد وافق رواية ابن الجوزي في كون ابن أحمد خازن الكتب بين السورين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكنية ولا أدري هل هو هذا أو غيره أو قد غلط أحدهما في الكنية والله أعلم. ثم وقفت على المذيّل الذي للسمعاني بخطه على حاشية (?) ملحقا أن محمد بن عطف الموصلي سأل أبا منصور بن أحمد الخازن عن مولده فقال سنة ٤١٨ هـ قال وسأله غيري فقال سنة ٤١٧ هـ وهذا يدل على أن هذه الحكاية ليست عنه لأن المرتضى مات سنة ٤٣٦ هـ فيكون حينئذ قد كان ابن أحمد ابن اثنتي عشرة (؟ ثمان عشرة) سنة فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه والله عز وجل أعلم بالصواب اه على طوله. وترجم له ابن حجر أيضا في اللسان^(١) وذكر اسمه وكنيته كياقوت وكذا سنتي ولادته ووفاته وزاد ذكر أخيه أبي غالب. فهذا صريح في أن أبا منصور أيضا خازن كأخيه أبي غالب كما مر.

وقد تمكنا على بُعد عهدنا والحمد لله على ذلك من كشف بعض ما أبهم على ياقوت. وذلك أن أبا منصور صاحب الحكاية في الهفوات هو صاحب أبي العلاء لا أخو أبي غالب الذي رتب معه آخراً بعد وفاة سابور وهو المذكور في الحكاية بأبي عبد الله بن أحمد ولعله كان يُكنى إذ ذاك كذلك ثم يكون

تكنى بأبي منصور بعد وفاة أبي منصور صاحب أبي العلاء . فهذا يفيدنا أن صاحب أبي العلاء كان خازن دار الكتب القديمة - كما كنا أباينا ظناً - وأنه بقي بعد وفاة سابور . ويعضده ما مر من أمر ر إليه بعد الرجوع . بقي أمر ترتيب ابن حمد بالخزانة وهو ابن ١٨ سنة فهذا فيه نوع غرابة أولعل ابن حمد هذا هو أخوه أبو غالب على أن يكون أسن من أبي منصور بل هو الراجح ان شاء الله . فاذاً المترجم في الادباء واللسان هو أبو منصور بن حمد لاشك . وأما أمر اشرافه على الخزانة فلعله مع أخيه أبي غالب أو بعده . هذا ما بلغ بنا البحث إليه وعند الله علم الجلية .

ولما وقع ياقوت وهو العجل المحكك والمجرب المخنك فيما وقع فيه فكيف بقرعنى العصر. إلا أنني أنقل قول بعض المستعربة^(١) استطرفا (أ) لقي^(٢) أبا منصور صاحبنا ببغداد (ب) هو الذي^(٣) أرسل إليه طائيته على ما صرح به في ر إليه (ج) وأبو منصور^(٤) هذا هو المترجم له في الادباء (أي المولود بعد رجوع صاحبنا من بغداد ب ١٨ سنة) (د) وأن قول ياقوت^(٥) « ولا أدري هل هو هذا أو غيره » وهم منه .

فأنت تراه أتى بدعاوى يكذب بعضها بعضا . فكيف لقيه ببغداد ولم يولد بعد وكيف يرسل اليه الطائية ولم يُخلَق . والطائية ليست مرادة بالقصيدة اللزومية التي ذكر إرسالها في ر إلى أبي منصور . فإمها من س وليس فيه شيء

(١) هو د س مرجليوث-

(٢) م ر ص ٢٥

(٣) حاشية ترجمته ر ص ٥٨ والعدد ٤-

(٤) حاشية الادباء عدد ١-٦: ٣٥٨.

(٥) حاشية الادباء عدد ١-٦: ٣٦٠.

من اللزوم . وكيف يثبت وهم ياقوت بدعوى فارغة .

ولما وصلت إلى هذا الموضع وجدت في البغية^(١) عن ياقوت ترجمة لصاحب أبي العلاء إن شاء الله إلا أنه لم يُسمَّ خازنا قال محمد بن علي بن عمر بن الحيَّان أبو منصور أحد حسنات الروى وعلمائها الأعيان جيد المعرفة باللغة باقعة الوقت وفرد الدهر إلى آخر ما وصفه به . كان من ندماء الصاحب وهو صاحب الشامل في اللغة قرئ عليه سنة ٤١٦ هـ وسكن أصبهان وكان من أصحاب أبي عليّ وقرأ عليه عبد الواحد بن برهان المقصود منها . وذكر في ترجمة ابن برهان (بالفتح)^(٢) أنه قرأ على عبد السلام أيضا وفي النزهة^(٣) أنه كان يُقريء بالكرخ^(٤) وتوفي سنة ٤٥٠ هـ . فلم يبق كما ترى إلا أمر ولاية الخزانة .

القاضي التنوخي الصغير

٣٧٠ — ٤٤٧

هو أبو القاسم^(٥) علي بن المحسن^(٦) أبي علي صاحب الفرج والنشوار وأشعار تنوخ ابن أبي القاسم علي وهو القاضي التنوخي الكبير صاحب المقصورة^(٧) ابن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر ينمى إلى تميم

(١) ٧٩ - والترجمة أطول مما أوردناه .

(٢) ٣١٧ ونزهة ٤٢٨ .

(٣) ٤٢٣

(٤) نزهة ٤٣٠ .

(٥) ترجم للثلاثة على الولاء في البيهية ١١٦: ٢ و ١١٥ و ١٠٥ - والادباء ٥: ٣٠١ ، ٢٥١: ٥ - ٣٣٢ - الوفيات ١: ٤٤٦ ، ٤٤٤ ، ٣٥٣ - ودون الأوسط السمعاني ورق ١٠: ١١٠ وللحفيد فقط الفوات ١: ٦٨ والضرام في ياقية التهمّة واللسان ٤: ٢٥٢

(٦) بتشديد السين والكسر . وفي س ١١٨: ٢ يا ابن المحسن ... البيت .

(٧) المروج على هامش النفح مصر ٤١١: ٣ وهي في مدح تنوخ وقضاء

اللات ثم الى قضاة . قرأ على غير واحد من شيوخ بغداد منهم ^(١) الرباعي وابن كيسان والرزاز وغيرهم . ومن تلامذته الخطيب البغدادي وقد أكثر من الأخذ عنه وهو قارئ شعر أبي دهب عليه وجمة السامعين ٢٥ نفساً على ماورد في صورة سماع الشيخ أبي غالب عليه ^(٢) سنة ٤٣٢ هـ منهم أبو منصور ابن أحمد المذكور . كان ثقة ثبتاً قبلت شهادته في حديثه وتقلد قضاء عدة نواح من المدائن وأعمالها ودرزيجان ^(٣) والبردان وقرميسين وغيرها . قال الخطيب وكان دخله كل شهر من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين ديناراً فيمر الشهر وليس له شيء . وكان ينفق على أصحاب الحديث . قال ياقوت وكان الخطيب والصوري وغيرهما يديتونه عنده .

وكان من بيت العلم والأدب والقضاء متحقيقاً بصاحبنا مكرماً له . قرأ عليه مع أنه من أقرانه كما في النزهة ^(٤) والضرام وتاريخ الذهبي لما ورد بغداد شعر صباه أغنى ما أنشئ من شعر السقط إلى ذلك الوقت . قال ابن خلكان ^(٥) كان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيراً . ثم قال إنه كانت بينه وبين أبي زكريا التبريزي مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء اه . وفي البغية ^(٦) أن التبريزي تلمذ على التنوخي أيضاً . أقول أما المؤانسة فنعم ولكن بعد رجوع صاحبنا بدهر فان التبريزي وُلد سنة ٤٢١ هـ كما قال ابن خلكان ^(٧) نفسه . وأما أن تكون

(١) ابن الشيخ ٢: ٢٥٦.

(٢) تجاء ص ٤٤-١ سنة ١٩١٠ م من مجلة الجمعية الاسيوية.

(٣) كندا في الانساب وهي قرية بفرني بغداد . لا أزر بيجان كما هو في الوفيات مصحفه

٤٤٧ : ١

(٤) ٤٢٥ اليائية : ١٣٧ .

(٥) ٤٤٦ : ١

(٦) ٤١٤ - واليافي ٣ : ٦٧

(٧) ٢٣٥ : ٢

بطريق أبي العلاء فاني ارتاب فيه فإن الطريق لم تكن وطئت قبل ورود
 التبريزي المعرّة وأما بعد رجوعه منها فإن حنف التنوخي قد دنا. والذي أرى
 أن يكون قرأ على التنوخي وهو ابن ١٨ سنة ثم بعد رجوعه من المعرّة يكون
 هذه الوصلة قد تأكّدت وإن لم تبق الا هنيئة كالبرق الخاطف. وكان
 يزور صاحبنا بالقطيعة^(١) محافظة على الوداد، وتأميناً لسوقه من الكساد.
 وكان صاحبنا يُدِلُّ بأنه نسيبه في تنوخ ويُزهي. وإن مَساعى^(٢) نيته لقضاة
 اليها الموئل والمتهى. س^(٣):

لولا مسـاعيك لم نَعُدْ مسـاعينا ولم نَسـام بأحكام العلى مُضراً
 إذا كَرُّ أنت عصرَ أمرٍ عندك لي فليس مثلي بناسٍ ذلك العُصراً
 أيامَ واصلتني ودأً وتكرمةً وبالقطيعة دارى تحضّر النهر^(٤)

كَنى^(٥) محمد! نَسبى مفيدى ودادك والهوى أمرٌ بديُّ
 بنو الفهم الذين بنى علاهم أبو الفهم ألهم الهبرزيُّ
 سَمَوْا في الجاهلية بالمعالي وزادوا بعد ما بعث النبيُّ

ومن شعر صاحبنا إليه في س^(٦) تائيسته الطويلة في أمر ديوان أشعار تيم اللات
 في الجاهلية جمع والده أبي على وكان استعاره منه وتركه عند الواجكا ورحل فسأله

(١) كما أن صاحبنا كان يزوره في حلقة على ما يأتي في حكاية يوح

(٢) مر أمر المتصورة في مدح قضاة آفا

(٣) ١٣٩ : ٢

(٤) دجلة

(٥) ٦٧ : ١

(٦) ١١٢ : ٢

بعد أن أقرأه السلام أن يسلمه التنوخي . وورد أمره في الرائية ^(١) اليه أيضا أقول وذ كر مترجمو الواجكا أنه كان جوادا ربما اعترضه السائل وليس معه شيء فيعطيه من الكتب المتقومة شيئا . وانظر في عنوان التائية « فخشي أن يكون جرت غفلة في أمر الكتاب » فهذا ينظر الى ما ذكرناه . وله اليه يائية ^(٢) ببغداد يهنئه فيها بمولود ولد له كناه صاحبنا أبا علي وسماه محمداً . ولا شك أنها قيلت ببغداد ويدل عليه قوله منها :

إذا نأت العراقَ بنا المطايا فلا كُنَّا ولا كان المطيُّ

على أن ذكر ببغداد ورد في عنوان بعض النسخ ^(٣) أيضا ولكن ياقوت ^(٤) نقل عن بعضهم أن المولود ولد سنة نيف و ٤٤٠ هـ وروى حكاية تشبهه عن القاضي الدامغانى قال دخلت على أبي القاسم قبل موته بقليل وقد علت سنه فأخرج اليه ولده من جاريته فلما رآه بكى . فقلت يعيش (?) إن شاء الله وتربيته ويقر الله عيذك به فقال هيهات والله ما يتربى الا يتما وأنشد (من شعر صاحبنا في الزوم ^(٥)) :

أرى ولد الفقى عباً عليه لقد سعد الذي أمسى عقيما
فأما أن يخلفه عدواً وإما أن يربيته يتما

ثم قال اريد أن تزوجنى من أمه فإننى قد اعتقتها على صداق عشرة دنانير ففعلت . وكان كما قال تربى يتما وهو أبو الحسن محمد بن علي قبل القاضي

(١) س ٢ : ١٤٠

(٢) ٢ : ٦٦

(٣) المصرية دون الايرانية

(٤) أدبا ٥ : ٣٠٢

(٥) ٢ : ٢٤٩

أبو عبد الله شهادته ثم مات سنة ٤٩٤ هـ. وانقرض بيته اهـ. وترجم له صاحب
الجواهر المضية^(١) قال هو أبو الحسين (وقدمر عذ ياقوت أبو الحسن) محمد
ابن علي أبي القاسم اهـ. ثم نقل عن ابن النجار حكاية له وقال مات سنة ٤٩٤ هـ
كذا ذكره ابن النجار اهـ. وهذا كله صريح في أنه ولد بعد رجوع صاحبنا
بنيف وأربعين سنة. فالظاهر أنهما ولدان بينهما نحو من أربعين سنة وكلاهما
محمد علي اختلافهما في الكنية بأبي علي وأبي الحسن. على أنه من الممكن أن
يكون تسكينته من صاحبنا لم توافق الرواج والنفاذ. ولصاحبنا في حلقته خبر
وسياي

﴿هو في حلقة الربيع﴾

روى السكال ابن الانباري^(٢) عن التنوخي الصغير وياقوت^(٣) وغيرهما
أنه لما ورد الى بغداد قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربيعي [النحوي صاحب
أبي علي الفسوي] ليقرا عليه شيئا من النحو. فقال له ليصعد الاصطبل
فخرج مغضبا ولم يعد اليه. والاصطبل في لغة أهل الشام الاعى ولعلها معرفة اهـ.
أقول وكان التنوخي تلميذا للربيعي كما ذكر ابن الشيخ البلوي^(٤). ومثل هذا
القدح والجبه، واذالة الوجه، لم يكن ببدع من الربيعي فما ذاك بأول قارورة
له كسرت، ولا أول هناة أتيت. فإنه كان مغفلا مجنونا، وبسفساف الأمور
مفتونا. كما نقل كل من ترجم له قال. ابن الانباري^(٥) «ويحكى من سيره

(١) ٩٨ : ٢

(٢) ٤٢٥

(٣) ١٦٩ : ١

(٤) ٢٥٦ : ٢

(٥) ٤١٦

وتصرفاته ما طيه أحسن من نشره». وقال التبريزي^(١) سألت أبا القاسم ابن برهان فقلت له يا سيدنا تترك الربيعي والأخذ عنه مع إدراكك إياه وتأخذ عن أصحابه . فقال لي كان مجنوناً وأنا كما ترى . فما كنا نتفق . اه
يعنى المثل - أنا نتفق وأنت متفق فكيف نتفق . ومرحلية جنونه مع المرتضى وابن جني . وقال الحفاجي في شفاء الغليل^(٢) اصطبل بلغة أهل الشام معناه الاعمى كما في كتاب الهميان ولذا قال ابن عباد جروا الإصطبل في حكايته مع المعري اه . وهذا وهم شنيع وتخليط مستهجن لثلاث حكايات هذه إحداها والأخرى ستأتين في بيان « مجلس المرتضى » على ان اسم كتاب الصفدي نكت الهميان وفيه^(٣) اصطبل بالسين

اعتراض له على فقهاءها

من شعره في اللزوم^(٤) :

تناقض مالنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا عن النار
يد بخمس مئين عسجداً [أ] فديت ما بألها قطعت في رُبْع دينار
روى الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي من أصحاب حجة الله
على أهل الأرض الامام ابن تيمية الحراني رضى الله عنه في تفسيره^(٥) ذكروا
أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالا على الفقهاء في

(١) أدبا ٥ : ٢٨٧

(٢) ص ٣٣ مصر سنة ١٣٢٥ هـ

(٣) ص ١٠٣

(٤) ٢ : ٣١٧

(٥) ٣ : ٣٤٥ بهامش فنع البیان

جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ونظم في ذلك شعراً دلّ على جهله وقلة عقله
يد. . . الخ البيتين ولمّا قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم. وقد
أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله أنه
قال « لمّا كانت أمينة كانت ثمينة ولمّا خانت هانت » ومنهم من قال هذا من
تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة . فان في باب الجنایات ناسب
أن تُعَظَّم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يُجنى عليها وفي باب السرقة ناسب
أن يكون القدر الذي تُقَطَّع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سرقة الأموال
فهذا هو عين الحكمة عند ذوى الالباب اه

وقال الذهبي^(١) أنبأتنا أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم أنا فرقد الكِنَاني
سنة ٦٠٨ هـ أنا السلفي سمعت أبا زكريا التبريزي قال لما قرأت على أبي العلاء
بالمعرة قوله : « يد بخمس مئى من عسجد » البيتين . سألته عن معناه فقال هذا
مثل قول الفقهاء عبارة لا يُعْقَل معناها قلت لو أراد ذلك لقال تعبد . مالنا اه ؟
ولما اعترض على الله بالبيت الثاني قال السلفي ان قال هذا الشعر معتقداً
معناه فالنار مأواه وليس له في الاسلام نصيب اه

وقال ابن الشيخ البلوى^(٢) الاندلسي صاحب السيفي ويقال أن المعري
كتب الى ابن حزم بهذا البيت يد . . . البيت فقال :

صيانة النفس أغلاها وأرخصها خيانة المال فافهم حكمة الباري
بلغ البيت غيره فقال :

(١) ١٣٢ ونقله ابن حجر في لسانه ٢٠٥ : ١ -

(٢) ٢ : ٣٨٢ -

بذاك سنة خير الناس قد وردت فلا سبيل الى تعليل الآثار. اه
 أما جواب ابن حزم فقد عزاه محشي اللزوم الى القاضي عبد الوهاب. وقال
 الصفدي^(١) وصاحب المعامد^(٢) أنه لعلم الدين السخاوي وهو أيضاً من تلامذة
 السلفي فكيف يمكن أن يعزوا ان الشيخ جواب صاحبه الى من تقدمهما بنحو
 قرن ونصف إلا أن روايتهما:

عزّ الامانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة البيت
 وهي الاصلح. وأما عزو المحشي فإنه أراه وهما منه، كما وهم صاحب النور
 السائر^(٣) في عزوه الى الشريف الرضي وصاحب روضات الجنات^(٤) في عزوه
 الى المرتضى

وقال ياقوت^(٥) كأن المعري حمار لا يفقه شيئاً ثم أجاب بمثل جواب ابن
 كثير الآخر. وتصدى للدفاع عنه محشي اللزوم فقال أرى ان اعتراض المعري
 واقع على الفقهاء القائلين بقطعها لا على الباري بدليل قوله وأن نعوذ الخ. لان
 بعض الفقهاء قال لا تُقطع الا في الثمين من المال وأما الخسيس^(٦) ففيه التعزير

(١) الفيت ١ : ٤٨ والنكت ١٠٧ -

(٢) ٥١ : ١ -

(٣) انظر ص ٣٦٤ من نسخته الخطية بخزانة الشيخ عبد الحي في لكتؤ

(٤) ص ٧٤ ولفظه «ومن المشهور أن المعري اعترض يوماً على المرتضى بقوله يد البيت
 فأجابه بقوله: عز البيت. وأجابه رجل آخر من أهل المجلس بقوله:

هناك مظلومة غالت بقيمتها وههنا ظلمت هانت على الباري

اه مختصراً

(٥) ١٩٢ : ١ -

(٦) وذلك ان الكتاب والسنة ساكتان عن تقدير النصاب وأما الائمة الاربعة فذهب
 مالك القطم في ثلاثة دراهم فصاعداً ومذهب الشافعي في ربع الدينار ومذهب أحمد الجمع بين
 القولين. ومذهب أبي حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري أن النصاب عشرة دراهم مضروبة
 وقال بعض السلف لا تقطع الخمس الا في خمس (٤) أي في خمسة دنانير أو خمسين درهماً ينقل
 هذا من سعيد بن جبير فهو الاوفق بمذهب صاحبنا ان سلم قول المحشي

والضرب بالحبس والضرب فكأنه لا يرى رأى القائلين بالقطع ويرى أن التقدير
اجتهاد فيكون الحكم عليها برُبْع دينار مع الحكم لها بخمسمائة دينار
تناقض (?) اهـ

ووجدته في اللزوم يحظر عن القطع مطلقاً :

لا تُحْدِثِ القطع في كفٍّ ولا قَدَمٍ ولا تَعَرِّضْ بذي الدنيا لسفك دم
وأرى أنه اعترض على الفتهاء في تقدير النصاب كما هو ظاهر من عبارة ابن
كثير . ومنشؤه حرصه على الدخول في عداد المتفقهة لما رأى جمهورهم عاكفين
ببغداد أو الافتتان وشحذ الخاطر والاستطراف أو استنزاف ما عندهم من قوة
القرينة وجودة الخاطر . لا الاعتراض على حكمة الباري سبحانه . ولو كان هذا
دليلاً على كفره لم ينزل عليه القاضي عبد الوهاب بالمعركة بعد الرجوع بزمان مع
أنه أول غرض لسهم اعتراضه ولا شيخ الاسلام الصابوني وهما هما ولا كان
لسان أهل بغداد طليقاً بتكفيره كما نرى السنة المتأخرين ويا هل ترى دهاء
البغاددة وأعيان علمائها اجتمعوا للاحتفال بتوديع زنديق ملحد . وهل يريد
ما قاله السلفي وهو الذي يقول^(١) (ان كان قاله) :

زعم الجهول ومن يقول بقوله ان المعاصي من قضاء الخالق
ان كان حقاً ما يقول فلم يَـقْضَ حدَّ الزنا وقطع كفَّ السارق
فليس يبتاه اذاً الا خطرة عَرَضَتْ . ونفثة ما نَضِجَتْ . وشِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ
ولما صادفت جواب صديقه عبد الوهاب هَدَّأت . والا فما معنى قوله من اللزوم :
ما قيمتي فلس وفي حكمه آتِي أودى ألف دينار
وعند الله علم السرائر . وهو يتولى الضائر .

﴿ هو بحضرة القائم الخليفة ﴾

لم أر أحدا من رُواة أخباره ذكر شيئا مما يجذب الى معنى العنوان - غير
أنى رأيت عند دُرُلْت شاه السمرقندي أسطورة هـى بأساطير رُسْتَم وإِسْفَنْدِيَارَ
أشبهُ منها بصحائف التاريخ والأخبار . ورأيت كثيرا من علماء الفرس . والله
شاهد أنى لا اريد الغرض منهم أو التنقُّص لهم ربما يأتون بما يُطْرَى معه البُكم
الخرُس . وإني طالما :

جَرَّبْتَهُمْ فوجدتهم لما سَبَرْتَهُمْ زُيُوفٌ

وهذا تعريبٌ زَمَزَمْتَهُ وبيان جَمَجَمْتَهُ قال فى تذكرة (١) . ولأبى العلاء
فى علمى المعانى والبيان مدّة كتب (؟ ؟ فأين هى ؟) وكان القائم بأمر الله الخليفة
العباسى يكرمه ويتفقّده (فلما إذا رجع إذا وشكا عُسْرته ببغداد (٢)) وله فى
مدح آل عباس قصائد (لم نجد منها شفعاً ولا وِتْراً) . حُكى أن أبا سعيد
الرستمى (٣) وهو من أعيان الفضلاء وأمثال الشعراء كان يتلمذ عليه لما عَمَى فى آخر
عُمُرِهِ (ياسبجان الله ! !) ولذا يدعونه أبا العلاء الضرير . وكان كلما أنشأ مديحاً
فى الخليفة قاده أبو سعيد الى مجلسه . وقالوا إن أبواب دار الخلافة كانت من
الارتفاع بحيث ان أصحاب الرايات كانوا يدخلون فيها من دون أن ينكسوها .
فكلما وصل به الرستمى الى باب من أبوابها قال له أَنَحْنِ أَيْهَا الاستاذ . فينتقى

(١) طبعة ليدن ص ٢٤ و ٢٥ -

(٢) ٥٣ : ٢

مقل من الاهلين يسر واسرة كفى جزنا بين مشت واقلال

(٣) وهو محمد بن محمد بن الحسين الوفيات ١١: ٢ وأورد كثيرا من شعره صاحب اليتيمة .
وترجم له السمعاني . ولم أجد بعد سنة وفاته . الا ان فى اليتيمة ٣ : ١٣٠ أنه لما شاخ فى
عهد صاحب أقل من قول الشعر وهذا يجذب الى تكذيب الفارسى فان صاحب توفي
سنة ٣٨٥ هـ .

فكان الخليفة ومن بحضرته من الأعيان يضحكون على ذلك . فيقول أبو العلاء
مستنكراً لله دَرْكٌ من تلميذ ! اهـ

ولم يذكر أحدٌ تَلَمَّذَ الرستمي عليه ولا أَحْسَبَهُ من الأحياء إذ ذاك فانه من
الطارئين على باب الصاحب بن عباد . على أن أبا العلاء ممن يرى الموت أمراً
وأهناً من أن يصير هُزْأَةً يُسَخَّرُ منه لأبناء الدنيا . س (١)

فياموتُ زُرْ إن الحياة ذميمة ويانفس جدى ان دهرِكِ هازل

(٢) 'رحلتُ لم آتِ قرْواشاً أزاوله ولا المهذبَ أبغى النيل تقويتا
والموت أحسن بالنفس التي ألفت عزَّ القناعة من أن تسأل القوتا

عرض الاشعار عليه بها

نقل الحافظ ابن سيّد الناس اليَعْمَرِيّ الأندلسي (٣) أن أبا نصر المنازى واسمه
أحمد بن يوسف (٤) دخل على أبي العلاء المعريّ في جماعة من أهل الأدب
فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر :
وقانا لفحة الرَمضاء وادٍ سقاه مُضَاعَفُ الغيث العميم

(١) ١ : ١١٣ .

(٢) ٢ : ١١٩

(٣) ثمرات الاوراق بهامش المستطرف ١ : ٣٣ ونسمة السحر (خط) ١ : ١١٤
والوفيات طبعة غوتنجن ٣ : ١٤ من الحواشي رواية عن تقي الدين التميمي في طبقاته -
والايات الميمية في البلدان رسم منازل جرد قال ياقوت ولم أسمع في معناه أحسن منه وروايته
مضاعف الظل وعلى اليتيم وارق من المدامة - وأبو الفداء ٢ : ١٦٨ وروايته وقام مضاعف
النبت - والفطيم - وابن خلكان ١ : ٤٥ وروايته كما في الفداء قال والايات بديعة في بابها -
والمعاهد ١ : ٨٥ وروايته كالثمرات الارق وأتى بقلب بعضهم الايات - ونزهة الانام ٩٦
والمرقصات ٤٧ وابن الوردي ١ : ٣٤٩ - ونقلها الغزولي من خط ابن سيّد الناس (٦٠٠) -
٦٧٢ هـ في مطالع البدور ١ : ٧٠ روى أن أبا نصر المنازى اهـ
(٤) ويأتى في زواره بالمرّة بأبسط مما هنا -

نزلنا دَوْحَهُ فحَنَّا عَلَيْنَا حُنُوُّ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَفْنَا عَلَى ظَمَأٍ زُلَالاً الذَّ مِنْ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصُدُّ الشَّمْسُ أَنْتَى وَاجَهَتَنَا فَيَحْجُبُهَُا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ
تَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى فَتَلْمَسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النِّظِيمِ

فقال أبو العلاء « أنت أشعر من بالشام » ثم رحل أبو العلاء^(١) إلى بغداد
فدخل المنازي عليه في جماعة من أهل الأدب ببغداد - وأبو العلاء لا يعرف منهم
أحدا - فأنشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازي فأنشد :

لقد عَرَضَ الْحَمَامُ لَنَا بَسَجَعٍ إِذَا أَصْغَى لَهُ رَكْبٌ تَلَاخَى
شَجَا قَلْبَ الْخَلَى قَقِيلٌ^(٢) غَنَى وَبَرَّخَ بِالشَّجَى قَقِيلٌ نَاخَا
وَكَمْ لِلشُّوقِ - فِي أَحْشَاءِ صَبٍّ - إِذَا انْدَمَلَتْ أَجَدَّ لَهَا - جِرَاحَا
ضَعِيفَ الصَّبْرِ عَنكَ وَإِنْ تَقَاوَى وَسَكَرَانَ الْفُؤَادِ وَإِنْ تَصَاحَى
بِذَاكَ بَنُو الْهُوَى سَكْرَى صُحَاةً كَأَحْدَاقِ الْمَهَا سَكْرَى صَحَاةً

فقال أبو العلاء « وَمَنْ بِالْعِرَاقِ » - عطفنا على قوله و(?) مَنْ بِالشَّامِ اه
وحكى ابن العديم في تاريخ حلب^(١) ما نصّه « وبلغنى أن المنازي عمل هذه
الآبيات [الميمية] ليعرضها على أبي العلاء المعري - فلما وصل إليه أنشده
الآبيات ، فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو
العلاء إلى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه . ولما أنشده قوله نزلنا
المصراع قال أبو العلاء : حُنُوُّ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ : فقال المنازي إنما قلتُ على

(١) وفي نسخة الشعر ١ : ١١٤ أن هذا العرض الثانى وقع أيضا بالمعرة بعد نحو عشرة أعوام
ولفظه وكان الشعراء يمرضون أشعارهم عليه الخ - ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨١
(٢) وفي الأصل بالعين المهملة - والبيتان الأولان يوجدان في الفيت ٢ : ١٩٩ موزون
إلى ابن قاضي ميلة - وروايته زها قلب الخلى فقال غنى بالذين المعجمة -
(٣) النفع مصر ٢ : ٤٩٢ وليدن ٢ : ٦٣١ وروايته كما أتينا به وحنو المرصعات -

اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن « اه

وقال ابن البراق ^(١) في سَوِّق أخبار حَمْدَة (ويقال حمدونة بنت زياد المؤدّب خنساء المغرب من وادي آش) العوفية ونسب بعضهم إلى حمدة هذه الأبيات الشهيرة بهذه البلاد الشرقية وهي وقانا الحمسة الأبيات - وممن جزم بذلك الرُّعَيْنِيّ وقال « إن مؤرّخي بلاد الأندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يخرج المنازى من العدم إلى الوجود » اه ولسنا نستطيع أن نجزم بالحقّكم إلا أنا نستكبر عزّو الوهم إلى هؤلاء الجهم الغفير ، وما منهم إلا صيرفي نُحرير . وأما أبو نصر هذا فإنه وزرّ لابن مروان صاحب ميّا فارقين ، وكان فاضلا شاعرا كافيا ، ترسلّ إلى القسطنطينية مرارا ، وكان جماعة للكتب مُغرّما بها ، توفي سنة ٤٣٧ هـ - والأبيات عملها في بلدة بُزاعا بالعين المهملة وهي فيما بين منبج وحلب لما مرّ بواديه فأعجبه ، وهو نزّه . وفيه يقول ابن الوردي ^(٢) المعريّ وفي الباب -

إن وادي الباب قد أذكّرني جنة المأوى فله العجب
فيه دَوْح يحجب الشمس إذا مال قال للصبا جز بأدب

طيره مُعَرَّبَةٌ في لُحْمِها ————— تُطْرَبُ الحَيَّ كما تُحْيِي الطرب
مَرْجُهُ مَبْتَسِمٌ ————— سَحْبٌ في ذيلها الطيّبُ انسحب

نهره إن قابل الشمس ترى فضة بيضاء في نهر ذهب

(١) النفح مصر ٢ : ٤٩١ وليدن ٢ : ٦٣٠ -

(٢) ديوانه ٢٤٢ والأبيات سبعة ، وهناك فيه روح تحجب وهو تصحيف لاشك

ثم رأيتها في تاريخه أيضا ١ : ٣٥٠ على الصواب

والحكاية تدلّ على أن البغاددة كانوا يعرضون عليه أشعارهم ، وأن الطارقين لبابه كثيرون ، إلا أن التاريخ لم يحفظ لنا أخبارهم

رواة شعره بها

روى غير واحد ^(١) عن التنوخي الصغير أنه قال ورد أبو العلاء ببغداد وقرأت عليه شعره . ونقل صاحب البغية ^(٢) أن ابن فُورجة أيضاً قرأ عليه بها . وظننا أن المقروء ديوان المتنبي وشيء من السقط - وفي الدُمية من رواة شعره من س شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني وأبو محمد الهمداني فهل روياه عنه بها أو بالمرّة ؟ هذا مما لا تتمكن من الجزم على أحد شقيه - ويجيء في التلامذة عدّة من الأندلسيين فهل لقيه بعضهم ببغداد ؟ -

وارتاب بعضهم ^(٣) في قبوله مستدلاً بأن السقط لم يتم إلا بعد الرجوع بعدة أعوام وتدرّج منه إني أنه لم يكن ببغداد أستاذاً ولا تلميذاً والقول بحيث ترى ، فلا يمنع نقص السقط إذ ذاك عن رواية ماتم منه . وإني أرى أن كان السقط أو جملة شعره إلى آخر سنة ٣٩٨ هـ حاضراً لديه ببغداد ، ثم إنه زاد فيه ما قاله بها أوفي أمرها بعيد الرجوع . ولا بُدّ أن يعطى نسخة شعره للقارئ عليه . نعم إنه أضاف إليه نحو الربع بعد الرجوع . وكذا الدرعيّات فترى أن الأولين كانوا يُفرزونها من السقط وهي في الشروح الحاضرة ملحقة به . على أن نسخ السقط تختلف في قلة الشعر وكثرته وانظره في بيان تأليفه

وأما الأستاذيّة فلا يستنكرها من قرأ هذا الفصل - على أنه ان لم يكن يُقرى فبماذا كان يقضى ساعاته هناك ؟ والواجب أن أبو منصور والتنوخي لم

(١) كالكمال ابن الانباري وصدر الأفاضل والذهبي وصاحب البغية وغيرهم

(٢) ١٣٦ -

(٣) صاحب ذ ١٦٧ -

يكونوا فارغين لِيَبْقُوا معه آناء الليل وآناء النهار - وعثرتُ في افادته لأهلها
على خبر طريف وهو - :
قالوا في بيت س (١) :

ويوشعُ ردَّ يُوْحَى بعض يوم وأنت متى سفرت رددت يُوْحَى

أن (٢) أبا العلاء لما ورد بغداد اعترضوا عليه وقالوا صحفت انما هي بوح (٣) ؟
بالباء الموحدة لا بالياء المثناة في حلقه ابن المحسن [القاضي التنوخي الصغير]
واحتجوا عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب - فقال هذه نسخ محدثة غير هاشيوخكم
ولكن أخرجوا ما في دار العلم من الكتب القديمة - فأخرجوها فوجدوها
مقيّدة بالمثناة التحتية كما قال اه . قلت ومن جزم بالباء الموحدة المبرّد وأبو علي
البغدادي وابن الأنباري وثبت عليه وجرى في ذلك بينه وبين أبي عمر الزاهد
كلّ شيء حتى قال الشعراء فيهما قال ابن خالويه ثم أخرجنا كتاب الشمس والقمر
لأبي حاتم السجستاني فاذا هو يوح بالمثناة - وبالمثناة ورد اللفظتان يُوْح (غير
مُجَرَّي) ويُوْحَى في الحليّات للفارسي - وقد كثر من غره تصحيف نسخ
الالفاظ لتداوله ومنهم ابن سيده فظن أن يعقوب رواه بالموحدة وذكرها صاحب
القاموس في الموضعين والجوهري في بعض النسخ بالموحدة فقط والسهيلي أيضا .
وهالك ماورد في طبعة الالفاظ (٣) « ويقال قد طلعت يُوْح ياهذا [بالياء غير
مصرّوف فالصواب على ما ذكر - وفي النسخ يُوْح بالياء كما ذكره ابن الأنباري
ووثبت عليه وفي كتاب المعبدي والصيدلاني بوح بالياء بنقطة واحدة] »

(١) ٦٥ : ١

(٢) المعاهد ٢ : ١٨٩ وتاج العروس ٢ : ٢٤٩ - وجمعنا بين روايتيهما - ولكنهما رويا
من الاقتضاب ص ٢٨٠ من دون تنبيه عليه -

(٣) تهذيب الالفاظ ص ٣٩٠ -

قال الحكاية صريحة في أن كان ثمة كثير من الحاضرين في حلقة التنوخي من رواة شعره وانهم أذعنوا بفضله على مشايخهم إذ دلّهم على تصحيحهم الذي ورثه كابر عن كابر. وأبقاه الأول للآخر. وأن دار الكتب سواء كانت القديمة أو العباسية بحيث وصفها غير واحد. لا يستغنى عنها مقرر أو جاحد. يهاجر مثلها على تراخي الشقة ومطامها

ومما يرمى الى غرض الباب ماروى ابن الجوزي في الأذكياء^(١) وياقوت^(٢) في الأدباء ونقله عنهما كثير من العلماء^(٣). قال الأول روى رفيقنا عبد الكريم ابن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الأفوه (أو الأخوث) يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعده على الجسر. فأقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربي [الكرخ]. فاستقبلها شاب فقال رحم الله علي بن الجهم. فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري. وما وقفنا بل مرّ الرجل مشرقاً ومرت المرأة مغربة. فتبعت المرأة وقلت إن لم تقولي لي ما أراد وما أردت والا فضحتك. فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله على بن الجهم قوله :

عيونُ المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
وأردت أنا بقولي رحم الله أبا العلاء المعري قوله^(٤) :

(١) ١٧٤ دون السند والفيث عن الأذكياء والسياق هنا منه ١ : ٢٣٦ وهذا يدل على أن طبعة الأذكياء مختصرة وليس الكتاب على غره الأول

(٢) ادبا ١ : ١٧٦

(٣) الحزانة ١٨٦ وثمرات الاوراق بهامش المستطرف ١ : ١١٤ والمعاهد ٢ : ١٩٧

والبيدي ٢ : ١٣٦

(٤) س ٢ : ٤٩ والتقصيدة قالها بمدينة السلام

فيادارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
ولفظ ياقوت قرأت بخط أبي سعد [السمعاني وتوفي سنة ٥٦٢ هـ] قال سمعت
المبارك بن أحمد بن الأخوثة ماذا كره: خرج رجل الحكاية. والغرض من
سياق هذا السند أن يستدل به على قرب عهد وقوع الحكاية بعهد أبي العلاء
بأهل بغداد. فأخلق به أن أهنته بقولي :

فصيتك يا شيخ المعرة طائر مطير العقاب حيث ندري ولا ندري
وشعرك ترنوه بلحظ كرامة عيون أمها بين الرصافة والجسر
تمثل في شرق وغرب بذكره مشاهد أنس للبداة وللحضر
فسقياً! لعهد كنت بيت قصيده ورعياً! لأيام مضين على النهر

بعض ما استفاد بها

مرّ بعضه في ذكر الواجكا وغيره وهاك ما وجدته غير ما تقدم وهو لا يخلو
عن فائدة أدبية :

(١) قال في الغفران ^(١) كنت بمدينة السلام فشاهدت بعض الوراقين
يسأل عن قافية عدى بن زيد التي أولها :

بكر العاذلون في غلس الصبح يقولون لي ألا تستفيق

ودعوا بالصبح فجراً فجاءت قينة في يمينها إبريق

وزعم الوراق أن ابن حاجب النعمان ^(٢) سأل عن هذه القصيدة. وطلبت

(١) ١٠ - ورواية غيره ودعوا بالصبح يوماً. وللايات خبر مستلجم انظره معها في
درة الغواص استنبول ١١١ والخزانة الكبرى ٤ : ١٣٠ والوفيات ١ : ١٩٥ والاقاقي
الطبعة الثانية ٥ : ١٥٨ وابن عساكر ٤ : ٤٢٨ وكل من ترجم لحمد الراوية
(٢) ترجم له ابن النديم ص ١٣٤ قال وكان أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة
كتابة الدواوين وكان إليه في أيام معز الدولة ديوان السواد ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن
من خزانته لأنها الخ ومر في فصل دار الكتب .

في نسخ من ديوان عدي فلم توجد . ثم سمعت بعد ذلك رجلا من أهل أستراباذ
يقرأ هذه القافية في ديوان العبادي ولم تكن في النسخة التي في دار العلم .
(٢) وفيه ^(١) أيضاً ما فحواه أن بعض الادباء بمدينة السلام سئل عن قول
عمرو بن كلثوم :

فما وجدت كوجدى أم سقب أضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنيها
هل يجوز نصب شمطاء فلم يجب بشيء ثم ذكر جواره من وجهين كأنه
قال ولا أذكر شمطاء أى أنها أوجدت أو لا تنس شمطاء .
(٣) وفيه ^(٢) أن رواة بغداد كانوا ينشدون في قفانبك هذه الأبيات
بزيادة الواو (يذهبون فيها مذهب الخزم) وكان ذرى رأس الحجير البيت
وكان مكاكى البيت وكان السباع البيت . ثم شنع عليهم أنهم تبعوا في
ذلك من لا غريزة له في القريض والأفأى فرق يبقى اذا بين النثر والشعر .
(٤) وذكر فيه ^(٣) أن لأبي الطيب اللغوى كتابا في الإتياع صغيرا في
أيدي البغداديين .

(٥) وذكر ابن الرومي الشاعر والبغداديون يدعون أنه متشيع
ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيمية وما أراه الأعلى مذهب غيره من الشعراء .
(٦) وفيه ^(٤) والبغداديون يحكون أن أبا سعيد السيرافى عمل من كتابه
المعروف بالمتنوع أو الإقناع الى باب التصغير ثم توفي . وأتمه بعده ولده أبو محمد

(١) ٩٥

(٢) ٨٧

(٣) ١٩٢

(٤) ١٦١

(٥) ١٣٧ - ومثله في الادباء ٣ : ٨٦

(٧) وروى في مقدمة ل^(١) أنه شاهد بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الروي الياء في قول الشاعر^(٢) :

يأيها الراكبان السائران معاً قولاً لسننيس فلتقطف قوافيها
قال وما أحسب هذا من قاله الا وهما لأن الروي الساكن لا يكون بعده وصل . أقول ومستدلّه فيما ذهب اليه مصطلح الخليل ليس الا . وخالفه المتأخرون قاطبة حيث يجعلون الروي في مثله الياء ويوردون مثله في الدواوين في باب الياء لا في الياء كما فعل في اللزوم . ولم يفهم بعض مستعربة العصر^(٣) مصطلحه في ذلك فحكم على كثير من شعره في ل في فصل الهاء وغيرها أنه لا يوجد فيه مع أنه موجود في الهاء وغيرها الا أنه بحث عنه في فصل الياء وغيرها فأخفق .

(٨) قال ابن الوردي^(٤) حدث أبو العلاء المعري أن البغداديين حدثوه بها أنه لما عبرت السنة (يريد أهلها) بأبي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهليل قال قائل هذا والله لا مَن دُفنت ليلا يعنى فاطمة عليها السلام فثار أهل الكرخ وقتل بينهم جماعة وطرح أبو عمر عن النعش وجرح جراحاً كثيرة .

(٩) وحكى ابن مذهب^(٥) في تاريخه حدثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه (عن الزجاج) ببغداد أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنّه فعقد لهم سبعين وآخر ما سُمع منه : اللهم احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل .
وظننا أنه كان يحضر مناظرات الفقهاء ومحاضرات العلماء والادباء بمحافلهم

(١) ١ : ٢٢ -

(٢) من شعراء حماسة أبي تمام

(٣) هو مرجليوث في حاشية الادباء ١ : ١٩١ ، ١٩٣ حيث ترك (سطره) غفلاً

لاذ لم يجد في ل -

(٤) تاريخ ابن الوردي -

المشهودة ومجامعهم المحصورة لا سيما بجامع المنصور ، وهو قطب رحي الدهور .
ويلاقي نُظَّارُ أهل الجَدَل ، وعلماء الأديان والملل . فنرى شعره طافحا في ل
بأرباب المقالات ، وآرائهم والمتحلات . فذكر المعتزلة وأئمتهم وآراءهم
والمتكلمين وأهل الجبر والقدر والشيعة وأهل السنة والمحدثين والفقهاء والقرامطة
والعبيديين وآراء المجوس وديانات الهنود وعاداتهم وانظر النظرة . واكتفي
هنا بنقل حكاية في عادة سَيِّ عن الغفران ^(١) قال حدثني قوم من الفقهاء ما هم
في الحكاية بكاذبين ولا في أسباب النحل جاذبين أنهم كانوا في بلاد محمود
وكان معه جماعة من الهند قد وثق بصفائهم يُفيض عليهم الأغطية لوفائهم
ويكونون أقرب الجند إليه إذا حلَّ وإذا ارتحل وأن رجلا منهم سافر في جيش
جهز فجاء خبره أنه هلك بموت أو قتل . فجمعت امرأته لها خطبا كثيرا
وأوقدت نارا عظيمة واقتحمتها والناس ينظرون . وكان ذلك الخبر باطلا . فلما
قدم الزوج أوقد له نارا جاحمة ليُحرق نفسه حتى يلحق بصاحبه . فاجتمع خلق
كثير للنظر إليه . وأن أصحابه من الهند كانوا يحيئون إليه فيرَّصونه بأشياء الى
أمواتهم هذا الى أبيه وهذا الى أخيه وجاءه إنسان منهم بوردة وقال أعط هذه
فلانا يعني ميتا له . وقذف نفسه في تلك النار . وحدث من شاهد إحراقهم
نفوسهم أنهم إذا لدغتهم النار أرادوا الخروج فيدفعهم من حضر إليها بالعصى
والخشب . فلا إله الا الله لقد جئتم شيئا إدا ! اه . والخبر مما نشاهده كل يوم
ليس فيه ذرة من المبالغة . ولعل أخبار الملاحدة ^(٢) والزنادقة والمتنبئين
والمُتَأَلِّهين من طرائف مكاسبه بها لا من تلاد الشام .

وُيرشدنا بيتان من ل أنه كان يتعرف بجالية الأقطار الشاسعة . وان

(١) ١٥٣ -

(٢) التي نرى منها حياض الغفران مترعة وكأسها دهاقا -

حلقة معارفه بها كانت واسعة . وهما :

مالي وللنفر الذين عهدتهم بالكرخ من شاس ومن إيلاق
حلق مجادلة كشرّب مهلهل^(١) شربوا على رغم بكأس حلاق

سائر معارفه بها

مضى معظمهم ويأتي الآخرون في زواره بالمعرة أو في تلامذته ومن لم
يُذكر في الموضعين ابن تميم البرقيّ هذا الرجل كتب إليه أبياتاً يشكو فيها مرضه
وأنه لم يعُده . فأجابه بأبيات من س^(٢) وهي غاية في الظرف والملاحاة . تدل
على ولوجه بها في كل باب وساحة . وذكر فيها أن شكواه ليست من عاهة أو
آفة . بل هي من حدق الأمراض المترددة بين الجسر والرصافة :

أمعّرتي في الهجر إن جاريته طلق الجدال وجدت عين الظالم
حوشيت من شكوى تعاد وإنما شكواك من نظر بدجلة عارم
فا كفّف جفونك عن غرائر فارس فالضرب يشلم في غرار الصارم
وعيادة المرضى يراها ذو النهى فرضاً ولم تفرّض عيادة هائم
ولا نعرف هل كان أبو بكر الصابوني وأبو عمرو الاستراباذي - اللذين
كتبتهما في أمر استنساخ شرح السيرافي - بعد حيين يرزقان ، أم غالت بهما
أيدي الحدثان

(١) يريد قوله :

ما أرجى بالعيش بعد ندامي كلهم قد سقوا بكأس حلاق
وايلاق مدينة بلاد الشاس متصلة ببلدان الترك . والبيت من كلمة تمامها في حرب بكر وتغلب
هن محمد بن اسحاق وغيره ص ١١٤ -

(٢) ٩٨ : ٢ -

موت النقيب أبي أحمد الموسوي

توفي أبو أحمد والد الشريفين في جمادى الاولى سنة ٤٠٠ هـ فرثاه أبو العلاء بقافية^(١) ساحرة وكلمة سائرة . أولها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف
وهي طويلة قال ابن خلكان^(٢) أجاد فيها كل الإجادة . يقول فيها في الشريفين :

أبقيت فينا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
قدري^(٣) في الإرداء بل مطرين في البإجداء بل قرين في الإسداف
ساوي الرضى المرتضى وتقاسما خطط العلى بتناصف وتضاف
حلفا ندى سبقا وصلّى الاطهر المرضى^(٤) فيا لثلاثة أحلاف
الموقدي نار القرى الآصال والأسحار بالأهضام والأشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمى بكل شرارة كطراف

وأنا^(٥) الذي أهدى أقل بهارة حسنا لأحسن روضة مثاف

(١) ٢ : ٥٥ س -

(٢) ٢ : ٤ -

(٣) هذه اللفظة طيبة وان لم ينتج له أحد كما ذكروا أن المتنبي لما انصرف من حضرة عضد الدولة - وكان فيها - قال يودعه :

وأيا شئت يطرقي فكوني أذاة أو نجاة أو هلاك

فكانت الأذاة والهلاك حيث قتل في طريقه تلك -

(٤) كمسمى لا بتشديد الياء على زنة المفعول كما هو في س - وهو مصدر كالرضى (كالى)

ويستعملان بمعنى المفعول -

(٥) يتضاعل للرضى فانه أشعر قريش في طوال القصائد وكثرة الشعر

أوضعتُ في طُرُق التشرف سامياً بكما ولم أسلك طريقَ العافي
قال الزمخشري في الكشف^(١) في تفسير إنها ترمي بشرر كالقصر الآية
بعد أن نقل البيتين الموقدى . حمراء . « وكأنه قصد بجنسه أن يزيد على تشبيه
القرآن ولتبجح به بما سؤل له من توهّم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة
لها ومناداة عليها وتبنيها للسامعين على مكانها . ولقد عمى - جمع الله له عمى
الدارين - عن قوله عز وجل « كأنه جمالات صفر » فانه بمنزلة قوله كبيت أحمر
وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين من جهة العظم ومن جهة
الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من
جهة العظم والطول والصفرة . فأبعد الله إغرابه في طرافه ، وما نفخ شذقيته من
استطرافه اه

أقول وأيم الله إنه جنّ جنون الموصوسين ، وهذى هذيان المبرسمين . أساء
سمعا فأساء إجابة ، ومن جهل شيئاً عابه . ولم يعمل بما قال الأول المنصف ، لا تهرف
بما لا تعرف . وقد أحسن الإمام ابن خطيب الرّى في الردّ عليه في تفسيره .
وأطال فراجع . وهذا بلديّه صدر الأفاضل الخوارزمي قال^(٢) بعد أن ذكر
أن التشبيه في العظم والاستدارة والحجرة وهذا من قوله تعالى ترمي الآيتين .
فانظر الى اتفاقهما في البلدة ، مع التباين في الرفق والشدة ، والتؤدة والحيدة .
وصدق أبو الطيّب :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

(١) الاميرية سنة ١٣١٩ - ٣ : ٢٤٤ -

(٢) وفي نسخة نسمة السحر ١ : ١١١ بعد نقل قول الزمخشري : ولا أدري من أين
له انه قصد الزيادة على تشبيه القرآن . فمن العلوم أن القمر اعظم من الطراف . . . ولكن
الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً اه ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨٢ -

وهذا على أن الزمخشري كان مولعاً بالسقط^(١) فكتب منه نسخة بخطه على ما رآه صدر الأفاضل .

وهذا كله قبل أن ينزل الزو - ويتجافى مسافة الدو - ويظن - لم الجو - بين المرتضى وصاحبنا في أمر أبي الطيب حين لا يُغنى ليمت ولا لو - فقبح الله حصائد اللسنة - وفلمات الآونة -

هو في مجلس المرتضى أولاً وآخرأ

نقل ياقوت^(٢) وغيره أنه دخل على المرتضى فعثر برجل - فقال من هذا الكلب فقال المعري الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً . وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالا كثيراً . وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ويزعم أنه أشعر المحدثين ويفضله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمام . وكان المرتضى يبغض المتنبي ويتعصب عليه ، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله :

لك يامنزل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً . فغضب المرتضى وأمر بسحب رجله ، وأخرج من مجلسه . وقال لمن بحضرته أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فإن المتنبي ما هو أجود منها . فقبل النقيب السيد أعرف . فقال أراد قوله في هذه القصيدة : وإذا أتتكم مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني كامل اه

(١) الضرام شرح ليت الجياد خرسن يوم حلال ...

(٢) ادبا : ١ : ١٦٩ - النزهة ٤٢٦ - البغية ١٣٦ - عمات الاوراق بهامش المستطرف

١ : ١١٣ - حياة الحيوان ٢٣٠ : ٢ المعامد ٤٩ : ١ ١٩٣ : ٢ الصبح المنبي ٢ : ٦١ النكت

١٠٣ الخزانة ١٨٦ - اليافعي ٣ : ٦٨

أقول وهاتان حكايتان وقعتا في أول مدة إقامتنا صاحبنا وأخراها - ولا بد أن تكون الثانية وقعت بعد وفاة أبي أحمد - وقد أحسن صاحب المعاهد في إفرازهما . وصرح صاحب حياة الحيوان أن التائل له من هذا الكلب هو ذلك الرجل الذي عثر به لا المرتضى . وهذا التصريح يفيد ما أوهمه ضمير قال عند الآخرين . وقد صدق من عد الضمائر من المبهمات :

ومثله ما يروى ^(١) عن جنادة اللغوى وكان صاحبنا يعرفه ^(٢) أنه حضر مجلس الصاحب بشيراز وهو شعث الزى ، فجلس قريبا منه وكان مشغولا فلما بصر به قطب وقال قم يا كلب من ههنا ، فقال له جنادة الكلب هو الذي لا يعرف لك كلب ثلاثمائة اسم . فمد ذلك الصاحب يده وقال قم إلى ههنا فما يجب أن يكون مكانك حيث جلست ورفعه إلى جانبه

وأما قول المرتضى أتدرون أى شيء الخ فيضاهيه في الفطنة والذكاء ^(٣) ما يروى أن سيف الدولة كان يبالغ في مدح المتنبي فقال السرى الرفاء وكان يحسد منزلته انتخب لي قصيدة له أعارضها - فقال عارض لنا قصيدته التي أولها لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي

قال السرى فاعتبرت بها تلك الليلة فلم أرها من مختاراته - ثم فطنت أنه أشار إلى بيت في آخرها :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق أراه غبارى ثم قال له الحق اه وأخطأ أبو المحاسن في زعمه أن الحكاية جرت له مع الرضى كما أخطأ الخفاجى في تخليطه ثلاث حكايات حكاية مع الرضى ومع المرتضى وحكاية جنادة - وقد مر -

(١) البقية ٢١٣ -

(٢) الفران ١٧٤ - وكان اسامة استاذ ابى القاسم المغربي

(٣) الغزاة ١٨٦ - فصاحبنا اذا مصل في هذه الفطنة والسرى مجل له - والمعاهد ٢ :

وقال بعض أهل العصر ^(١) ان أبا العلا، لم يختار أن يكون متعصبا للمتنبي،
وشديدا على المرتضى كما أن هذا لم يختار أن يكون متعصبا عليه الخ. وكلا شقية
باطل فإن المرتضى حاله في تنقص المتنبي مما لا يجمله متأدب قرأ أماليه ^(٢) وأما
تعصب صاحبنا له فإنه أشهر ^(٣) من نار على علم ومن البدر في داجي الظلم. ومر
لنا حكاية بعض ما يدل عليه وسيأتي بعضه في ذكر ابن فورجة -

ولم يكن غضب الشريف بهين، وان لم يوجد له شتم أثر متبين. فإن أسرته
كانت تُسمى منصب الخلافة ^(٤)، وتُناصيها في الوجاهة. وكان أبو أحمد
مبجلا في الخلافة ودولة بني بويه. خاطبه بهاء الدولة البويهى بالطاهر الأوحى
وولى نقابة الطالبيين خمس مرات، وكان السفير بين الخليفة والبويهيين
والحمدانيين. والمرتضى كان متكلماً أدبيا وله الأملى وغيره. على أن صاحبنا
كان يضمن بعرضه، ولم يكن يسمح أن يبذل ماء وجهه. أو يبقى كلاً على
الإخوان مدفعاً، ومستمقلاً مضيعاً. وهو القائل - ل:

إذا كان إكرامى صديقاً واجباً فإكرام نفسى لا محالة أوجب
وانزل بعرضك في أعز محلة فالغور ليس بموطن للمنجد
وجاء في ل بيتان وهما:

وأصحاب الشريف ولا تساو كأصحاب ابن زُرعة وابن سَمَح ^(٥)
فأميرهم نال الإمارة بالحناء وتقيهم بصالاته متصيد

(١) صاحب ذ ١٨٣ -

(٢) مصر ٣ : ١٢٨ وغيرها

(٣) وانظر البديعي ١ : ٤٧

(٤) أنظر الوفيات ٢ : ٢ ومقدمة ابن أبي الحديد

(٥) هما نصرانيان من أصحاب المنطق - وترجم الاول ابن النديم ص ٢٦٤ -

ورواية سرّ العالمَيْن^(١) المنحول للغزاليّ وتقييهم فإنّ صحت فهل أراد
بهما الشريف النقيب أبا القاسم المرتضى؟ لا! بل هو يربأ بنفسه أن يهجو أحدا
كما نقل من قوله عبد السلام القزوينيّ المعتزليّ ويأتي في الزوّار. فليس مثل هذا
إلاّ من عداد نقده لجملة الطوائف ورجالها، وعاداتها وحالاتها

وروى أبو منصور الطبرسي في كتاب الاحتجاج^(٢) والعهد عليه أن أبا
العلاء دخل على المرتضى فقال أيها السيّد ما قولك في الكلّ؟ فقال السيّد ما
قولك في الجزء؟ فقال ما قولك في الشعريّ؟ فقال ما قولك في التدوير؟ قال
ما قولك في عدم الانتهاء؟ فقال ما قولك في التحيز والناعورة؟ فقال ما قولك في
السبع؟ فقال ما قولك في الزائد البري على السبع؟ فقال ما قولك في الأربع؟ فقال ما
قولك في الواحد والاثنين؟ فقال ما قولك في المؤثر؟ فقال ما قولك في المؤثرات؟
فقال ما قولك في النحسين؟ فقال ما قولك في السعدين؟ فبهت أبو العلاء فقال
السيّد المرتضى عند ذلك ألا كلّ ملحد ملحد. فقال أبو العلاء من أين أخذته؟
قال من كتاب الله عز وجل (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ثم قام

(١) طبعة بمبيء ٨٥ -

والسيوطي كتاب سماه التبري من معرة المعري. قال خليفة: أرجوزة ذكرها في ديوان
الحيوان وقال دخل أبو العلاء على الشريف فمثر برجل فقال من هذا الكلب فقال الكلب من
لا يعرف للكلب سبعين اسما قال وقد تتبعت اللغة فحصلتها أكثر من ستين اسما ونظمتها اه ومن
الكتاب نسخة بمخزاة يرلين وعددها في فهرس الوارد ٧٠٥٦ أولها:

لله حمد دائم الولي	ثم صلاته على النبي
ومنها:	قد نقل الثقات عن أبي العلاء
من ذلك الباقي ثم الوازع	والكلب والأبقم ثم النازع
والوع والعلوش ثم الوعوع	والشعير الوعواع فيما يسمم
هذا الذي من كتب جمعه	وما بدا من بعد ذا الحقته
والحمد لله هنا تمام	ثم على نبيه السلام

ونسخة أخرى بمخزاة بانكي بور في الهند وأخرى بمحيدر آباد

(٢) طبعة ايران سنة ١٣٠٢ هـ ص ٢٥٥ ونقله صاحب روضات الجنات ص ٩٤

وخرج . فقال السيد قد غاب عنا الرجل وبعد هذا لايرانا . فسئل السيد عن شرح هذه الرموز والإشارات فقال سألتني عن الكلّ وعنده الكلّ قديم ويشير بذلك إلى عالم سمّاه العالم الكبير فقال لي ما قولك فيه أراد أنه قديم فأجبتة عن ذلك وقلت له ما قولك في الجزء لأنّ عندهم الجزء محدث وهو متولد عن العالم الكبير وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير وكن مرادى بذلك أنه إذا صحّ أن هذا العالم محدث فذلك الذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً لأنّ هذا من جنسه على زعمه والشيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً ، فسكت لما سمع ما قلته . وأما الشعرى أراد أنها ليست من الكواكب السيارة فقلت له ما قولك في التدوير أردت أن الفلك في التدوير والدوران ^(١) والشعرى لا يقدح في ذلك . وأما عدم الانتهاء أراد بذلك أن العالم لا ينتهي لأنّه قديم فقلت له قد صحّ عندي التحيز والتدوير وكلاهما يدلّان على الانتهاء . وأما السبع أراد بذلك النجوم السيارة التي هي عندهم ذوات الأحكام فقلت له هذا باطل بالزائد البرى الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيارة التي هي الزهرة والمشتري والمريخ وعطارد والشمس والقمر وزحل . وأما الأربع أراد بها الطبائع فقلت له ما قولك في الطبيعة الواحدة النارية يتولد منها دابة بجلدها تمسّ الأيدي ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات فيبقى الجلد صحيحاً لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحرق النار والثلج أيضاً تتولد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة والماء في البحر على طبيعتين يتولد منه السموك والضفادع والحيات والسلاحف وغيرها وعنده لا يحصل الحيوان إلا بالأربع فهذا مناقض بهذا . وأما المؤثر أراد به الزحلّ فقلت له ما قولك في المؤثرات أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده

(١) وفي نسخة بالشعرى وأما عدم الخ

مؤثرات فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثرا وأما النحسان أراد بهما أنهما من النجوم
السيارة إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد فقلت له ما قولك في السعدين إذا اجتمعا
خرج من بينهما نحس هذا حكم أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أن الأحكام لا تتعلق
بالمسخرات لأن الشاهد يشهد أن العسل والسكر إذا اجتمعا لا يحصل منهما
الخنظل والعلقم، والخنظل والعلقم إذا اجتمعا لا يحصل منهما الدبس والسكر
هذا دليل على بطلان قولهم وأما قولي ألا كل ملحد ملهد أردت أن كل مشرك
ظالم لأن في اللغة الحد الرجل إذا عدل عن الدين وأهد إذا ظلم - فعلم أبو العلاء
ذلك وأخبرني عن علمه بذلك فقرأت (يا بني لا تشرك بالله الآية) اهـ . على طوله
وهذه المحاجة بمذاهب القوم أشبه منها بمذهب أبي العلاء وإنما ذكرتها استطرافا
حتى لا يخلو كتابي هذا عن كل ما يجذب إليه -

شعره بها في الحنين إلى الشام

هو قبل أن يجري بينه وبين المرتضى ماجرى لم يكن ينوى أن يفارق بغداد
كأمر لنا إثباته إلا أنه لم يكن نسي وطنه بالمرّة فما قال متشوّقا إليه (١) :
فيادارها .. البيت - وغنّت لنا .. البيت -

فقلت تغنى كيف شئت فإنما غناؤك عندي ياحمامة إعوالم

تمنيت أن أخرج حلت لنشوة تجهلني كيف اطمانت بي الحال
فأذهل أنى بالعراق على شفا رذي (٢) الأمانى لا أنيس ولا مال
مقل من الأهلين يسر وأسرة كفى حزنا بين مشت وإقلال
متى سألت بغداد عن أهلها فإني عن أرض العواصم سأل

(١) س ٢ : ٥١ -

(٢) في الاصل بالزاي المعجمة وهو تصحيف -

إذا جنّ ليلى جُنّ لبي وزائدٌ خُفوقُ فـؤادى كلما خَفَقَ الآلُ
وماء بلادى كان أنجـعَ مشرباً ولو أن ماء الكرخ صهباءَ رَجْريال
فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فليَنعَمْ لساكنك البال
فإن أستطع في الحشر آتكَ زائراً وهيمات لي يوم القيامة أشغالُ
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشمَّ له بارقا والمرء كالمرز هَطَّالُ
سيطليّني رزقي الذي لو طلبتُـه لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبالُ

وأرى أنه أنشأ في نحو هذه المدة أشعاره في النسيب التي أعجبت ياقوت^(١)

والبخريّ وهي تشفّ عن نواه ، وتجذب إلى هواه

أسالت^(٢) أتىّ الدمع فوق أسيل ومالت لظلّ بالعراق ظليل
أيا جارة البيت الممنع جاره غدوت^(٣) ومن لي عندكم بمقيّل
لغيرى زكاة من جمال فإن يكن زكاة جمال فاذكري ابن سبيل
ثم لما وافى شهر الله رجب الفرد الأصمّ سنة ٤٠٠ هـ وحان ما كان الله حمّ

نراه أعرض عن التجمّع واعتاض التصريح عن التغنم -

طربن لضوء البارق المتعالي يغداد وهنأ ما هنّ ومالي^(٤)
تمتّ قويقاً والصّرات حيالها تراب لها من أينق ورجمال
إذا لاح إيماضٌ سترتُ وجوها كأني عمرو والمطى^(٥) سَعَالِ

(١) ادبا ١ : ١٧٤ والدمية (خط كـ كتة) ورق ٦ -

(٢) س ٢ : ١٤

(٣) ابتكرت اليكم وزرتكم على البعد -

(٤) ٢ : ٣٨ س -

(٥) زعموا ان عمرو بن ربوع تزوج جنية فقبل استرها من البرق والا تفرك

فغفل يوما فقرت وقالت :

امسك بنيك عمرو اني آبق برق على أرض السعالي آلق

النويز ٢ : ٣٩ ابن ابى الحديد ٤ : ٤٤٤ ادبا ٥ : ٤٥٠ -

وكم همّ نضوّ أن يطير مع الصبا
فيا برق - فهل فيك - البيتين
إلى الشام لولا حبسه بعقال

دعا رجبٌ جيشَ الغرام فأقبلتْ
ولاح هلال مثل نون أجادهما
رِعال تروّد الهمّ بعد رِعال

أخواننا بين الفرات وجلّت
أنبئكم أنى على العهد سالم
بجاري النضار الكاتب ابن هلال

وأنى تيممتُ العراقَ لغير ما
فأصبحتُ محسوداً بفضلي وحده
يدّ الدهر لا خبر تُـ كم مُحال

ووجهي لما يُبتذلُ بسؤال
تيمّمه غيلانُ عند بلال
ووجهي لما يُبتذلُ بسؤال

على بُعد أنصاري وقلة مالي
ندمتُ على أرض العواصم بعدما
تيمّمه غيلانُ عند بلال

غدتُ بها في السوم غير مغال
ومن دونها يوم من الشمس عاطل
غدتُ بها في السوم غير مغال

وليلُ بأطراف الأسنّة حال
أروح فلا أخشى المنايا وأتقى
وليلُ بأطراف الأسنّة حال

تدّنسُ عرضَ أودميمَ فِعال
وقد أطلنا في سرّ الأبيات وإنها النمر غير المحلل ، والرحيقُ المسلسل .
تدّنسُ عرضَ أودميمَ فِعال

صارت لنا عُقْلَة المستوفز ، فعُدّنا واضح إن لم تُرجز . وإنى لقد كرنى
الأريحية الأديّة حين ما يمرُّ بي قوله « دعا رجبٌ » البيت ما كنتُ قرأته في
الدهر الأول في أشعار الهذليين (١) من شعر عبد الله بن مسلم:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما
ينفكّ يُحدّث لي بعد النهى طرباً
يا للرجال ليوم الأربعاء أما

إذ لا يزال غزال فيه يفتنني
يخبّر الناس أن الأجر همته
إذ لا يزال غزال فيه يفتنني

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب
يا ليت عدّة حول كلّ رجباً
لكنه شاقه أن قيل ذا رجب

يقال شهر عظيم القدر في سنة يهوى لها كل مكروب إذا كُرِّبَا

(١) الجزء الثاني

والآيات ظاهرة في أنها قيلت بعد تلك الواقعة المشؤومة في مجلس المرتضى

أبو علي ابن فورجة البروجردي

وبينا كان متردداً في الإقامة والرحلة إذ أتاه خبر مرض أمته فأخذ يودّع بغداد بقصيدة مطلعها ^(١) وهو آية في براعة الاستهلال:

نبي من الغربان ليس على شرع يخبرنا أن الشعوب الى صدع
وجاءه ابن فورجة وهو تلميذه يستوقفه بقصيدة بديعة لم يصل إلينا منها
الا أولها ^(٢):

ألا قامت تجاذبي عني وتسألني بعرضتها مقيلاً
ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق فالبيت يدل على صداقته وخلوصه
وعلى أنه حزن لفراقه واستوحش لفقد أنسه. وقد أحسن غاية الإحسان
وبالغ في الكناية لرجل قد أجمع على الرحيل. ولم يمتنع بنهي ناه ولا عدل ناصح
عذول. وهذا يدل على لطافة فكرته وذكاء فطنته. فأهداه صاحبنا أخرى
مثلاً، وكان أحق بها وأهلها. تنظر الى معناه، وتجذب الى مرماه. أولها:
كفى بشحوب أوجهن دليلاً على إزما عنا عنك الرحيل
ومنها:

وشارقنا فراق أبي علي فكان أعز داهية نزولا

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاءك الحظ الجزيل
وهي التي أظهر فيها أنه قد بت عزيمته على العزلة وأن هذه الحياة نكداء
مشؤومة على ما سيأتي

(١) س ٢ : ٦٨ -

(٢) س ٢ : ٨٠ -

وهو محمد بن حمّد (كفلس) بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجة^(١) صاحب ردّين على ابن جنّي في تفسير شعر المتنبي: أحدهما الفتح على أبي الفتح والآخر التجني على ابن جنّي تتبع فيهما أوهامه وسقطاته . لقي صاحبنا ببغداد وهو شاب^(٢) وكان مقيا بها^(٣) الى رحلته وقرأ عليه شيئا^(٤) . والظاهر كما تقدم أن المقروء شعر السقط وديوان المتنبي . وتقل الرجل عنه فوائد أدبية لا أرى بأسا بإيراد بعضها .

قال أبو الفتح في قول أبي الطيب^(٥) :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا
لو قال موضع سواك أنشاك لكان جميلا . قال ابن فورجة نهاية ما يقدر
عليه الفصيح أن يأتي بألفاظ القرآن وألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم وألفاظ
الصحابة . وعند أبي الفتح أنه يقدر على تبديل ألفاظ هذا الشعر بما هو خير منه

(١) ضبطه صاحب الفوات ابن فورجة بضم فسكون فراء مفتوحة فجيم مشددة كما في نسخة التتمة المكتوبة في أول المائة السابعة مشكولا وفي نسخة انباء الرواة بخط القفطي مؤلفه . وصاحب البغية خالفهما فشدّد الراء نقل الاول عن ياقوت أنه توفي بنهاوند سنة ٣٨٠ هـ وهذا غلط ونقل الثاني عن المجد في البغية أنه ولد سنة ٣٣٠ هـ وهو أيضا غلط فانه لقي صاحبنا شابا ببغداد ويلزم على هذا أن يكون عمره ٧٠ سنة . وعجب منه أنه نقل عن الثعالبى أنه كان موجدا سنة ٤٥٥ هـ فيجب على قوله أن يكون بلغ من العمر أكثر من ١٢٠ سنة . على أن نقله هذا عن الثعالبى غلط فانه توفي سنة ٤٢٩ هـ . وعجب منه ان يرجح ان اسمه حمد ولعله اتباعا للباخرزي في الدمية وهذا أيضا غلط فان صاحبنا دناه في س ابن حمد بالقفطي وفي كشف الظنون « ديوان المتنبي » انه كان حيا سنة ٤٣٧ هـ وفورجه اظنه مصفرا والاصل بورجه . بمعنى الطفل الصغير

(٢) لقيه في عنفوان شبابه - س ٢ : ٨٦ -

(٣) س ٢ : ٨٣ -

(٤) البغية ١٣٦ -

(٥) المعكبري ٢ : ٤٣٠ الواحدي بمبثي ١٢٤

قال وقرأت على أبي العلاء المعريّ ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب
 قتل له يوماً في كلمة ما ضرَّ أبا الطيّب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة
 أخرى أوردتها فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها . ثم قال لا تظنن أنك تقدر
 على ابدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرّب ان كنت مرتاباً .
 وها أنا (؟ بدون ذا^(١)) اجرّب هذا العهد فلم أقدر وليجرّب من لم يصدّق
 يجد الأمر كما قلتُ أهـ . فأنت ترى تعظيمه لشيخه وضرّبه إياه في الأدب مثلاً وأنا
 أقول كما قال إن منزلة أبي الفتح في اللغة أيضاً ليست مما ينكر ولكن فوق كل
 ذي علم عليم . وورد مثل معنى الحكاية في ر^(٢) الى النكتي ولفظه « قد علم أن
 أحمد بن الحسين كان شديد التفقّد لما ينطق به من الكلام . يُغيّر الكلمة بعد
 أن تُروى عنه^(٣) ويفرّ من الضرورة وان جذبه اليه الوزن وقد خرم في
 موضعين (ثم ذكرهما) . وروى عنه حكاية أخرى^(٤) في تعفف المثني
 وطهارة ذيله وتقاء جيبه من الخنا . وروى عنه أشياء أخرى^(٥) وأكثر من
 نقل شعر السقط وهذا يؤيد ما تقدّم من قراءته إياه عليه ببغداد والله أعلم .
 وله ترجمة في الدُمية وإنباء الرواة والنسمة^(٦) وفي الفوات والبغية مع أوهام
 كثيرة . قال الباخري وشعره فرخ شعر الأعمى أغنى شاعر معرفة النعمان
 وان كان هذا منتزهاً في معرفة العميان . هذا وقد لهج الباخري بكلمة شيخه
 البحتاني .

(١) ولا يجوز مثله النعويون وما أكثر من وقع في هذا الخطأ وانظر تاج العروس ٣٧: ١
 وغيرها . ومثله في س فها انا لا اخون ولا أخان

(٢) ص ٦٨

(٣) وانظر رسالتنا « ابن رشيّق » المطبوعة في السلفية عصر ص ٥٦

(٤) البديعي ١ : ٧٨

(٥) الواحدى ٢٥ و ٣٣٢ وغيرها

(٦) ورق ٥٣٧ باريس - ٢ : ١٩٨ - ٣٩

ما حوّه ومراسلوه شعرا

ولما كان ابن فورجة ختام من أجابه أبو العلاء نظماً رأينا إلحاق هذا الفصل به - فإنه بعد الرجوع أعرض عن تقارض الثناء وكاذبات المدائح ^(١) . ل:

وصفتك فابتهجت وقلت خيراً لتجربيني فأدركني ابتهاجي
إذا كان التقارض من محال فأحسن من تمارحنا التهاجي

وأزهد في مدح الفتى عند صدقه فكيف قبولي كاذبات المدائح

واعتذر إلى النكتي وكان كاتبه نظماً ونثراً بقوله « إنما أجبته بنثر دون منظوم لاني منذ سنوات أعرضت عن تلك الهنوات » .

(١) كان بعض الشعراء مدحه وخطب وودّه فأجابه بر ٢٣١١

(٢) بعض الأعيان كان أنفذ إليه قصيدة له رائية . فشكره بر ٤١١

(٣) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان الذي تقدم إليه برغبة عزيز الدولة

الرومي في اختصار كيلة ودمنة برقة منظومة خاطبه فيها بالأجل بعد أعوام من الرجوع . فأجابه بر ٣٦١١ واعتذر بحدوث مرض أنهك قواه وعاقه عن قبول الخدمة . ويأتي لابن سنان ذكر فيما بعد .

(٤) النكتي خاطبه بالنثر والنظم بعد فترة على عهد الاجتماع طويلاً وكان

شعره من الطويل والكامل والوافر . فأثنى على نظمه وبسط في خلوه من جملة

(١) قال - ل

زخارف مثل زمزمة الذباب
تلخص في المدائح والسباب
كانا منه في مجرى سباب
كما أذهبت أيام الشباب
فحسبي من تميم والرباب

بني الآداب غرتكم قديما
وما شعراؤكم إلا ذئاب
أقارضكم ثناء غير حق
أأذهب فيكم أيام شبهي
معاذ الله قد ودعت جهلي

العيوب وقد فصلها . وهذا الرجل اذ ذاك كان شيخاً هماً وكان صديقاً لبعض أصحاب ابن خالويه ممن سمع منه أبو العلاء . إلا أن صاحبنا يجري معه في قرن ، كأنه لِدَّةٌ له أو قرن ذو شجن . والرسالة تحتوي من مسائل العروض والقافية عيوناً ، ومن أفانين الشعر أفنوناً فأفنوناً . وهي أحكم رسالة فيما أعلم ، وأطولها وحاشاها من إيرات السأم

(٥) الوزير أبو القاسم المغربي المار . كاتبه بقصيدتين ميمية وواوية فأجابه برسالة المنيح وأثنى على نظمه ثناء باهظاً .

(٦) الشريف أبو ابراهيم محمد بن إسحاق العلوي المذكور وأخوه موسى أجاب عن قصائد لهما وانظر س (١)

(٧) أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جلابات ومرّ مدحه بقصيدة فأجابه بميمية . س (٢)

(٨) المفضل مدحه بقصيدة فأجابه باخرى على زنتها ورويها . س (٣)

(٩) أبو الخطاب القصير العراقي مدحه بقصيدة وأثبتها في نسخة دفعها الى أبي العلاء . س (٤) فأجابه ببائية .

(١٠) بعض الشعراء مدحه بقصيدة فأجابه برائية . س (٥)

(١١) كتب بعض الناس اليه بشعر نعت فيه الخمر وأهدى اليه شيئاً . فأجابه بقطعة ميمية س (٦)

(١) ١ : ٩٠ و ٥٦

(٢) ١ : ٩٩

(٣) ١ : ١٤٢

(٤) ١ : ١٥٣ وهو الجبلى المار ويأتى في الزوار

(٥) ١ : ١٧٢

(٦) ٢ : ٣٦

(١٢) القاضي أبو الطيب الطبري كتب اليه حين وافى بغداد ما قد ذكرناه مع جوابه في الفأنت .

(١٣) عاتبه ابن تميم البرقي ببغداد بأبيات وكان مريضاً فلم يعدده فأجابه بميمية^(١) ومرّ أمرها .

(١٤) أبو علي ابن فورجة ومرّ أنفا .

ولعل كثيرين كانوا يكتبونه نظماً ممن أجابهم نظماً ثم نثراً ولكن لم يصلنا أخبارهم . فمنهم الواجكا والتوخي الصغير وأبو منصور الخازن^(٢) محمد ابن علي والقاضي أبو الطيب الطبري وغيرهم

احتفال البغدادية لوداعه وتحفيهم به

مرّ بعضه فيما مضى وهاك ما بقي . كتب^(٣) بعد الرجوع الى خاله أبي القاسم ورعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداد . فلقد أفردوني بحسن المعاملة وأثنوا عليّ في الغيبة . وأكرموني دون النظراء والطبقة . ولما آنسوا تشميري للرحيل وأحسوا بتأهبي للظعن أظهروا كسوف بال ، وقالوا من جميل كل مقال . وتلفعوا من الأسف ببرد قشيب . وذرفت عيون أشياخ شيب . فلا إله الا الله أي نابتة ليست لها راعية وأمروني لرغبتهم في صقبي منهم بامور تنهى عنها القناعة والله يحسن جزاءهم ان كان ما فعلوه حفاظاً فهو منّة عظيمة وان كان نفاقاً فهو عشرة جميلة . وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب اه وكنت

(١) ٩٨ : ٢

(٢) ورد في ر صاحبنا اليه ذكر تصيدة لزومية كان انفذها اليه

(٣) ص ٣١

إذا أخبرتُ رجلاً بمسيرى بانث فيه كآبة وبدت عليه كَبُوءة . فكتمت ذلك عنهم كتمان المرأة ضرَّتها بالغيب، ما في جسدها من سوء وعيب . فلما علق حرباءُ البين تنضُّبته . ووقف صُردُ الفراق موقفه كنتُ وإياهم كأبي قابوس^(١) وبني رواحة قال لهم خيراً وأثنى عليهم وودَّعهم وداع أن لا تلاقى اه . ومن أخرى^(٢) الى أهل المعرة ويحسن [الله] جزاء البغداديين فلقد وصفوني بما لا أستحقّ وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم وعرضوا عليّ أموالهم عرضَ الجَدِّ . فصادفوني غير جدلٍ بالصفات ولا هُشْرٍ الى معروف الأَقوام ورحلتُ وهم لرحيلي كارهون .

فتراه إذاً قد حظى بها بما لم يحظَ به أمثاله . وهم كثيرون ممن خاب رجاءه وأخفق آماله . فذمَّ بغداد وأهلها . ولم يستثن شيخها ولا كهلها . وهذا القاضي عبد الوهاب نبت به بغداد كما ذكر ابن بسام^(٣) كعادة البلاد بذوى فضلها ، وعلى حكم الأيام بمُحْسِنِي أهلها - فخلع أهلها وودَّع ماءها وظلَّها وحدث أنه شيَّعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة وأنه قال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم رغيّفين كلَّ غداة وعشية وعند ياقوت كلَّ يوم مدّاً من الباقي ما عدلتُ عن بلدكم لبلوغ أمنيّة وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد من كل منزل وحقّ لها منى سلام مضاعف
فوالله ما فارقته عن قلى لها وإني بشطّى جانبَيْها اعارف
ولكنها ضاقت على برُحبها ولم تكن الارزاق فيها تساعف

(١) راجع القصة في الاغانى الثانية ٢ : ٢٩

(٢) ص ٣٤

(٣) الوفيات ١ : ٣٠٤ والحكاية في البلدان أيضاً رسم بغداد والفيث ١ : ٦٨ والشعر

الافوات ٢ : ٢١ وغلط مرجليوث في زعمه انه رجل من مهر الى بغداد ص ٣٤ .

وكانت كخلّ كنتُ أهوى دُنُوّه وأخلاقه تنأى به وتخالِفُ
ولما وصل الى مصر لقي من الإِكرام ما لا مزيد عليه اهـ . وهذا مثل
ما جرى على النضر بن شُمَيْل^(١) لما فارق البصرة الى خراسان . وكل هذا يدل
على كثرة العلم بالمدينة كثرة أضاعت لحاملها خطراً وقيمة كما قال في رله^(٢)
الى خاله أبي القاسم « والعلم ببغداد أكثر من الحصى عند جرة العقبة
ولكن على كل خير مانع » اهـ . وكان حال بعض علمائها كما قال أبو الطيب
الطبري^(٣) :

قوم اذا غسلوا ثياب جملهم لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل
يعنى أن أحدهم حينما يريد أن يغسل ثيابه الوسخة يستعير من صاحبه ثيابه
الى أن يفرغ ذاك ويقعد هذا في البيت عُريان - يعنى أن كلاهما لا يملك
فضل ثوب

نيتته على العزلة وهو بها

تقدّم لنا أنه لم يكن وردّها ليرحل عنها وكان مزماً على أن يقيم بها الى
أن يوافيه يومه . ولكن لما رأى من تقطيب الرؤساء والأعيان ، وتنافسهم في
جلب النار الى أقراصهم والافتتان . وان الدنيا كما هي ، مفطورة على الشرور
والدواهي . وأن لذائد الحياة ورغائبها ، والمشتبهات ومطاييبها . من تقدير

(١) وانظره في النيث ١: ٦٩٠ وللقاضي عبد الوهاب أيضاً :

بغداد دار لاهل المال طيبة
أقمت فيها مضاعاً بين ساكنها
ولامفليس دار الضنك والضيق
كانني مصحف في كف زنديق

(٢) ص ٣٠

(٣) الوفيات ١: ٢٣٤

العزیز العليم . لا مدخل للجهد والكد في زيادة حبة على ما منح الرازق الحكيم
كما قال الاول :

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاط قُسمت وُجودُ
وكما قال هو عند الوداع :

سيطلبني رزقي الذي لو طـلبته لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبال
إذا صدق الجد اقترى العم للفتى مكارم لا تُكرى وإن كذب الخال

ولم يكن يرغب في صلوات أجواد الممدحين . فلم يبذل ماء وجهه وهو
الخطير الثمين . لهذا الغرض الممين . ورأى ميسوره معسورا ، فحبس شخصه في
المغارة مأسورا . حتى لا يُلام إن فرط منه تقصير في حقوق الاصدقاء الكرام .
ويعذر ولا يقصر . ومن أفرغ المجهود فقد أعذر . وأن يأمن آفات المعاشرة
من الكذب والتخوُّص والغِلِّ والنميمة والحسد كما قال . ل :

تغيبتُ في منزلي برهة ستر العيون فقيد الحسد

على أنه لم يجد هناك لسلعته منقفاً ولبضاعته مشترياً يعظم له قدره . ويفكه
من إसार الزمان فيحلولى له مُره . فعزم على ما عزم . وجزم بما به جزم .
لا كمن قال قد أحزم لو أعزم . ولا نبعد إن قلنا إن موت والدته الرؤوم
نَعَصَ عليه هذا العيش المشؤوم . وأما كلامه في المعنى فيها كه « وأنا^(١) وحشي
الغزيرة أنسى الولادة » . وكتب في ر^(٢) إلى خاله أبي القاسم « ولما فاتني المقام بحيث
اخترتُ أجمعت على انفرادي بجعلني كالظبي في الكناس . ويقطع ما بيني وبين
الناس . إلا من وصاني الله به وصل الذراع باليد . والليلة بالغد » وبادر^(٣)

(١) ر ص ٢٩

(٢) ر ص ٣٣

(٣) ر ص ٣٤

أهل المعرفة بنيت هذه إعلاما . مخافة أن يزوره أحد فيؤليه ملاما . وقال فيه :
 « وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثر بقاء الرجال فشاهدت
 أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه » وكتب الى بعض العلوية (١) وكان
 زاره في منزله القديم فلم يجده هناك « وقد كنت عرفته بالعراق ما عزمت عليه
 من انفراد يحجز عن المراد . ووجدت الوالدة رحمها الله قد سبق بها القدر الى المدر
 فأنت النية بالمنية . فانطويت على يأس ومجانبة للناس » وله كثير من الشعر في
 اللزوم في غرض العزلة والوحدة . وأن بني آدم مفطورون على الشرور
 والأسواء وأن الظلمة متقدمة على النور والكدر على الصفاء وأن العالم كله
 نجس . وتدرج من هذا الى زعمه أن الوالد مصدر الجناية مذهب مَرْدَك
 وأشياعه . وكاد من غلوّه في النفرة من نوع الانسان . أن يُنسب إلى الفتد
 والهديان . ونفى سوء ظنه بالناس ان لم يستثن أحد من الاخيار والا كياس
 وانظر كله في النظرة . وقال ابن حجر (٢) وكان لا يحمد أحداً . وهذا بعض
 شعره في العزلة :

وفي وحدة الانسان أصناف لذّة وكل صنوف الوحش يجمعها القفر

حورفت في كل مطلوب هممت به حتى زهدت فما خلّيت والزهد

لا توحش الوحدة أصحابها إن سهيلا وحده فارد

إذا حضرت عندى الجماعة أوحشت فما وحدتى إلا صحيفة ايناسي

(١) ر ص ٣٥

(٢) اللسان ١ : ٢٠٤

ان صبح عقلت فالتفرد نعمة ونوى الاوانس غاية الايناس

إذا انفرد الفتى أمنت عليه دنايا ليس يؤمنها الخِلاط
فلا كذب يقال ولا نَمِيم ولا غلط يخاف ولا غِلاط

تمنيتُ أُنَى بين روض ومنهل مع الوحش لامصراً أحلّ ولا كُفراً

في الوحدة الراحة العُظمى فآخ بها قلبا وفي الكون بين الناس أثقال
إن الطبائع لما ألفت جَلبت شرّاً تولد فيه القيل والقال
حتى إذا مالكَ الأشياء فرّقها زال العناء ولم يُتعبك تنقل

هَوَيْتُ انفرادي كيما يخفّ عَمَّنْ أعاشر ثَقُلَ اِحْمالِي

وما زال نَعَمَ الرَّأْيَ لِي أَنْ مَنزِلِي كَأَنِّي فِيهِ مَضْمَرٌ كَنٌّ فِي نِعَمَا

أراك إذا انفردتَ كَفَيْتَ شَرّاً مِنْ الْخُلِّ الْمُعَاشِرِ وَالْمَعْنِ

خبرتُ البرايا والتصعلك والغنى وخفضَ الحشايا والوجيف مع السَفَرِ
فأطيبُ أرضَ الله تَسْلِيَةً لَهُ وَلَمْ يَنْأَ فِيهِ الْقَوْتُ عَنْ يَدِكَ الصِّفْرِ
يعاني مقيم بالعراق وفارس وبالشَّامِ ما لم يلقه ساكنُ القفر

إلْزَمَ ذَرَاكَ وَإِنْ لَقِيتَ خِصَاصَةً فَالْيَثِ يَسْتَرِ حَالَهُ الْإِخْذَارُ
لَمْ تَدْرِ نَاقَةً صَالِحاً لِمَا غَدَتْ أَنْ الرُّوْحُ يُحَمِّمُ فِيهِ قُدَارُ

أما العراق فعمّت أرضه فتن مثل القيامة غشّتها غواشيها

والشأم أصلح إلا أن هامته فضت وأسرى على النيران عاشيها
وهذه المقاطيع الثلاث تجذب الى أنه وطن نفسه على المسكره والاحداث
إلى أن يوافيه حمامه فيدلى في الاجداث . وسنلمع به عما قريب
ولكن أول ما وجد من شعره في العزلة ما أجاب به ابن فورجة كما
قدّمنا :

تأملنا الزمان فما وجدنا الى طيب الحياة به سبيلا
ذر الدنيا اذا لم تحظ منها وكن فيها كثيراً أو قليلا
وأصبح واحد الرجلين إمّا مليكا في المعاشر أو أويلا
ولو جرت النباهة في طريق الـ خمول إلى لاخترت الخُمولا

سبب رجوعه ورجوعه وطريقه

اذا كنت ذا لبّ مكين فلا تقس بحمصك والمياس دجلة والكرخا
مرّ خبره في مجلس المرتضى أنه لقي فيه غضاضة ومضضاً . ورأى ببغداد
مظاهر العزّ والوجاهة والخفض والراحة ، وأن ليس بيده منها غير الأسف
واصفار الراحة . على أنه مع ما فيه من تجرّع غصص هذه الحياة النكداء ببلدة
خلو من الأسرة والأوداء . هاج له من أنفل عصره نيران الحسد ، ولذعت
جمرتها روحه والجسد . س (١) :

فأصبحت محسوداً بفضلٍ وحده على بُعد أنصاري وقلة مالي
وكان الرجل من صباه ممنوا بالحساد ومكايدهم ، ومرتبكا في اشراك

الاعداء ومصايدهم - على ما نعتقد له فصلا - وبينما هو في هم ولبال، وشغل بال
إذ ورده خبر مرض أمه . وأنه قد أشرف على الضياع ما كان من أهل ثمة
ورمه . كما قال س : (١)

أثارني عنكم أمران والدّة لم ألقها وثناء عاد مسفوتا
أحياهما الله عصرَ البين ثم قضى قبل الإياب إلى الذخرين أن موتا
لولا رجاء لقائها لما تبعته عنسى دليلاً كسر الغمد أصليتا
ومما كتبه (٢) إلى علوي بعد الرجوع « وقدمتُ أخا انفاض إلى أمور
أنا بها غير راضٍ . من جذب عام اتصل في عام بعد عام » ور (٣) إلى خاله
أبي القاسم تنم بما ستره . وتبدي بعض ما أضمره قال « وكنتُ ظننتُ أن
الأيام تسمح لي بالاقامة هناك فإذا الضارية أحجاً بعراقها . والامة أبخل بضرّتها
والعبدُ أشحّ بكرّاهه . والغراب أضنّ بتمرته . ووجدتُ العلم ببغداد أكثر من
الحصا عند جمرة العقبة . وأرخص من الصيحاني بالجابرة . وأمكن من الماء
بخضارة . وأقرب من الجريدة باليمامة . ولكن على كل خير مانع . ودون كل
درة خرساء موحية أو خضراء طامية

إذا لم تستطع شيئاً فذره وجاوزه إلى ما تستطيع (٤)
يكفيك ما بلغك المحلّ أن عجز ظلّ عن شخصك فلا يعجزن عن عضومك
فلما زبنت الضروس الحالب ، ونزت العنود تحت الراكب . ومنعت القلوع

(١) ٢ : ١١٩

(٢) ر ص ٣٥

(٣) ر ص ٣٠

(٤) من عينية عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهي في الخزائن

النازع وخيب رائداً سحاباً . وكذب شاماً برق . وأخلف رُويماً
مَظنةً . عادت لعترها لَميسُ وذَكَرَ وجارهُ نُعالهُ وطَربَ لو كُنتهُ ابنُ
دايةً » اهـ

فهذا صريح في أن الرجل كان يرغب من صميم قلبه أن لو آتاه الله رَغداً
من العيش من وجهه ولكن مَظنته أخفقت وخيلته أخلفت وقد مضى شعره
في المعنى في آخر فصل البضاعة

ولا بُدَّ أن تَطْلُعَ نفسه وفيه بقية من حب الدنيا وتستشرف في هذا الدَّور
من الحياة إلى الاستزادة والعليا . ولكنه لما رَوَّضَ نفسه وقنَّعها على الكفاف
إذ ليس الريُّ كما قال عن التشاف . عاد شامُها انقيادا ، وألقت إليه مقادا .
فلم يرغب بعد في كنوز المملوك ولا المالك ، وزهد فيها زهد الناسك . كما
قال . ل :

ما سَرَّني بقناعة أوتيتها في العيش مُلكاً غالبٍ وذَمَّارٍ
وعرض عليه المستنصر العبيدي ما بييت المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل
على ما مضى بيبانه . وأحسن أبو ذؤيب أشعر هذيل :

والنفس راغبة إذا رغبتُها وإذا تُردُّ إلى قليل تقنَّعُ
وأما رجوعه فهو على النوق على طريق الموصل وهو مهلكة مخوف .
مُغارٌ للبادية فللجسور المقدام عنه عيافٌ وُصدوف . كما قال (١) :

وكم بين ريف الشام والكرخ منها لا موارد ممزوجة بِسِهامه
وكتب إلى الواجكا (٢) :

ويؤنسنا من خشية الموت معشر بكل حُسام في القِراب مودَّعٍ

(١) س ١ : ١٠٥

(٢) س ٢ : ١٠٩

طريقه موت قَيْدَ الْعَيْرِ وَسَطَهَا
اَيْنَعَمَ فِيهَا بَيْنَ مَرَعَى وَمَشْرِع
وإلى التنوخي : (١)

وأهل بيت من الأعراب ضفتهم
جنُّ إذا الليل ألقى ستره برزوا
ولا فتنه طائفة عامرية
والى الخازن : (٢)

وما أذهلتنى عن وداك روعة
ولا فتنه طائفة عامرية
وكيف وفي أمثاله يجب الغبط
يحرق في نيرانها الجعد والسبب

يشير الى بدء تغلب صالح بن مرداس وهو من كلاب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة والى حسان وهو من طيء على الشامات كما يأتى

فسار عن بغداد (٣) لست بقين من رمضان سنة ٤٠٠ هـ على طريق
الموصل وميّا فارقين ومرّ بطرف حلب الشهباء ولكن لم يعرج عليها وبين سبب
تمكّبه عنها ذهابا وإيابا فى ر (٤) الى خاله أبى القاسم . وكان نزل (٥) فى طريقه
بالحسنية وهى بلد شرقى الموصل فلم يزل فى أمن وإفراط من الماء حتى بلغ آمد
(ديار بكر) ثم عادت السبيل الى غوائلها وسدّكت الرّفاق بمخاوفها
فما بلغتنا الا جريضا بلا نقى العظام ولا سنام

(١) س ١١٥:٢

(٢) س ٢ : ١٢٦ وقال صاحب ذ ٣١٢ ان البيتين يشيران الى حصار صالح لحلب
وهذا امراف . نعم يدلان على ما أتاه قبل سنة ٤١٤ هـ بالرحبة واطرافها وبحلب أيضا

(٣) ر ٣٢

(٤) ر ٢٩

(٥) ر ٣٣

ولما وصل الرقة ^(١) كتب منها الى خاله كتابا شرح فيه ما حمّله على
النزول . ولم يكن وصل المعرة ^(٢) بعد اذ أتاه نعي أمه البرّة الوصول
وأورد صاحب ابن العديم في الباب التاسع من العدل عدّة قصائد لبعض
أنسابه قيلت في استقدام أبي العلاء والتحفي به

موت أمه

كانت امه من أسرة نجية كما يظهر من بيتيه في س ومرّا . وكان لما توفيت
ابن ٣٧ عامًا الاّ أشهرًا ، وكان برّا بها متحنّا اليها . فرثاها بقصيدتين ^(٣)
أثبتهما في س إحداهما ميمية والاخرى لامية وذكر مصابه بها في ر ^(٤) الى خاله
أبي القاسم وفي ر الى بعض العلوية أيضًا .
قال :

سَمِعْتُ نَعِيَهَا صَمِيَّ صَمَامٍ	وإن قال العواذلُ لا هَمَامٍ
وَأَمَّتَنِي إِلَى الْأَجْدَاثِ أُمٌّ	يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ سَارَتْ أُمَامِي
وَأَكْبَرُ أَنْ يُرْتِيَهَا لِسَانِي	بَلْفَظٍ سَالَكٍ طُرُقَ الطَّعَامِ
يُقَالُ فِيهِمْ الْأَنْيَابُ قَوْلٌ	يَبَاشِرُهَا بِأَنْبَاءِ عِظَامِ
كَأَنْ نَوَاجِذِي رُدِيتُ بِصَخْرٍ	وَلَمْ يَمُرُّ بِهِنَّ سَوَى كَلَامِ
وَمَنْ لِي أَنْ أَصَوِّغَ الشُّهُبَ شِعْرًا	فَالْبَيْسَ قَبْرَهَا سَمَطِي نِظَامِ
مَضَتْ وَقَدْ كَتِهَلْتُ فُخِلْتُ أَنِي	رَضِيعٌ مَا بَلَغْتُ مَدَى الْفِطَامِ

(١) ر ص ٣٠ . وليس هذا الكتاب في جملة رسائله

(٢) عنوان ميمية الرثاء س ٢ : ٨٧ و ر ص ٣٥

(٣) ٢ : ٨٧ و ١٣٧

(٤) ر ص ٢٨ و ص ٣٥

قوله يقال فيهم البيتين يشير الى ما أشار اليه في الأخرى بقوله :
أراني الكرى أنى أصبتُ بناجذ ألا إن أحلام الرقاد لضلال
أجارحتي العظمى تشبهُ ساهيا بسن لها في ساحة الفم أمثال
قالوا إنه كان أرى في المنام أن ناجذاً له سقطت فأوله بموت والدته . وقد
علمنا من اللزوم أيضاً سقوط أسنانه بين ٤٠ - ٥٠ من عمره قال :

فمي أخذت منه الليالي وإني لأشرب منه في إناء مثم
وكتب الى أبي الحسن ابن سنان^(١) وكان تقدم اليه بأمر عزيز الدولة في
اختصار كلية ودمنة وأمثاله « الآن علت السن وضعف الجسم وتقارب الخطو
وساء الخلق وعطلت رحي كانت لي لم تكن تجتمع ولكن تهمس . كنت
أقصر طحنها على نفسي وأتقوى به دون غيري ولم يكن لها ضمان ولكن فجع
بها الزمان . ولم يبق الا أن يخلو مكانها العامر . فيصبح كأنه المحل الدامر .
فأما المنفعة بها فقد انقضت وانقضت . وإن تشبه بها في الظعن أخواتها صار
لفظي من أجل ذلك مشينا وجعلت سين الكلمة شينا فلم يفهم عنى سامع ما أقول »
هـ . وهذا كله قبل بلوغه ٥٠^(٢) فان عزيز الدولة قتل سنة ٤١٢ هـ .

وورد ذكرها في اللزوم على مذهبه في جناية الوالدين على الولد ، وليس
ليلاً على العقوق :

متى لُمتاني على زلة رجعت على أمي الهابل
سعى لي والدای بغير لبٍ وسيان العرائس والسعالی

(١) ص ١١٩

(٢) وأبعد صاحب ذفرع أن هذا قبيل موته . ولعله لا يدري أنه كان بعد نفسه
من الكهول وهو ابن ٣٦ سنة كما هو في اللامية الى ابن فورجة وميمية رثاء أمه . وانظر
زعمه هذا في ص ٦٧ و ٢٢٣ . وزاد حيث زعم هذا العزيز هو الذي صنف له اللامع
العزيزي وهذا وهم وانظره في المحكام والتأليف

الحزين الى بغداد وأهلها

وقصائده في أمرها

ذكرنا أنه كان أودع الواجكا ديوان تيم اللات ليُسَلِّمه التنوخي^(١). فلم
وصل المعرة كتب اليه عينية^(٢) والى التنوخي تائبة^(٣) أقرأ فيها عبد السلام
السلام وذكر أنه كان أودع الكتاب إياه حتى يوصله الى التنوخي إبراهيم
لساحته وتخفيفاً لعهدته وذمته. ولكن لم يعلم بعد عبدة من الأعوام أيضاً
جلية الأمر فكتب اليه في أبيات ذكر فيها ورود القاضي عبد الوهاب بالمعرة^(٤)

جزء بدر رب جميل في يدى ثقة سألته رد مضمون اذا قدرا

ولم بعثت سؤالاً كاشفاً نبأ عنه فلم أقض من علمى به وطراً

وكان كما مر كتب مدخله ببغداد الى أبي حامد في أمر استنقاذ السفينة من
العشارين ولكن الرجل لم يوفق الى ذلك. وحاز فضل اليد عليه أبو أحمد
الحكاري^(٥) فخلصها من أصحاب الأعرار والظاهر أن هذا التخليص بعد
الرجوع بمدة فشكر صنيعة هذا في طائيته^(٥) الى خازن دار العلم بقوله :

وعن آل حكار جرى سمر العلاء بأكل معنى لا انتقاص ولا غمط
فان ينسهم أمر السفينة فضلهم فليس بمنسى الفراق ولا الشح

(١) س ٢ : ١٠١

(٢) س ٢ : ١١٢

(٣) س ٢ : ١٣٩ وهذا مما يضيف قول مرجليوث أن عبد الوهاب زارها سنة ٤٢٠ هـ
وهذا تخمين منه استدلالاً بقول ابن خلكان أنه توفي بمصر لأول ما وصلها سنة ٤٢٢ هـ
ونبسط الامر في الزوار

(٤) كذا بالحاء في السقط في موضعين . وآل حكار لم اعرفهم مع طول التنقيب والبحث

(٥) س ٢ : ١٢٩

ثم شكرهم بستة أبيات .

وأما الحنين إليها فهذا شعره من س :

مما كتبه (١) الى التنوخي ببغداد في أمر التهنية :

إذا نأت العراق بنا المطايا فلا كنا ولا كان المطى
على الدنيا السلام فما حياة إذا فارقتكم إلا نعي
ومما أجاب به ابن فورجة (٢) :

كلفنا بالعراق ونحن شرح فلم نلهم بها إلا كهولا
وشارفنا فراق أبي علي فكان أعز داهية نزولا

وردنا ماء دجلة خير ماء وزرنا أشرف الشجر النخيل
وزلنا بالغليل وما اشتفينا وغاية كل شيء أن يزولا

ومن عينية قالها يودع بغداد (٣) :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على زفرات ما ينين من الذع
وداع ضن (٤) لم يستقل وإنما تحامل من بعد العثار على ظلمع
إذا أط نسع قلت واللوم (٥) كربي أجدكمو لم تفهموا طرب النسع
فبئس البديل الشام منكم وأهله على أنهم قومي وبينهم رباعي
ألا زودوني شربة ولو أنني قدرت إذا أفنيت دجلة بالجرع
وأنى لنا من ماء دجلة نغبة على الخمس من بعد المفاوز والربع

(١) س ٢ : ٦٨

(٢) س ٢ : ٨٣

(٣) ٧٥ : ٢

(٤) ضن بكسر النون كما هو الرواية على ما في الضرام لا كما في التنوير بالفتح

(٥) لا الدوم كما في التنوير مصحفا

وما الفصحاء الصيد والبدو دارها
أدرتم مقالا في الجدال بالسن
سأعرض إن ناجيت من غيركم فتى
بأفصح قولا من إمائكم الوكم
خلقن - فجانبن المضرة - للنفع
وأجعل زوا من بناني في سمعي

لبست حِداداً بعدكم كل ليلة
أظن الليالي وهي خون غوادر
وكان اختياري أن أموت لديكم
فليت حمى حم لي في بلادكم
من الدهم لا الغر الحسان ولا الذرع
بردى الى بغداد ضيقة الذرع
حميداً فما ألفت ذلك في الوسع
وجالت رملي في رياحكم المسع

فدونكمو خفض الحياة فاننا
تعجلت إن لم أثن جهدي عليكم
ومما كتب الى الواجكا^(١) بعيد الرجوع:

ألم يأتكم أي تفردت بعدكم
نعم حبذا قيظ العراق وان غدا
فكم حلة من أصمع القلب آئس
أخف لذكره وأحفظ غيبه
لقد نصحتني في المقام بأرضكم
فلا كان سيرى عنكمو رأي ملحد
من الإنس من يشرب من العدى ينقع
يث جمارا في مقيل ومضجع
يطول ابن أوس فضله وابن أصمع
وأنهض فعل الناسك المتشرع
رجال ولكن رب نصح مضجع
يقول يأس من معاد ومرجع

ومنها :

أبا أحمد اسلم إن من كرم القتي
 تهيج أشواقي عروبة إنهما
 ألا تسمع التسليم حين أكرهه
 وهل يؤجس الكرخي والدارغربة
 سلام هو الإسلام زار بلادكم
 ومن التائية^(١) الى التنوخي :

سقياً لدجلة والدنيا مفرقة
 وبعدها لا أريد الشرب من نهر
 حتى يعود اجتماع النجم تشتيتاً
 كأنما أنا من أصحاب طالوتا

بَتَّ الزمان حبالاً من حبالكم
 ذم الوليد^(٢) ولم أذم جواركم
 فإن لقيت وليداً والنوى قذف
 أعد من صلواتي حفظ عهدكم
 أعز علي ! بكون الوصل مبتوتاً
 فقال « ما أنصفت بغداد » حوشيتنا
 يوم القيامة لم أعدمه تبكيتنا
 إن الصلاة كتاب كان موقوتاً

أحسننت ما شئت في إيناس مغترب ولو بلغت المنى أحسننت ما شئت

(١) س ٢ : ١١٩

(٢) يعني البحترى وقوله :

ما أنصفت بغداد حين توحشت أنزلها وهي المحل الآنس
 التنوير ٢ : ١٢٠ والفيث ١ : ٦٨ وفي الشريشي ٢ : ٧٨ عزوه الى أبي الفتح البستي
 وأظنه وهما

ومما كتبه الى خازن دار العلم (١):

خليلي لا يخفى انحساري عن الصبا
ولي حاجة عند العراق وأهله
سلأ علماء الجانبيين وفية
أعندهم علم السلو لسائل
وما أربى إلا معرّس معشر
وما ساربي إلا الذي غرّ آدماء
ألا ليت شعري هل أدين ركائبها
وهل يُنشِطني من عقالي اليكم
فحلأ إسرائي قد أضربني الربط
فإن تقضيها فالجزاء هو الشرط
أبنوها حتى مفارقهم شُط
به الركب لم يعرف أما كنه قط
هم الناس لا سوق العروس ولا الشط
وحواء حتى أدرك الشرف الهبط
أعط بها حتى يُطلّحها المط
رضى زمني أم كل شيمته سُخط

وإن خلطتني بالتراب مَنِيَّة
فياليتني طارت بكوري اذا دنا
لأقضى هم النفس قبل مجلّة (٢)
فبعض ترابي من ترابكم خلط
بكوري - قطاة بالصراة لها وقط
كأن عظامي الباليات بها خط

نعم حبذا بؤسى أزارت بلادهم
ومما كتب الى التنوخي (٣):
ولا حبذا نعمي بدارهم تنطو

أذا كرّ أنت عصرا مرّ عندك لي
أيام واصلتني ودّا وتكرمة
فليس مثلي بناس ذلك العُصرا
وبالقطيعة دارى تحضر النهرأ

(١) س ٢ : ١٢٥

(٢) الصحيفة . واراد هنا القبر لطيهطي الصحيفة

(٣) س ٢ : ١٣٩

ومن ل :

يا لهف نفسي على أي رجعتُ إلى هذي البلاد ولم أهلك ببغداد إذا رأيتُ أموراً لا توافقني قلتُ الإيابُ إلى الأوطان أدنى ذا

ومنه :

شئتُ ياهمةً عادتُ شاميةً من بعد ما أوطنتُ عصراً ببغدادِ
ولستُ ذاتُ نخيلٍ لا ولا أنفٍ كريمةٍ فتقولي شقّي داذي
وقد أسهبتُ وأطنبتُ . وظني أنني ما قضيتُ الحقَّ ولا قاربتُ . وتأملتُ
فرايتُ باعي قصيراً . ورضوى حسيراً . عن تأدية ما عاناه من لذعات الوجد
وتباريح الكمد . مما هدد ركنه الأشدَّ . وساعده الأسدَّ . وأوهن روحه
والجسد . فرايتُ الأولى الإتيانَ بلفظه الذي مازال يَبُثُّ . ولا بُدَّ للمصدر
أن ينفثَ . وإن قلباً لم تنضجِه هذه النفثات . إني فجعٌ يحقُّ أن يُحكَمَ
عليه بالمات .

نظرة عامة على حياته وعاداته

قال الذهبي ^(١) كان له مغارة ينزل إليها ويأكل فيها ويقول: العسى عورة
والواجب استتاره في كلِّ أحواله . فنزل مرةً وأكل دِيساً فنقطَّ على صدره
منه ولم يشعر . فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة ياسيدي أكلت دِيساً
فأسرع بيده إلى صدره يمسه فقال نعم لعن الله النهم . فاستحسنوا سرعة فهمه اه
قال ^(٢) وكانت له نفس قوية لا يحمل منةً أحد ، ولو تكسَّب بالشعر والمديح

(١) ١٣٠

(٢) ١٢٩ والاسان ١ : ٢٠٤

لنال بذلك دنيا ورياسة . وكان أكله العَدَس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه لبدأً وحصيره بورية . وفي ر^(١) الى الداعي أنه اقتصر على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن . وقال الرحالة الفارسي^(٢) انه لم يكن يأكل غير نصف من من خبز الشعير . وربما أكل طعاماً بلا إدام ليلاً كما جاء في ل . وكان إدامه من الزيت وشربه في الفخار كما في ل .

وكان يتجنب أصناف اللحوم والصيد والبيض وحيوان البحر يذهب مذهب الجنزيرية أو البراهمة أو مذهب الزهاد من جميع الأديان في ترك اللذائذ^(٣) . وأبر على البراهمة في الاجتناب من العسل واللبن والأقط . وزاد اذ اجتنب الجلود واتخذ لنفسه نعلا من الخشب . وهذا كله من شعره في الزوم . وله في ضد بعض هذه الأغراض أيضاً شعر وانظر النظرة .

(١) أدبا ١: ٢٠١

(٢) ص ١٥

(٣) هو لم يستقر بنفسه على طريقة كما قال السلفي . ور الى الداعي استدل فيها اولا على تحريم اللحم ثم ذكر أن سبب الاجتناب ضيق ذات يده ص ١٩٩ و ٢٠١ ، ثم صرح في اخرى ص ٢٠٥ أنه لا يقول بتحريمه وانما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبح رغبة أن يجازى عن ذلك بالنفراة واستدلوا على ذلك بقول تلميذه في رثائه

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرت اليوم من جفني دما

أن قوله « زهادة » صريح في مذهبه وتلميذه أعرف به - وفي الزهدة ٤٢٧ وأدبا ١ : ١٧٠ أنه مرض مرة فوصف له الطبيب الفروج فلما جيء به لمسه بيده وقال استضمفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الاسد . وقال ابن الوردي ١ : ٣٥٨ ان قول تلميذه لم يترق الدماء زيادة يدفع قول من قال انه لم يرق الدماء فلسفة ونسبه الى رأى الحكماء وتلميذه أعرف به ممن هو غريب يرجعه بالنيب . وما ذا على من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمساً وأربعين سنة زهادة وقد قال المكي في قوت القلوب اباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن . ولما أتى رسول الله ص اهل قباء بشرية من لبن مشربة بعسل وضم القدح من يده وقال « اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعاً لله تعالى » . وأتى عمر بن الخطاب (رض) بشرية من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها . وقد نبى النبي صلى الله عليه وسلم عن التمتع وكتب الرقائق وغيرها مشحونة بترك السلف الصالح للشهوات والملاذ الفانية رغبة في النعيم الباقي ام

ولم يكن يستبيح في حال من الأحوال كائنا ما كان شرب الخمر وكان أعدى عدوها من صباه الى أن اخترمته المنون. واللزوم طافح بدمها والتحذير منها وله في المعنى ألوف من الأبيات / وليس ثم بيت فذ لا أقول بصريح بل يجذب الى استحلالها أو تناوله لها. وله في ذمها كتاب خاص سماه خماسية الراح ويأتي.

وهذا بعض شعره في غير اللحم والخمر من الأغراض المتقدمة :

أقفرتُ من جهتين قفر مفازة وطعام ليل جاء وهو قفار (١)

لنفسي ما أطعمتُ لم يدر آكل سواي أحلواجاز في الفم أم مرّاً

وإذا غلا البرّ النقي فشارك الـ فرس الكريم وساو طرّفك تمجد

واجعل لنفسك من سليط ضيائها أدمًا ونزرحلاوة من عنجِد (٢)

وارسم بفخار شرابك لا ترد قدح اللجين ولا إناء العسجد

يكفيك أدمًا سليط ما أريق له دم ولا مسّ روحا إذ جرى ألم

جشِبْ كفاك مطاعما وعباءة اغتثك أن تمخير الأوبار

يقنعني بلسن (٣) يمارس لي فان أتنّي حلاوة فبلسن

فلس ما اخترت إن أروح من يسار قارون عفة وفلسن

فاترك لأهل الملك لذاتهم فحسبنا الكمأة والأحبل (٤)

(١) بلا ادم

(٢) الزيب

(٣) البلسن كبرسن العدس والبلس التين

(٤) اللوبياء . وجنبيل قدح من الخشب

ونشرب الماء براحتنا ان لم يكن ما بيننا جنبُلُ

وقوتي الشيء أبي مثله فصيحُ هذا الخلق والآن لكنُ

أفدتُ بهجران المطاعم صحةً فما بي من داءٍ يخاف ولا حَبْنُ^(١)

﴿ في اللباس ﴾

لباسي البرس^(٢) فلا أخضر ولا خَلَوِيَّ ولا أدكن

غالوا بأثوابهم فما حسنوا في ذَهَبِيَّ اللباس بل قَبَحُوا

اجاهد بالظاهرة حين أشتو وذاك جهاد مثلي والرباطُ

مُقْنَعِي في الزمان سِتْرِي ودِفْءٍ من لباس راق العيون وفُرْش

قد شربت المياه بالخزف الوَخْش فَاغْنِي عن محكمات بخرش

وتغنيت في الامور فَنَابَتْ قَدَمِي عن ركوب دُهم وبرش

وربما^(٣) تجنب في الشتاء من الحميم كما قال :

مضى كانونُ ما استعملتُ فيه حميمَ الماء فاقدُم يا سباطُ

﴿ هو حبسًا ﴾

كان يسمى نفسه رهينَ المحبسين كما في عنوان مُلْقَى السبيل وعند كثير

ممن كتب أخباره أو رهن المحبسين كما في مقدمة الزوم يريد حبس بصره بالعمى

(١) دمل

(٢) النطن

(٣) لا دائماً فان خادمته سكينه كانت تسخن له الماء كما سيأتي

وحبس نفسه . وجعلهما في موضع ثلاثة حيث قال :

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النيث
لفقدى ناظري ولزوم يتي وكون النفس في الجسد الخيث

﴿ الصلاة ﴾

كان مواظباً على الصلوات في مواقيتها . ولم ينقل عنه أحد توانياً في أمرها
أو كسلاً . وهذا لزومه مشحوناً بالحض عليها . وليس له كلمة يخالفها في شيء
من كتبه . قال . ل :

خذوا سِيرِي فَن لَكُمْ صَلَاحٌ وَصَلُّوا فِي حَيَاتِكُمْ وَزَكُوا
وَلَا تُصْغُوا إِلَى أَخْبَارِ قَوْمٍ يَصَدِّقُ مِثْلَهَا الْعَقْلُ الْأَرْكَ

إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ الشَّقَاءِ مُصَلِّياً فَإِنَّكَ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سَابِقٌ
إِذَا الْخُرْتُ لَمْ يَنْهَضْ بِفَضْلِ صَلَاتِهِ فَذَلِكَ عَبْدٌ مِنْ يَدِ الدَّهْرِ آبِقٌ

وقال له صلِّ داعي الهدى وقال له مُلِحِدٌ لَا تُصَلِّ

وقال في ر ^(١) الى الداعي وقد عجز عن القيام في الصلاة فانما يصلي قاعداً

وهذا في كبره ^(٢) وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً ، قال
يخاطب الدنيا :

لَكَ أَوْقَاتِي فَخَلِّينِي إِذَا قَتُّهُ أَصَلِّي

وَدَعِينِي سَاعَةً فِيكَ لِمَوْلَايَ الْأَجَلِّ

فَعُدُّ جَسَدِي لِلْعَنْصَرِ الطُّهْرِ تَسْتَرْحُ إِذَا صَرْتَ تَقْضِي الْفَرَضَ عِنْدَ التَّيَمُّمِ

(١) ادبا ١ : ٢٠٧

(٢) حين بلغ من العمر ٧٥ عاماً أو يزيدون

﴿ صومه الدهر ﴾

ذكر كما مرّ في ر^(١) الى الداعي أنه لما بلغ ثلاثين عاماً سأل ربه إنعاماً ورزقه
صوم الدهر فلم يُفطر في السنة ولا الشهر. وإني لأستبعد أن يكون تمّ له هذا
الصوم قبل رجوعه من بغداد. نعم كان يُكثر من الصوم فيما بين ٣٠ - ٣٧ من
عمره. وذكر الرحالة الفارسي أيضاً صومه للدهر. ل:

طال صومي ولست أرفع سومي ووفودي على المنية فطرُ

(صُمْتُ حياتي الى مماتي لعلّ يوم الحمام عيّد)

أنا صائم طول الحياة وإنما فطري الحمام وعند ذاك أُعيّدُ

﴿ ضرورة ﴾

ولم يتزوج ولا أعقب كما قال:

ونظم أناس تناهى الى من عهد آدم ثم انقطع

وأصبحتُ في الدنيا غيبناً مرزاً فأعفيتُ نسلي من أذاة ومن غبن
فإن تحكّمي بالجور في وفي أبي فلن تحكّمي في بناتي ولا في آبنی

وأرحتُ أولادي فهم في نعمة العدم التي فضلتُ نعيم العاجل
ولو أنّهم ظهروا لعانوا شدة ترميمهم في متلفات هواجل

لو أنّ بني أفضل أهل عصري لما آثرتُ أن أحظى بنسل
فكيف وقد علمتُ بأن مثلي خنيس ولا يجيء بغير فسل

وَصَرُورَةٌ فِي شَيْئَيْنِ لِأَنِّي مَذَكَنْتُ لَمْ أَحْجُبْ وَلَمْ أَتَزَوَّجْ
وَعَلَا فِي ذَلِكَ حَتَّى عَدَّ إِخْرَاجَ الْوَلَدِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ جُنَايَةً مِنْ وَالِدِهِ
عَلَيْهِ . وَهَذَا مَذْهَبُ مَزْدَكَ وَأَشْيَاعِهِ . وَلَهُ فِي الْمَعْنَى شَعْرٌ كَثِيرٌ أَتَيْنَا بِأَكْثَرِهِ
فِي النَّظَرَةِ

مِنْ أَتَيْنَا بِهِ أَيْضًا وَبَعْضُهُ عَادَتُهُ

— خَدَّامُهُ —

ذَكَرَ فِي ر (١) لَهُ إِلَى خَالِهِ أَبِي الْقَاسِمِ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ خَادِمَةٌ عَجُوزٌ تَسْمَى
سُكَيْنَةَ فَاسْتَدْعَاهَا إِلَى حَلَبٍ لِيَضْبُطَ مَنْزِلَهُ . فَاعْتَلَّ أَخُوهَا فَأَرَادَتْ الْخُرُوجَ إِلَيْهِ
وَلَحِقَتْ أَبَا الْعَلَاءِ عُلَّةً فَأَظْهَرَتْ أَنَّ خُرُوجَهَا إِلَيْهِ وَأَنَّهُ مَحْتَاجٌ إِلَيْهَا . وَكَانَتْ هَذِهِ
الْعَجُوزُ تَسْخَنُ لَهُ الْمَاءَ وَتُصْلِحُ لَهُ الْقِدْرَ وَتَوْقِدُ النَّارَ . وَعَزَمَ عَلَى خَالِهِ أَلَّا يُوقِفَهَا
عَلَى كِتَابِهِ لِثَلَا يَدْرِكُهَا مَا يَدْرِكُ الْآدَمِيْنَ إِذَا سَمِعُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ .
وَهَذَا بِحَيْثُ تَرَى نِهَايَةَ الْمُرُوءَةِ وَالْفَتَوَّةِ حَيْثُ حَدَبَ عَلَيْهَا مَعَ كِيَادِهَا حَدَبَ
الْأَبَوَّةِ . وَلَمْ يَسْمَحْ أَنْ تَكْتُبَ بِكَلِمَاتِهِ فِيهَا . أَوْ تَقِفَ عَلَى أَدْنَى [تَقْصِيرٍ دَلَّ
عَلَيْهِ مِنْهَا] . وَجَاءَ فِي قِصَّتِهِ مَعَ وَزِيرٍ مَحْمُودٍ بَنٍ صَالِحٍ ذَكَرَ غُلَامٌ لَهُ يَدْعَى قَذَبَرًا
قَدَّمَ لَهُ الْوَضُوءَ كَمَا فِي سِرِّ الْعَالَمِينَ (٢) الْمُنْحُولِ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ .
وَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْفَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَدَّامِهِ . وَأَنَّ بَعْضَ خَدَّامِهِ لَمْ يَكُنْ
يُطِيعُهُ . قَالَ :

وَمِنْ عَنَاءِ اللَّيَالِي خَادِمٌ ضَعِيفٌ إِنْ يُؤْمَرُ إِلَّا مَرَّ يَفْعَلُ غَيْرَ مَا أُمِرَ

(١) ٥٠

(٢) ص ٣٨

والعصا للضرير خير من القا تُد فيه الفجور والعصيان

يكفيك عبد وليس يقنعه الف وكم دُمت وهو لم يدُم

وهو يأمرنا بالرفق بالحيوان والعبيد ولا يرى للاحرار عليهم فضلا بل لا يرى
للإنسان على الجماد أيضاً مزية

ياضارب العود البطيء وظهره لا وزر يحمله كوزر الضارب
أزفوق به فشهدت أنك ظالم في ظالمين أباعد وأقارب

أنحن أفضل أم أشياء جامدة أضحت سواء لديها العين والأثر

واغفر لعبدك ما يجنيه من زلل ولا تأيّا بسوء من تأيا كا

فالحق يحلف ما عليّ عنده إلا كقنبر

❦ الإقراء والإيملاء ❦

(كان يقضى عامة أوقاته في الإقراء والتصنيف والذكر والتسبيح) وقد
سمي لنا مستملياً قال ^(١) في ثبت كتبه «لزمت مسكني منذ سنة أربع مائة
واجتهدت على أن أتوفى على تسبيح الله وتحميده إلى أن اضطررت إلى غير ذلك
فأملت أشياء وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم
أحسن الله معوته. فالزمني بذلك حقوقاً جمّة وأيادي يبيضا لأنه أفنى ^(٢) في
زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه. والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن

(١) ادبا ١ : ١٧٩ . وفي العدل على ان اتوفر

(٢) صرح في موضعين من الثبوت انه استملى تأليفه بأسرها

والارزاء « اه وهذا الرجل عمل أبو العلاء لابنه كتاين في النحو ذكرناهما في
الثبت. ولعله لم يكتف به وحده وفي ر^(١) « أنه لم يبق عنده لبيب مستمل
فتأخر الاجابة « ومثله في آخر الغفران^(٢) « أنا مستطيع بغيري فاذا غاب الكاتب
فلا املاء » وذكر ياقوت أنه وقف على ثبت كتبه^(٣) بخط أحد مستمليه. فهذا
كله يجذب الى ما رأيناه. وقال الذهبي^(٤) كان يُملي تصانيفه على الطلبة^(٥)
وقال الذهبي^(٦) في ترجمة أبي القاسم المقرئ الشاعر المعري انه حضر مجلس
أبي العلاء فاقترح عليه أن يقرأ شيئاً ولعله من القرآن فتلا « من كان في هذه
أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » فلما فرغ أبو العلاء من درسه
هنا الرجل على صلابته في أمر الدين وزوده بيتين وهما :

هذا أبو القاسم أعجوبة لكل من يدرى ولا يدرى
لا ينظم الشعر ولا يحفظ القرآن وهو الشاعر المقرئ
أقول ولكنه بنفسه يقول في ل :

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتى القصوى ثلاث ليال
ومجلسه هذا في مسجده بالمعرة وكذا فهمت من حكاية التهريزي المارة
في حفظه عن الانساب

(٢) ص ١١٢

(٢) ٢٠٦

(٣) ١ : ١٧٩

(٤) ١٣٠

(٥) وزعم مرجليوث ان له مستملياً يسمى ابا المجد مستملاً بما ورد من ذكره في الرسالة
٣٠ وهذا غلط منه فانه اخو ابي العلاء على انه ليس ثم ما يدل على استملائه والذي غره
من العبارة معناه ان ابا المجد يشتغل بقضاء حاجات من لا يشكره فلا يستفيد من مثل هذه
الاشغال شيئاً وكان اسن من ابي العلاء ولهذا ذكره بلفظة سيدي
(٦) مرجليوث ٣٧ والبيتان في أدبا ايضا ١ : ١٧٦ ورواية الاول لا يحسن الشعر

قال ابن الوردي ^(١) وكان يُعَلِّي على بضع عشرة مُحَبَّرَةً في فنون من العلوم. ثم رأيتُ ابن العديم عقد في العدل باباً لكتّابه وهو السابع قال فيه كان عنده أربعة كتب في جرائته وجاريةً يكتبون عنه ما يكتب إلى الناس وما يُعلمه من النظم والنثر والتصانيف وكتب له جماعة من المعرّة أخصّهم أنسابؤه. ومنهم ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان فانه كان ملازماً لخدمته ويكتب له تصانيفه ويكتب عنه الإجازة والسمع لمن يسمع منه ويستجيزه. وكتب تصانيفه بخطه حتى يقع بخطه من المصنف الواحد نسختان وأكثّر. وكان برّاً بعمه مشفقاً عليه ولأبي العلاء فيه قطعتان انظرهما في الفائق في الميم. ومنهم ابن أخيه أخو هذا وهو أبو الحسن علي بن محمد سمع على عمه أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه. ومنهم أبو الحسن علي بن عبيد الله (ومرّ عبد الله) ابن أبي هاشم المعري متولى أوقاف الجامع بالمعرة لزمه وكتب كتبه بأسرها وكتب من المصنف الواحد عدّة نسخ وكان خطه مورقاً حسن الضبط والإيقان (ثم نقل قول المعري المذكور لزمتم مسكني اه وفيه أيضاً عبيد الله) وكان ابنه أبو الفتح محمد بن علي أيضاً من كتّابه الذي عمل له أبو العلاء كتابين كما يأتي في التأليف. ومن كتّابه جماعة من بني هاشم. ومن كتّابه إبراهيم بن علي بن إبراهيم الخطيب وهو كاتب حسن صحيح الخط متقن في الضبط كتب معظم كتب المعري وتصانيفه بخطه وكتب عنه في السماع عليه والإجازة منه وقرأ عليه اه كلام الصاحب ملخصاً.

﴿مشييه﴾

لم يسودَّ شعره إلّا بعد برهة وفي ذلك يقول . م : (١)
وَحَلْتُ كُلِّي سَوِي شَيْبَ تَجَاوَزَنِي وَلَمْ يُبَيِّضْ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى الشَّعْرَا
قال صاحباً التنوير والضرام وقد كان الغالب عليه السواد على كبره . أقول
ويشهد له . ل :

غَرَكَ سَوْدُ الشَّعْرَاتِ الَّتِي فِي الْوَجْهِ مِنِّي وَأَنَا الدَّالْفُ
كَلَّفَتْنِي شِمَّةٌ عَصَرَ مَضَى هِيَّاتِ مِنْكَ الْعُصْرُ السَّالِفُ

أَيَا مَفْرَقِي هَلَّا أَيْضَضْتَ عَلَى الْمَدَى فَمَا سَرَّنِي أَنْ بَتَّ أَسْوَدَ حَالِكَا
قَبِيحٌ بِفَوْدِ الشَّيْخِ تَشْبِيهُ لَوْنِهِ بِفَوْدِ الْفَتَى وَاللَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ

وَمَا يَنْفَعُ الْغَرِيبُ وَالضَّعْفُ وَاقِعٌ إِذَا كَانَ لَوْنُ الرَّأْسِ غَيْرَ هِجَانٍ

تَأَخَّرُ الشَّيْبُ مِنِّي مِثْلَ مَقْدَمِهِ عَلَى سِوَايَ وَوَقْتُ الشَّيْبِ مَاحْضَرَا
وَيَذْكَرُ لَنَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحِبُّ أَنْ يَطُولَ بِهِ الْأَمَدُ حَتَّى يَتَخَدَّدَ لَحْمُهُ وَيَذْلِفَ

فِي الْمَشْيِ

بَقِيْتُ حَتَّى كَسَا الْخَدَّيْنِ جَوْنُهُمَا ثُمَّ اسْتَحَالَ وَمَسَّ الْجِسْمَ تَخْدِيدُ
بَلَوْتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَا كُنْهَا عَجَائِبًا وَانْتِهَاءَ الثُّوبِ تَقْدِيدُ

لَا سَبَطَ الْخَالِقُ فِي مُدَّتِي حَتَّى يَرَى النَّازِرُ هَدَاجِي

ومرّ ذكراً تأوّه من ضعفه في الصلاة وسقوط أسنانه في وفاة أمه
وكان وفراً لحيته لم يقصها ولم يخضبها . قال - ل :
ونابت الوجه زين في الندى له كالارض حسنها في العين إقبال

أيها الشيب لا يريك من كفى مقصّ ولا يواريك خطر
وذكر في بعض شعره وهو في الفأنت أنه عراه الصمم في كبره وهو قوله
لابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله التنوخي :
أجدك ما تركت وأنت قاضٍ تعهد مقعدٍ أعمى أصم
ويأتي ما يقويه في « أمراضه »

فذلكم أفكاره وآرائه في معتزله

هب أنك زرت المعرة فرأيت في زاوية من بيت رجلاً قصيراً مجذراً
الوجه مشوّهه نحيلاً وقد تحدد جلده وتغضن جالساً على لبدة أو بارية وهو في
برجد في الشتاء أو في عباءة في الصيف ولست ترى في البيت من الاثاث أو
الرياش شيئاً غير عصية له أو آنية من الفخار أو نعل من الخشب . فادلف له
حتى تصبح لهّمسه فإنه يقول : مالي وللناس ، إني قد جربتهم بالشأم وبالعراق
أيضاً ، فلم أرهم إلا مفطورين على الشرور والغيبة والنميمة ، متنافسين في اللذائذ
منكبين على الشهوات ، فياليت آدم لم يتزوج امهم وياليت حواء بانث منه أو
عقيمت ولم يخلّفا لنا هؤلاء الانجاس . لا أقول إن أولهم كان أصلح منهم
فكلهم رجس والعالم كله كدر لا صفو فيه والظلمة فيها متقدمة على النور .
ولهذا لم أتزوج حتى لا أجني على ولدي كما أن والدائي جني عليّ فحسبي ما أنا فيه
ولا أسبّ الدهر فإنه لم يفسد بل فسدنا نحن . فيا ولدُنم هنيئاً في العدم ولا

تخرج الى الوجود حتى لا تتعرض للأذى والمتالف . وما ضرَّك لو وأدك والداك
 إلا أنني لا أرضى لهما بذلك . ويا أيها الشاب لا تتزوج وإن أبيت فلا تتزوج
 إلا عقيماً ولا تزدد على واحدة فَعُلَّ واحد خير من غُلَيْن . ولا تتزوج أيها الكهل
 صغيرة واختر لنفسك مثلك من الطاعنات في السن . وأرى السوداءً خيراً
 من البيضاء وامنعه عن مخالطة الأقرباء والأحباء ولا تُخلَّها تسير إلى المسجد
 فإن مسجد البيت خير لمن وبه فليكن قبرهن . ولا أرى لها أن تترك زوجها
 وتُهج البيت العتيق حتى يُبصرها الغواة وأرى أن الله ومحمداً صلى الله عليه وسلم لا يرضيان
 فعلها هذا . ولا تطلَّع على الجدار تنظر إلى عرس الأمير أو غيره . ولا تسمح
 لها أن تشرب الخمر أو تغنى بالمعازف فإنها داعية الفتن ولا أن تردَّد إلى عرَّاف
 أو منجم أو كاهن لتستخبرهم عن حياة طفلها أو تسألهم عزيمة الحبل أو استرضاء
 الزوج . وما لأمير المصر لا يقيم هؤلاء القطَّاع عن الطرق ؟ ولا تردَّد إلى
 حَمَّام ولا تبرز بزينة وحلي وعطر . ولا تعلمها القراءة أو الكتابة فإن
 المغازل خير لمن . ويا أيها الرجل أنت أيضاً لا تطلَّع على جدار الجارة ولا
 تتعرَّض لنساء النصارى الغاديات إلى الكُنُس . وإني أرى لك شرَّ النساء
 المومَّسات المشاعات

والعقل هادٍ لك فلا ترُدَّه أبداً ولا تصغِر إلى أقوال هؤلاء الغواة الذين
 يأمرون الناس بالعرف وينسَوْنَ أنفسهم فلا يأتمزون بما يأمرون . ما همَّهم إلا
 الحطام والشراب والملاهي . فليس صاحب طيلسان إلا عدواً مخاتلاً وإن تاب
 ابليس تابوا وهم كاذبون في دعوى الهداية . يرتلون حمَّ والزمر كالمزامير .
 ويصلُّون فيقصرُّون ويكذبون على المنابر على رؤوس الأشهاد . وإني
 لا أعجب من الصوفية فحسبي أن أدعي قطنياً ولا أشتهر

ولا أرى السلطان إلا يأكل أموال الناس وجباياتهم بالباطل . ليس همه إلا
 في الرغائب من القيان والمغنين والعبيدان ومن الذي أحلّ لهم هؤلاء الكتائب
 بلا مُهور . ويقولون إن والي مصر وقضاته عادلون ولكن لم أر منهم إلا الظلم
 ولم يتقاتلون ؟ وكلهم ينتمي إلى دين التوحيد فهل هذا جزاء ذبحهم للحيوان ؟
 ولا أرى لقريش فضلاً على غيرهم ، بل لا أرى للإنسان فخراً لا على سائر
 الحيوان ولا على الجماد . وليس كل هذا إلا جُوداً وحُظوظاً فإني أرى عند
 ظالم كنوزاً مدخرة وعليلاً لبيباً يتعذر عليه الحاجة الطفيفة . وأرى الحجي
 والحظ لا يجتمعان وحكم الحظ سار . فهذه ذات أنواط والركن عبدُهما الناس
 دون سائر الاحجار وليس ماء زمزم إلا كسائر المياه بل أُمْلَحَ منها ولكنه امتاز
 بالبخت . فإذن أراني مجبراً في هذه الحياة لا أقدر على شيء ولو خُيرتُ لم
 آتها فقد أتيتها كرهاً وأفارقها كرهاً وأنا فيما بين ذلك مُدبِّر

وأما العوام فيزعمون أن أول من شاب ابراهيمُ وإن نار فارس خمدت
 بولادة نبيهم وأن الشُّهْب رُجحت لبعثه . وإن الدعاء يجلب المطر وأن لا بد
 للآسم أن يوجد معناه في المسمى وأن الأولين كانت جسامهم كالنخيل وادَّعَوْا
 للمعمرين من السنين ما يستنكره العقل . وزعموا أن قوماً من الأبرار طاروا في
 الجوَّ أو مشوا على الماء مع أن السَّعْدَيْنِ^(١) والعُمَرَيْنِ وهما هما لم يكونا بهذه
 المثابة . ويرتجون إماماً يقوم بينهم بالعدل - وكذبوا لا إمام سوى العقل - وهم
 يُسرعون في الاعتقاد بالزجر والفأل والطَّيرة وأحكام المعزِّمين والمنجمين
 والقصاصين

فبمن تراني أعاشر إذاً وحال طوائفهم كما علمت ولا أرى خيلاً إلا ينافق

(١) سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص « رض »

صاحبه والآخرُ يداجيه على عواره وهم يفخرون بالأُنساب مع أنها اختلطت
وامتزجت ولم يبق فيها صريح صميم). ويظلمون الحيوان ولا يَرْفُقون به ولا
أراهم خيراً منه . ويؤثرون أولادهم وأنفسهم بالألبان على أولاده ويتركون
أولاده جوعاً يتضاغون ويصيدونه ويرمونهم ولم يستحق منهم ذلك ويدبحونه ثم
يأكلونه ولا أرى كل ذلك من الحلال لهم ولا اللبن أو الاقط أو البَيْضَ وربما
أتجنب الجلدَ فهذا نَعْلَى من الخشب . ولا تقربن ضرب النحل فأنها لم تدخره لك

A

ولا أدري بأي ذنب سُلطَ الليث على المهابة والبازي على بَغاث الطير .
لا بل أعترف بتوحيده وحكمته وقدرته فلست مُلحداً كحماد وبشار وأتجنب
من الذنوب وأتوب إليه وأرى التقوى خير دُخْر يُعده الإنسان . وقالوا إن
الناس يقومون يوم الساعة بين يدي رب العالمين أو ليس من المستبعد جمع العظام
بعد أن أَرَمَتْ والاجزاء بعد أن انتشرت وهؤلاء طائفة من الفلاسفة يقولون
بقدم العالم والنجوم والأفلاك ويقول بعضهم بأن الانام كالنبت لاحتساب
لهم يزهرُونَ ثم يذبلون . لا بل أرى أن الله لا يصعُبُ عليه شيء فهو التقدير .
كالربع يخلو ثم يُعَمَّرُ وبدائعُ الله كثيرة بحار فيها بُنْيَانٌ ومن بأن النجوم تفقد
نورها كما أن الضحك يتلوه الوجوه . وليس الانام كالنبت بل هذا كذب
اختلقه اليهود وورثه منهم الفلاسفة . وأياً ما كان فاني أراهم يذهبون ولا يرجعون
وهذه الاجسام تَهْمَدُ ولا علم لي بمصير الأرواح فأنا في حنْدَسٍ مقيم

وأما تشبُّت الأديان والمذاهب فهو مما يُحيرني في أمرها ، هؤلاء اليهود
تعظَّمُ السبت والنصارى يوم الاحد والمسلمون عروبة وما الأيام إلا متساوية
ولا أرى الاحبار والرهبان والنسّاك إلا محتالين للمعاش . والشرائعُ هي التي
القت بيننا عداوات ولولا خُبْتُ في طباعنا لكانت المساجد تُقَرَّنُ بها اليسع

واليهود من غوايتهم يرتقبون الى الآن مسيحهم وما أرى ما يتلون من الصحائف إلا كذبا اختلقوه ولا أومن بالتوراة إن كانت الحُر فيه حلالا فما أراهم إلا كاذبين على موسى . ويعجبني زُهد الرهبان من النصارى إلا أنني لا أرى لهم أكل أموال النفوس الكواسب ولا أرى أحدا ضلَّ رُشدَهُ كالنصارى في تعظيم الصُّلْبَان وزعمهم أن عيسى كان ابن الله ثم مع ذلك أسلموه الى اليهود للصَّلب مع أن الوالد يشفق على ولده ان يضر به لداته فأين كان والده إذ ذاك ؟ وكيف أسلم ولده الأَعادي ؟ ام غلبوه على امره ؟ ثم يزعمون ان اليهود استلبوه منهم . فتباً ! لا رَأَهم جعلوه رباً ثم تقصوا به وازدروهُ . وارى قلوبهم تَمُجُّ ما يصدعون به . وأما صلاتهم في الكنائس بالالحان والغناء فاني أرى صلاة المسلمين خيراً منها في المساجد . على اني أنصح عامتهم لو وجدت داعياً ! فهل تُعيرني سَمْعُها أمةٌ تغدو في الفِصْح الى كنائسها وهي تجمع صنوفاً من الشبَّان والكواعب فإني ارى جارية كالوَرْدَة تنفخ بالمسك اردانها تروح بقرباتها الى القسِّ وتسخط زوجها وربَّها في مفارقتها بيتها مع انها جربت من القسِّ سوءاً سواءً وفتكة شنعاء فرجعت واثوابها ضامنة فتنة القسوس والرهبان . وسمعت ان مسلماً تنصَّرَ ولولا ان الضلال حاق به ما فارق الاسلام فشروده ليس مما يُزرى به

على أنني لا أرى للمسلمين أن يستحلوا الكتابيات بلا مُهور . وبلغني أن نصرانية خلعت زُناها لتزوج مسلماً وأراها أساءت في فعلها . وهؤلاء الجوس تدعي أن نارها لم تخمد الى الآن ولا يعجبني نكاحهم بالأخوات ولا قولهم أن أهرَمَنَ تولد من يزدان بلى يعجبني قولهم إن الظلمة متقدمة على النور إذ لست أرى في الأنام الا الشرور والخير فيهم واحد في ألف

أما الصلاة فانها ديني لا أتهان بها وأرى الدين اضمحلّ ولو أدّوا
 زكّاتهم وافية لم يبق في الدنيا فقير . واني صائم طول دهري ولعلي أفطر يوم
 حمامي وأعيّد . ولا أرى للصائم أن يكذب فان هذا يُبطل صومه . وأرى الناس
 يُحجّون لا من نُسك بل أشراً وبطراً وأى فائدة من الحجّ إن لم يرعوا عن
 قبيح أعمالهم وهؤلاء أعمامي وأخوالي لم يُحجّوا فحيثما كانوا كنتُ فليست أرضي
 التفرد بالنعيم دونهم وربّما أزعج على الرحلة ولكن يعوقني عنها عوائق
 وبلغني أن نُسّاك الهنّد يخلّقون رؤوسهم ويطيلون أظفارهم ضدّ نُسّاكنا .
 والهنود يُحرقون أمواتهم بالنار وأراها خيراً لهم من الكفور في إذهاب الريح
 فسيان أن أُدفن أو أُحرق ولكني لست أرضي أن أُجعل في تابوت . ولكن
 إن صحّ عذاب القبر فجبّني إياه وإن دفنتني فزد في قبري شبراً هداك الله !
 ولا تدفني بجانب من يقول لي ضايقتني في المشوى . ولا أوصي بشيء كما أوصى
 لبيد فليست راجعاً الى هذه الدار . فأرى الموصي أخرق
 وأرى كلاً من الروافض والشراة غاويّاً . ولكن ما بال هذا الدين الذي
 جاءنا من هجرٍ ألم يكن يكفيننا الذي أتانا من مكة ، وأرى أن المعتزلة والمرجئة
 متنافسون في الدنيا . زعموا أن الصغائر تخلّد في النار مع أنهم يرتكبون الكبائر .
 وليس المتكلّمة بأدونَ منهم حيث زعموا من سفههم أن الله بلا زمان ولا مكان
 وأبو الهذيل وابن كلاب وابن المعلم والباقلاني كلهم يهذون وما جدّ لهم الاّ تعلّة
 وأرى الأحاديث رُكّبت لها أسانيد مكذوبة مع أن الكذب لا يتطرق الا
 الى الخبر . وكيف يكون المذاهب الأربعة على الحقّ اذا كان واحد يحلّل شيئاً
 والآخر يحرمه . ولست أرى رواج المذاهب في أصقاع مخصوصة الاّ من جهة
 كون الفقيه بها . فلا تقلّد أحداً ولا تترك العقل سُدّي فهو خير مُشير

وها أنا ذا افارق حياتي النكداء ولم أدر لماذا خلقت سوى أن ورودي
من إذن مليكي والعيش نوم والمنية يقظة . وأنا دائماً من أمر ديني في حيرة
متواصلة وبصير الأقسام أعمى مثلي فخلنا في ظلمة تتصادم . والذي يأتي ليفيدني
رشدًا يزيدني حيرة ورَيْبًا . الا أني لا أكر الله نعماءه فهو الذي يخلق ما
يشاء ويختار وعنده علم كل شيء بمقدار . والذي أثبت به أن لن يذهب العرف
بين الله والناس فافعل الخير واثت العرف واتق مولاك فالتقى مما لا يرتاب في
فضله اثنان والزم النسك فإنه خير عتاد وذخر

سل يا قنبر هؤلاء لماذا أتوني من أقصى البلاد؟ يا أسفا ! إني لا أستطيع
لهؤلاء المساكين معونة . ومن الذي دلهم علي . فيا ويلتنا ! كلما رغبت في الخول
قد رلى غير المأمول ولست أول من كذب عليه وادعى له ما ليس عنده . من أين
أتعلم ولم أكن صاحب ثراء أوجدت أرحلات أو بصر فكيف الحذاء بغير بيع .
على أي نسيت ما كنت حفظته في الدهر الأول . والحق أن الذي يعدني عالماً
هو أجهل مني حيث حكم علي من غير علم . وما الذي يُغني عني هذه الترهات
التي لفقها سيبيويه وأصحابه وتباهوا بها فجعلوها مكاسب لهم فعادت بالخسيس
من الرزق . على أنهم لم يسلموا من طوارق الليالي وكوارث الدواهي . ل :

بنى الآداب غرتكم قديما زخارف مثل زعزعة الذباب

أأذهب فيكم أيام شبي كما أذهبت أيام الشباب
معاذ الله قد ودعت جهلي فحسبي من تيمم والرباب

وإن مقاتل الفرسان عندي مصارع تلکم الغنم الرباب

والقيتُ الفصاحة عن لساني مسلّةً الى العرب الأبواب
شغول ينقضين بغير حمد ولا يرجعن الا بالتباب

غفران ربك قل ما فعل القتي ما ليس مُحَوِّجَه الى استغفار

نباهته ومطير صيته بعد الرجوع

مما قاله في صباه (١):

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم باخفاء شمس ضوءها متكامل
ل . مخاطب الدنيا:

وما أبهجتني منذ التقينا وإن نوّهت بي ورفعت سمعي
ذكر لنا ببغداد أنه لما اختار العزلة رغب في الخمول وأعرض عن حب
السُّمعة وطلب الشهرة ولكن لا بدّ للبحر أن يزبد ويفور والطيب أن يفوح .
س (٢) .

ولو جرت النباهة في طريق الـ خمول إليّ لاخترتُ الخمولا
ومما قال في المعنى بعد الرجوع :

وخول ذكرك في الحياة سلامة ودهاك من أمسى لذ كرك شاهراً
وفي الغفران (٣) كلما رغبتُ في الخمول قدّر لي غير المأمول . ومن ر (٤) له
« ويُحَسِّن [الله] جزاء البغداديين فلقد وصفوني بما لا أستحق وشهدوا لي
بالفضيلة على غير علم فصادفوني غير جدل بالصفات » وأطال في المعنى
في طرْفَي الملائكة فراجع

ل . ألم ترني كميتُ النامس نفسي فأظهرني القضاء وما كاني

(٤) ٣٥

(٣) ١٩٢

(٢) ٨١ : ٢

(١) س ١ : ١١٠

قال الذهبي وابن حجر^(١) ولما عاد إلى المعرّة قصده الطلبة من النواحي.
وقال ابن خلكان^(٢) ثم رجع إلى المعرّة ولزم منزله وشرع في التصنيف
وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكتبه العلماء والوزراء وأهل الاقدار
اه. وكان بغداد يومئذ محكّ الامتحان. ومُسَبَّر الغور والعيان. فلما حاز بها
السبق عند الرهان. والذكر الجميل من بين الأقران. طارت سمعته منها إلى
أعماق الاندلس وأقصى خراسان. فأخذ طلبة العلم يهرعون إليه من كل وادٍ
وينسبون من كل حدب فيحطون رحالهم ببابه. دون أمثاله واضرابه. وقال
ابن القارح^(٣) «قد شاع فضله في جميع البشر. وصار غرّة على جبهة الشمس
والقمر. خلد ذلك في بدائع الاخبار. وكتب بسواد الليل على بياض النهار»
وقال أيضا^(٤) «وكيف وقد أصبح ذكره في مواسم الذكر آذانا. وعلى معالم
الشكر لسانا. فمن دافع العيان وكابر الإنس والجان واستبد بالافك والبهتان
كان كمن صالب بوقاحته الحجر» اه. ويدكر لنا أن إقدام صيته همّ بالنكول
ونباهته بالحنول في آخر حياته. ولعل المراد ما اشتهر من الإلحاد والزندقة.
قال. ل:

صروف الليالي إن سمحن لماجد بذكر جميل عدن يعصفن بالذكر

عرفتني - حتى شهرت - الليالي ثم صالت على بالتنكير

وهذا سرّ شعره في المعنى :

يزورني القوم هذا أرضه يمن من البلاد وهذا داره الطّيس

قالوا سمعنا حديثا عنك قلت لهم لا يُبعدُ الله إلا معشرا لبسوا

يبغون مني معنى لست أحسنه فإن صدقتُ عرّتهم أوجه عبس

أعانا الله ! كلُّ في معيشته
 ماذا تريدون لا مالٌ يتيسر لي
 يلقي العناء فدُرِّي فوقنا دُبْسُ !
 فيستاح ولا علم فيقتبسُ
 أتسألون جهولا أن يفيدكمو
 وتَحْمِلُون سَفِيًّا ضرعا يَبْسُ
 ما يعجب الناس إلا قول مختدع
 كأن قوما إذا ما شرفوا أبسوا
 أنا الشقي بآني لا أطيق لكم
 معونة وصروف الدهر تحتبس

من لي أن لا أقيم في بلد
 أذكر فيه بغير ما يجب
 يُظنُّ بي اليُسْرُ والديانة والعالم
 وبينها حجب
 أقررت بالجهل وادّعى فهمي
 قوم فأمرى وأمرهم عجب

لقد علم الله ربَّ الكمال
 بقلّة علمي وديني ومالي

....

أُمالي فيما أرى راحة
 مدى الدهر من هذيان الأُمالي

أجهل مني رجل يبتغي
 عندي ما لست له مُحسِنًا

من يبيع عندي نحواً أو يُرد لغة
 فكيفك شرّاً من الدنيا ومنقصةً
 فما يساعف من هذا ولا هذي
 ألاّ يبين لك الهادي من الهادي

وعجيبٌ فرح النفس إذا
 شاع في الأرض ثناها وانتشر

أطلبتمو أدباً لديّ ولم أزل
 منه أعاني الحَجَرَ والتفليساً
 ما كنت ذا يُسر فأجمعه ولا
 ذا صحّة فأحالف التغليساً

وأكرمني على عبي رجال
 كما روى القريضُ علي الزحاف

هو والاندلس

قال ابن سعيد^(١) في أبي بكر الخزوميّ وكلاهما من الاندلس:

يا ثانيا للمعري في حسن نظم ونثر

مرّ لنا رواية عن ابن الشيخ الأندلسيّ أن المعري أرسل إلى الامام المجتهد الحجة أبي محمد بن حزم الظاهريّ ببتيته «يد.. البيتين» وما أجاب به عنهما. فان صحّ ولا نستبعده^(٢) فلعل هذا بعد الرجوع بزمان غير قصير. فان ابن حزم رضي الله عنه وُلد سنة ٣٨٤ هـ وأول سماعه للعلم سنة ٣٩٩ هـ وتوفّي سنة ٤٥٦ هـ إذ بلغ من العمر ٧٢ عاماً. وبعثته هذه على يد بعض تلامذته^(٣) من الاندلسيين أو الراحلين إلى الاندلس وهم فيما بلغني أبو مالك احمد بن الصنديد العراقي قال ياقوت في الادباء (١ : ١٥٢) كان من أهل الأدب والشعر روى شعر المعري عنه وله فيه شرح وله مع الخضرى مناقضات دخل الاندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والأكابر* وأبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب... ابن حزم المريّ المعروف بابن أبي المغيرة. وأبو تمام غالب ابن عيسى الانصاري ولعله لقيه نحو سنة ٤٢١ هـ كما سيأتي. وأبو عبد الله بن جابر القرطبي وأبو الفضل الدارمي الوزير داعية القائم العباسي الذي أرسله^(٤) إلى المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية نحو سنة ٤٣٥ هـ وهذا الرجل للمغاربة كلاً مبهريّ للمشاركة في بث شعر أبي العلاء فقرأ عليه ابن السيد صاحب أحسن شروح السقط على ما قال ابن خلكان. وأبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني روى عنه السقط أبو الحسن علي بن محمد وهو أخو ابن السيد

(١) الفتح ليدن ١ : ١١٧

(٢) فقد أحال الغزالي على كتاب له وكان قد عاصره شيئاً انظر الحفاظ ٣ : ٣٢٣

(٣) وانظر تراجمهم في باب التلامذة (٤) انظر كتابنا «ابن رشيق» ص ١٤ و ٣٢

المذكور وأبو عمرو السفاقي^(١) روى عن أبي العلاء خطبة الفصح . وابن حزم كان له بعلماء المشرق مراسلات إذ ذاك وانتشرت كتبه في حياته بالبلاد المشرقية وحسبك أن الغزالي شهد له بالفضيلة . وأما صاحبنا فإنه ينقل كثيرا من أخبار الأندلس في الغفران فذكر ابن هانيء وغلوه^(٢) وروى ابن خلكان^(٣) رأيه في شعره . وروى في الغفران^(٤) خبر الشاعر المعروف بابن القاضي في مدحه المنصور ابن أبي عامر صاحب الأندلس بقصيدة أولها :

ما شئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ويقول فيها أشياء فأنكر عليه ابن أبي عامر وأمر بجلده ونفيه اه والمنصور مُعاصر له . وهذا كله يدل على أن الرجل كان خيرا بأخبار المغرب والأندلس وكان يأتيه منها على أيدي تلامذته ما تقرّ به العين وتلدّ الأنفس ثم إن القاضي أبا بكر بن العربي المالكي رجع الى الأندلس من رحلته الطويلة سنة ٤٩٣ هـ بعلم جم بعد أن قرأ على أبي زكريا التبريزي^(٥) جملة صالحة من تأليف المعري . وهي على ما ذكره تلميذه أبو بكر ابن الخير الاشيلي في فهرسته^(٦) السقط وضوءه ورسائله ومنها الاغريضية وشرحها له والفلاحية وشرحها له والصاهل والشاحج ولسانه له وخطبة الفصح وسائر شعره في اللزوم وقال في موضع آخر^(٧) تأليف أبي العلاء المعري وجميع ماله من منشور ومنظوم روايتي لذلك كله عن أبي بكر ابن العربي عن أبي زكريا التبريزي عنه ومن المتأخرين أبو محمد الانصاري^(٨) المتوفى سنة ٦٤٥ هـ صاحب ابن البار

(١) فهرست ابن الخير ٣٤٣ - (٢) الغفران ١٥٤ - (٣) انظر كتابنا

> ابن رشيق < ٥٨ - (٤) ١٥٤

(٥) وقرأ عليه سعد الخير بن محمد الانصاري اصلاح المنطق كما ورد في الاجازة بخط التبريزي وانظر فهرست مكتبة ليدن ٣٣ والظاهر انه قرأ عليه من كتب المعري أيضا والله أعلم (٦) ص ٤١٢ (٧) ٤٥٠ (٨) التكملة رقم ١٤٥٨

سمع شعر أبي العلاء على أبي اسحاق بن أبي اليسر عن أبيه عن جدّه عن أبي العلاء
وفي نفتح عن الطيب ^(١) [عن المطمح ^(٢)] أن للوزير أبي القاسم [محمد]
ابن عبد الغفور - وترجم له الفتح ^(٣) وابن البار ^(٤) - رسالة سماها بالساجعة
[والغريب ^(٥)] هذا بها حذو أبي العلاء في الصاهل والشاحج له . صنعها
للوزير الفقيه أبي أيوب ابن أمية وبعث بها اليه فأقامت عنده أياماً ثم استدعاها
منه فصرفها اليه وكتب معها كتاباً ظريفاً منه « فاسعدُ أعزّك الله بكرّتها وسلمها
عن أفانين معرّتها »

وفيه أيضاً ^(٦) أن للحافظ أبي الربيع الكلاعي صاحب الاكتفا في
مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء كتاباً سماه جُهد النصح في معارضة المعري في
خطبة الفصح وآخر سماه مفاوضة القلب العليل ومناظرة الأمل الطويل بطريقة المعري
في ملقى السبيل . وأصل ملقى السبيل محفوظ بخزانة دير اسكوريال ببعض
رسائل أخرى للمعري . وفيها نسخة من معارضة أخرى له لأبي عبد الله ابن أبي
الخصال وزير يوسف بن تاشفين وذكره أبو بكر ابن الخير في فهرسته ^(٧) ولفظه
جزء فيه ملقى السبيل [لابن أبي الخصال] بنظم بديع ونثر سنيح في معنى الزهد
الرفيع من تأليفه

وذكر ابن البار في التكملة ^(٨) أن لابن غلندّه الأموي السرقسطي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ لزوميات .

(١) مصر ٢ : ٣١٦ ليدن ٣٧٢ - وأبو القاسم هذا نقل قوله المعري من س :
ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مسخت نمالا
الي قوله : تربه المنايا الحجر فيه وجوهنا ممانلة الارواح في صور الذر
القيت ٢ : ١١٥ -

(٢) مصر سنة ١٣٢٥ هـ ص ٣٣ (٣) مطمح الانفس مصر ٣٥

(٤) التكملة رقم ٦٥٢ - (٥) الزيادة من التكملة - (٦) مصر ٢ : ٥٨٧ ليدن

٧٦٩ - (٧) ٤٢ (٨) رقم ١٥١٦ -

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التيمي السرقسطي خمسون مقامة لزومية بناها على لزوم ما لا يلزم قال ابن بشكوال في الصلة (١) هو صاحبنا ومقاماته اخذت عنه واستحسنست وتوفي بقرطبة سنة ٥٣٨ هـ .

وهذا كله يدل على ما تمكن في نفوس أهل الجزيرة من حب أبي العلاء وآثاره الخطيرة . فافتقروا قفوه . واحتدوا حدوه وجعلوه إماما يقتدى به (٢) ومناراً يهتدى به . ولنعم ما قال ل . :

واعتماد الإنسان فيك جيلاً مينةً لا ينالها منك شُكرٌ

هو والحساد

لا يستطيع الناس دفع فضيلة بالقدر صيرها اليك مصيرٌ
قد جرت سنة الله أن يَمْنُوَ كلَّ نابغ من العباد ، بكيد الحساد . حتى
ينشروا خبيء علمه ويبحثوا عن مكنون فضله . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
ولو فكروا لدروا أنهم لا يستطيعون ضراً ولا نفعاً . فترى الرجل بُلي بهم
من صباه قال س : (٣)

بأي لسانٍ ذامني متجاهل عليّ وخفقُ الريح في ثناء
تكلمم بالقول المضلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء

(١) رقم ١١٧٥ ومنها نسخة بأسكوريال . ترجم لابن الطاهر ترجمة ضافية ابن الأباوف
المعجم عدد ١٢٤ وصاحب البنية ١٢٠ - وورد ذكر المقامات هذه في النكمة تحت رقم
١٧٢٢ وتحت ٣١٢ من طبعة الجزائر في معجم ابن الأبار ٢٦٦ والمعاهد ٢ : ١٠٦ -

(٢) ولابن عمار الاندلسي وكانه معاصر صاحبنا (٤٢٢ - ٤٧٧ هـ) تضمن لبيته
من السقط (١ : ٣١) لو اختصرتم الخ أورد صاحب المعاهد ٢ : ٩٨ وهذا أدل دليل على
انتشار شعر صاحبنا بالجزيرة في حياته . وابن عمار لم يكن فارقها الى البلاد الشرقية كما هو
معروف

(٣) ١ : ٨٥

رويدك^(١) أيها العاوي ورأيي لتُخبرني متى نطق الجهاد
أأخلُ والنباهة في لفظ وأقتر والقناعة لي عتاد

كأنني^(٢) اذا طلت الزمان وأهله رجعت وعندي للأنام طوائل
ومن سائر شعره^(٣) :

تعاطوا مكاني وقد فتهم فما أدر كوا غير ملح البصر
وقد نبحوني وما هجتهم كما نبج الكلب ضوء القمر
وقال ببغداد^(٤) :

فأصبحت محسوداً بفضلي وحده على بُعد أنصاري وقلة مالي
والمكن لما اخترق صيته المسامع بعد الرجوع . كثر عداد من طوى له
الشان والحسد بين الضلوع . ل :

أضحت تظن بك الديانة والغنى والعلم فاهتاجت لك الحساد

وإذا حسدت فان شكر فضيلة ان لا تؤاخذ بالاساءة حاسدا

كم صاحب يتمنى لو نعت له وإن تشكيت راعاني وفداني

تغيبت في منزلي برهة ستر العيون فقيد الحسد

ويأتي في وصف اللزوم آخر رسالة له فيمن حرّف بيتاً من اللزوم واغرى

به ابناً لصالح بن مرداس

وتقلوا^(٥) عن ابن العديم في كتابه العدل والتحري في دفع التجري على ابي

(١) ٦٦ : ١

(٢) ١١٠ : ١

(٣) ١٣٦ : ١

(٤) ٤٥ : ٢

(٥) ادبا : ١ ١٧٩ نكت ٢٠٥ معاهد ١ : ٥٠

العلاء المعري أنه قال قرأت بخط أبي اليسر المعري في ذكره وكان رضي الله عنه يُرْمَى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يُضَمَّنُونَهَا أقاويل المُلْحِدَةِ قصداً لهلاكه وإثارة لا تلاف نفسه. فقال رضي الله عنه حاول . . . باهوان . الثلاثة الأبيات وهي في الفأنت . وشكا إلى المنازي كما يأتي حسدهم فعاد كما قيل :

إنك لا تشكو إلى مصمت فاحتمل العبء الثقيل أو مت
وقد أخرج عداوتهم أحسن مخرج حيث قال - ل :
أردت إهاتني فحكك مني قضاء في كان له نجوز
وجدتني اللجين أو الثريا وتصغير المصغر لا يجوز

تلامذته والرواة عنه

أرى أن ناشئة المعرة من بيوتات آل سليمان وبنو عبد اللطيف وبنو الد ويذة وغيرها كانوا يقرؤون عليه . ولكن التاريخ لم يحفظ لنا من أخبارهم الا قليلا . وحسبك أن الذين رثوه على ما قال ياقوت وغيره^(١) أربعة وثمانون شاعراً . وروى السلفي^(٢) عن الأبهري أنه ختم في اسبوع واحد على قبره مائتا ختمة وظاهر أن جُلهم من تلامذته . وذكر ابن العديم في الباب الخامس من العدل ممن قرأ عليه أو روى عنه كثيراً من العلماء والادباء والمحدثين من أهل المعرة وغيرهم من الغرباء من حلب وكفر طاب والأندلس وتبريز وأصبهان وسروج والرقّة وهكّار وبغداد والمصيصة وأبهر ونيسابور والأنبار من أئمة وعلماء وقضاة وأدباء رُواة وحفاظ ثقات . رَوَوْا عنه وكتبوا وأخذوا العلم واستفادوا وعظّموا

(١) أدبا ١ : ١٧١ وذهبي ١٣٥

(٢) ذهبي ١٣٥

قدره ومعارفه . وقال الرحالة الفارسي انه لا يزال جماعة وافرة من الطلبة يقيمون بيابه ويقرؤون عليه كتب الشعر والأدب وهم أكثر من مائتي رجل . فإن صححنا قوله فلا بد أن يكون له من التلامذة ما لا يقل عن ألف وإن أنكرناه فهم مئون لاشك . والأسف أننا تقتنع من الاعراج على هجمة ومن الجمع الغفير على شردمة . لفقدنا من الوسائل اللازمة ما يهيم ، ومن كتب الأخبار ما يخص ويعم . فها بهم غير من مرّ في أبواب بغداد :

(١) فأولهم فضلاً وذكراً ولا ثاره إذاعة ونشراً ابن الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني^(١) اللغوي صاحب التصانيف الممتعة التي شحنها بكنوز علوم أبي العلاء يرحل اليه كما قال القفطي^(٢) وأبو الفداء^(٣) من تبريز إلى المعرفة^(٤) لا من بغداد ويمكن أن يكون عاج إليها . وكان سبب توجهه اليه على ما روى القفطي^(٥) أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدلّ على المعري . فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرفة . ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً . فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل . وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور اهـ .

(١) راجع ترجمته في النسب ١٠٣ والوفيات ٢ : ٢٢٣ والنزهة ٤٤٣ والبغية ٤١٣

(٢) وانظر الحكاية التالية

(٣) ٢ : ٢٢٤ لامن خراسان كما زعم صاحب ذ ٢٠٤ ولا من بغداد كما يؤهم كلام

مرجليوث ٣١ - ولامن نهر وان على مافي نزهة الجليس ١ : ٢٧٨

(٤) وزعم صاحب البغية ١٣٦ أنه قرأ عليه ببغداد وهذا سبق قلم فان التبريزي لم يكن

ولد بعد . وسبقه صاحب الاسماء

(٥) الوفيات ٢ : ٢٣٣ - وفي ختام المصباح المنير للفيومي ذكر نسخة من التهذيب عليها

خط التبريزي

وكان أبو العلاء حديبا عليه عطفوا . ولما عاناه من مشاق الشقة رقيقا رؤوفا . كما يعلم من حكايته عنه في الحفظ . وقال في شرح السقط له ^(١) « لما حضرت أبا العلاء قرأت عليه كثيرا من كتب اللغة وشيئا من تصانيفه . قال وكان يحثني على الاشتغال بغير السقط من كتبه » . وورد في ختام نسختين من اللزوم ^(٢) في إجازة له لتلميذه ابن الجواليقي أنه قرأ شيئا من اللزوم على أبي العلاء . ومروا ما يعضده في ذيل البيتين « يد » البيتين أنه قرأهما عليه وهما من اللزوم . وقال في مقدمة تهذيب الاصلاح له ^(٣) بعد ما ذكر ما في الاصلاح من التكرار الممثل وكان أبو العلاء المعري والشيخوخ الذين قرأت عليهم هذا الكتاب يكرهون منه التكرار اه . ولم أره ينقل عنه في التهذيبين له شيئا يذكر . وأما شرح الحماسة فإنه ملأه بأقواله الملتقطة من تأليفه الرياش المصطنعي أظنه . قال في موضع ^(٤) وروى قول النمرى وما تعقبه به أبو العلاء « فلا تعدلن عما ذكره أبو العلاء إلى غيره » وأرى أنه أودع الرياش بجملة في شرحه ولم يبق منه بقية تذكر وهو بنفسه ^(٥) راوي الرياش عنه

قال السلفي ^(٦) سمعت أبا زكريا التبريزي اللغوي يقول : أفضل من رأيت من قرأت عليه أبو العلاء . ونقل القفطي ^(٧) عنه أنه لما قرأ عليه اصلاح المنطق

(١) فهرس خزانة باريس ٣١١٢ - والكشف « سقط الزند »

(٢) وهما أقدم نسخة منه - انظر فهرس خزانة ليدن واخرى مثله في بومباي

(٣) مصر ١ : ٢ وبسط المعنى أبو العلاء في الاغريضية ص ١٩ وقال ان ذكر الكلمة

مرتين كالجمع في النكاح بين الاختين

(٤) مصر ١ : ١٩٢

(٥) انظر فهرس الخديوية ٤ : ٢٦٩

(٦) ذهبي ١٣٥

(٧) ذ ٣٠٤

طالبه ^(١) بالسند . فقال له ان كنت تريد العلم فخذني ولا تعُدني وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري . قال القفطي فهذا يدلُّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وأنها في عصره لا نضج منها في عصر ابن السكيت

وأما مدّة إقامته بالمعرة فلم أر من عيّن أو أظهرها ^(٢) بين ٤٤٠ — ٤٤٧ وذلك أن أبا زكريا ولد سنة ٤٢١ هـ ^(٣) . وقالوا ^(٤) ان الضوء آخر تأليف أبي العلاء . وهذا الكتاب لم يكن وُضع إلا بعد مفارقتها له كما ذكر ذلك أبو زكريا بنفسه في شرح السقط له

(٢) أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الاسدي المالكي ^(٥) رئيس أبهر . روى السلفي ^(٦) جملة من الأشعار والأخبار عنه عن أبي العلاء قال : وكان من أفراد الزمان ثقة مالكيًا . ويظهر من حكايته في وفاته أن لعله كان حاضراً إذ ذاك ^(٧) بالمعرة . وهو راوى السقط وكثير من اللزوم وشيء من غيرهما عنه . قال السمعاني : وسماه أبا المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم البهريّ هو أحد

(١) ولهذا نراه روى الاصلاح عن الرئيس هلال الصابي وانظر فهرست خزائن ليدن ٣٣

(٢) وروى الذهبي في الحفاظ (٣ : ٣١٥) خبراً في قراءة التبريزي على الخطيب أبي

بكر البغدادي بجامع دمشق وقال ابن عساكر (١ : ٣٩٨) وابن السبكي في طبقاته (١٢ : ٣) ان الخطيب قدم دمشق سنة ٤٤٥ هـ حاجاً فسمع خلقاً كثيراً وتوجه الى الحج ثم قدمها سنة ٤٥١ هـ فمكثها وحدث بعامة مصنفاته . وهذا يجذب الى تصديق المدة التي عيهاها ثم خرج منها الى صور سنة ٤٥٧ هـ ثم الى العراق سنة ٤٦٢ هـ انظر الحفاظ ٣ : ٣١٨

(٣) ومات سنة ٥٠٢ ببغداد وهو يدرس الاثبات بالنظامية وخازن دار الكتب بها

(٤) تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٦ عن دفع المعرة عن شيخ المعرة وكشف الظنون

رسم سقط الزند عن شرح التبريزي

(٥) ذهبي ١٣١ و ١٣٣ و ١٣٧ وترجم له البخارزي في الدمية

(٦) انظر ذهبي -

(٧) ولكن لا شك في قراءته عليه بها

الأدباء الفضلاء . تلمذ لأبي العلاء المعري وقرأ عليه الادب روى لنا عنه أبو عبد الله الخلال الأديب بأصبهان (وآخر سماه ^(١)) والأبهري لأهل خراسان ولما يصادفها كأبي الفضل البغدادي وابن العربي للمغاربة . فانهم يروون السقط وغيره بطريقه . قال صدر الأفاضل الخوارزمي أخبرنا بالسقط الاستاذ البارع ناصر [الدين أبو المظفر] ابن أبي المسكرم المعروف بالمطرزي قراءة عليه قال أخبرنا الوالد عبد السيد بن علي المطرزي قراءة عليه قال أخبرنا الشيخ الرئيس أبو المسكرم الابهرى قراءة عليه قال أخبرنا الفاضل أبو العلاء

(٣) أبو الفضل محمد الدرامي الوزير البغدادي داعية القائم على مامر . انفصل من بغداد نحو سنة ٤٣٥ هـ ووفد على القيروان سنة ٤٣٩ . فالظاهر ^(٢) أنه لقيه بينهما بالمعرة وقرأ عليه شيئاً وأوصله الى المغرب والأندلس . قال أبو بكر ابن الخير الاندلسي في فهرست مرويّاته ^(٣) وحدثني بالسقط أيضاً شيخنا أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام عن الاستاذ أبي محمد ابن السيد البطليوسي عن أبي الفضل البغدادي عن المعري - وروى صاحب النفح ^(٤) أنه اجتمع مع أبي العلاء بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال : لله أنت من ناظم ! وترجم له صاحب النفح والمعلم ^(٥) والتممة .

(٤) أبو الربيع سليمان بن أحمد السَّرْقُسْطِي المتوفى سنة ٤٧٩ هـ عن ٨٠ سنة . قال الذهبي أنبأنا عبد الرحيم العامري عن احمد ابن أبي أنعم أن الحافظ أبا عبد الله ابن محمود أخبره في كتابه أنا أبو القاسم الارجي عن هبة الله بن علي المقرئ أنشدنا أبو الربيع السَّرْقُسْطِي أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه :

(١) لم أستطع قراءة اسمه (٢) انظر النفح ٢ : ١٠٣ مصر (٣) ٤١٢

(٤) مصر ٢ : ١٠٣ ليدن ٧٧ (٥) ٣ : ٢٤١ . وانظر « ابن رشيق » ٣٢ .

أنا صائم طول الحياة وإنما فطري الحمام ويوم ذاك أعيد
الآيات الخمسة من اللزوم

ترجم له الذهبي في الميزان وابن حجر في اللسان (٣ : ٧٥)

(٥) أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد
ابن حزم الاندلسي المرِّي. ترجم له الضبي^(١) قال ويعرف بابن أبي المغيرة
وهو من بيت جلالة وعلم ورياسة وفضل كبير ومات في رجوعه عند وصوله إلى
الاندلس بعد سنة ٤٥٠ هـ. وابن بشكوال^(٢) في الصلة قال : إنه ولد سنة ٤٢١ هـ
ومات بالمرية سنة ٤٥٤ هـ في انصرافه وسنه ٣٣ عاماً وبقيت رحلته نحواً من
تسع سنين وسمع منه الخطيب البغدادي اهـ. والمقرئ^(٣) عن الحميدي في
الجدوة وأثنى عليه قال : وكان من أهل العلم والأدب والكاء والهمة العالية . وهو
تلميذه كما في النسب للسمعاني

(٦) أبو مالك أحمد بن الصنديد العراقي قال ياقوت في الادباء (١ : ١٥٢)

كان من أهل الأدب والشعر . روى شعر المعري عنه وله فيه شرح وله مع
الحصري مناقضات . دخل الاندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والاكابر
(٧) أبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري الأندلسي . لقيه بعد سنة ٤٢٣ هـ

فان في الايات التي رواها عنه السلفي^(٤) بمكة بيتاً وهو :

أتتني من الأيام ستون حجةً وما أمسكت كفائي ثني عنان

ترجم له ابن الأبار في التكملة^(٥) قال : جاور بمكة وروى عن وأبي

العلاء المعري - أنشدنا أبو عمرو بن سفيان التميمي بتونس أنشدنا علي بن المفضل

المقدسي أنشدنا السلفي أنشدنا أبو تمام غالب بن عيسى الفقيه أنشدنا أبو العلاء :

أبا العلاء ابن سليمان .. البيتين أنظرهما في الفائق

(١) ١٢٤١ (٢) ترجمة سابقة عدد ٩٥٦ (٣) النفخ مصر ٢ : ١٢

(٤) ذهبي ١٣٤ . وانظر لتلميذه ١٣٧ منه واللسان ٢٠٦ : (٥) رقم ١٩٥٧

(٨) أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني . روى عنه السقط
أخو ابن السيد البطليوسي أبو الحسن علي بن محمد كما قال ابن الخير^(١) وترجم
له الضبي^(٢) قال وتوفي بطلية طلة سنة ٤٧٢ هـ وابن بشكوال^(٣) في الصلاة
وذكر أنه كان بالبصرة سنة ٤٢٨ هـ وصاحب البغية^(٤)

(٩) أبو الطاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري قرأ عليه
بالمعرة وروينا من طريقه حديثاً في باب طلبه للعلم وورد ذكره عند السمعاني
والذهبي وابن حجر^(٥) وترجم له القفطي في إنباء الرواة^(٦) ورأيت نسخه
بخطه قال : هو محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الجبار بن مفلح
الأنباري أبو طاهر ابن أبي الحسين ابن أبي الصقر ثقة فاضل خير دين رحل
إلى مصر والشام والحجاز وسمع الكثير وحصل الكتب ورجع إلى الأنبار
وحدث وانتشرت عنه الرواية (ثم أورد كثيراً من شعره مسنداً ثم روى عن)
أبي الفتح ابن الخلال إمام جامع الأنبار أنه توفي سنة ٤٧٦ هـ . اهـ

(١٠) القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد أخى أبي العلاء .
ذكر ابن الأبار في التكملة^(٧) في ترجمة صاحبه أبي محمد عبد الله الأنصاري أنه
كان عنده شعر أبي العلاء مسموعاً على أبي إسحق ابن أبي اليسر عن والده عن

(١) ٤١٢

(٢) رقم ١١٢٨

(٣) رقم ٨٣٨

(٤) ٢٩٦

(٥) ١١٠ - ١٣٧ - ٢٠٦:١

(٦) ورق ١٨

(٧) رقم ١٤٥٨

جده عن أبي العلاء . وقال ياقوت ^(١) أنه أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه مصنفاته وأشعاره .

(١١) أبو عبد الله ابن جابر القرطبي قال ابن الأبار ^(٢) يروي عن أبي العلاء المعري شعره . أخذ عنه أبو عبد الله ابن خطاب التُّطَيْلِيّ من شيوخ أبي عامر ابن رزق . ذكر ذلك أبو بكر يحيى ابن أبي عامر في برّنامه اه

(١٢) الخليل بن عبد الجبار القزويني ^(٣) هو تلميذه ونقل عنه السلفي عن أبي العلاء حديثاً أثبتناه في باب الطلب . قال السلفي وكان ثقة

(١٣) أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهديّ المعري . له تاريخ نقل عنه ياقوت ^(٤) عدة فوائد ومنها ^(٥) قال حدثني الشيخ أبو العلاء ان أبا علي مضى إلى العراق وصار له جاه عظيم عند الملك فَنَّا خُسْرُو الخ . ومنها ^(٦) في البحري ووالده . ومنها ^(٧) في ترجمة أبي رياش والزجاج وكذا نقل عنه ابن الوردي أيضاً شيئاً كثيراً

(١٤) شيخ الاسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهـكـاري . هو ناقل خبره مع وزير محمود وسيأتي . وقد تصحف ^(٨) على سبط ابن الجوزي اسمه

(١) ادبا ١ : ١٦٤ ونسخته مصحفة فصحتها هكذا فنهم القاضي ابو المجد محمد بن

عبدالله بن أبي المجد محمد بن عبد الله (أبي أبي العلاء) سطر ١٣
(٢) ١٤٦٨

(٣) ذهبي ١٣٢ و ١٣٧ واللسان ١ : ٢٠٦

(٤) ادبا ١ : ٧٤ و ٢١٥

(٥) ادبا ٣ : ١٩

(٦) بلدان رسم حردفنة

(٧) ادبا ١ : ٤٧٦٤

(٨) نكت ١٠٧

حيث دعاه نقلا عن الغزالي^(١) يوسف بن علي الهركري . ولم أر أحداً سماه الهركري ولا وجدت كلمة هركار فيما بيدي من المعاجم . والهركرية التي ينسب إليها ناحية فوق الموصل في جزيرة ابن عمر يسكنها الهركرية وهم صنف من الأكراد ولا أستبعد أن تكون الناحية تدعى الهركار أيضاً . إلا أنني لم أجدها بهذا اللفظ .
وأما يوسف فإنه جد شيخ الاسلام . وليس بهدع^(٢) أن يكون له ولد يدعى يوسف كجده ولكن صحبته لابي العلاء وروايته عنه بلا واسطة كأبيه مما لم يثبت . والعجب كل العجب أن صاحب سر العالمين يدعو يوسف شيخ الاسلام وقال في موضع آخر^(٣) أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الاسلام ثم أورد ستة أبيات من اللزوم أولها :

أنا صائم طول الحياة وإيما فطري الحماة وعند ذاك أعيد

وهذا ظاهره أنه يدعو علياً شيخ الاسلام على الصواب ولكن لقاء الغزالي وكان ولده سنة ٤٥٠ هـ للمعري من دونه خراط القتاد . وهذا الكتاب تلفيق أعجمي لا يحسن العربية^(٤) فشحنه بالاغلوطين^(٥)

وسئل شيخ الاسلام لما انفصل عنه عما رآه منه وعن عقيدته فقال : هو رجل

(١) وهذا الخبر موجود في سر العالمين المنحول اليه طبعة بومباي ص ٣٨ ولفظه وحده في يوسف بن علي بارض الهركار . . . قال يوسف شيخ الاسلام دخلت المعرفة على زمان المعري النخ (٢) قال ابن خلكان وخرج من أولاد الشيخ وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك النخ

(٣) ص ٨٥

(٤) فانه قال بعد نقل الابيات « هذا الشعر في بحر لزوم مالا يلزم »

(٥) قال ص ١٠٠ وأنشد الشيخ أبو العلاء المعري لنفسه رحمه الله تعالى :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين أحياناً

ان العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

يصر عن البيت

فأنت ترى أن هذه ظلمات بعضها فوق بعض كيف أنشده المعري ولم يولد بعد ؟ والابيات ليست للمعري بل الاول لبشار الاحمى (الوفيات ١ : ٨٩) والاخران لجريير انظر طبقات ابن قتيبة ايدن ٩

من المسلمين وكان لقيه بالمعرة وسمع منه . ترجم له في الأنساب والوفيات
واللسان ومرآة الجنان (١)

(١٥) أبو الحسن علي بن همام (٢) تلميذه رثاه بأبيات ميمية تأتي في محلها .

(١٦) أحمد بن حماد المعريّ هو أبو سعد راوي ملقى السبيل عنه (٣) .

(١٧) أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي هاشم مستمليه (٤) وفي العدل
ابن عبيد الله . متولي أوقاف الجامع بالمعرة .

(١٨) ابنه أبو الفتح محمد عمل له كتابين في النحو سيردان . وذكرهما

ابن العديم .

(١٩) أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير . قال ياقوت (٥) لعله

لقى أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً . وولى القضاء بحلب وأعمالها في سنة ٤٧٣ هـ
وهو من أجداد السكّال بن العديم الحلبي فإنه عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد
ابن أبي الفضل المذكور .

(٢٠) القاضي أبو الفتح بن أحمد السروجي أخو القاضي أبي المذهب

عبد المنعم . روى (٦) في حكايته قال : دخلت على أبي العلاء بالمعرة ذات يوم
في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه الخ .

(٢١) الشيخ أبو محمد الحمداني روى عنه البخارزي (٧) في دُميته عدّة من

(١) ٥٩١ - ٣٤٦ : ١ - ١٩٥ : ٤ - ١٤٢ : ٣

(٢) ذهبى ١٣٧ - الوفيات ١ : ٣٤ .

(٣) ٢١٧ - والذي في فهرس خزانة اسكوريال لدرنبورغ تحت العدد ٤٦٧ أحمد بن

سكّال المعريّ والنسخة واحدة لاشك .

(٤) أدبا ١ : ١٨٠ . ذهبى ١٣٥ - العدل .

(٥) أدبا ٦ : ٢٧

(٦) ذهبى ١٣٤ ومعه ١ : ٥٠ .

(٧) وفي نسخة الدمية الخطية بكتبة ورق ٦٥٥ الحمداني (٨)

قصائده في السقط .

- (٢٢) رجل واسطي لم يسمه وذكر في الغفران ^(١) أنه كان يتعرض لعلم العروض وهو الذي ذكر لصاحبنا أنه رأى ابن القارح بنصيبين
- (٢٣) ومن رواة شعره شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني . قال البيهقي انه إمام المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً . قال ياقوت دخل معرة النعمان فلقى أبا العلاء . وقال ابن عساكر انه قدم دمشق حاجاً سنة ٤٣٢ هـ الخ وتوفي سنة ٤٤٩ هـ كصاحبنا . وروى عنه البخارزي كلمتين له إحداهما من اللزوم والأخرى على الضاد ذكرتها في الفوائد . ولفظه رجعت إلى تعلقتني وعثرت مما أنشدنيه الاستاذ شيخ الإسلام الصابوني له قال أنشدني لنفسه بمعرة النعمان . وترجم له السمعاني وابن عساكر وياقوت وابن السبكي ^(٢) .
- (٢٤) ومنهم أبو الوليد الحسن بن محمد البلخي الدرّ بندي الحافظ الجوال روى ^(٣) أبو سعد [السمعاني] بسنده عنه قال أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره عند وداعي إياه (س) ^(٤) :

كم بلدةً فارقتُها ومعاشر يذرون من أسف على دموعا
وإذا أضاءتني الخطوبُ فلن أرى لعهود إخوان الصفاء مضيعا
خاللتُ توديع الأصادق للنوى فمتى أودعُ خليي التوديعا
قال ابن عساكر ^(٥) وياقوت ^(٦) وترجما له رحل في طلب الحديث وبالغ في جمعه وأكثر غاية الاكثار اهـ . وهو شيخ الخطيب أبي بكر وتوفي سنة ٤٥٦ هـ . قال

(١) ١٨٤ .

(٢) ٣٤٦ - ٣ - ٢٧ - ٢ : ٣٤٨ - ٣ : ١١٧ ولاء .

(٣) أدبا ١ : ١٧٥ .

(٤) ١٣٦ : ٢ وفي العنوان « قال على لسان البلخي »

(٥) ٢٤٧ : ٤ .

(٦) بلدان « دربند » ثم وجدت في الحفاظ ٣ : ٣٢٩ ترجمة له أيضا .

ابن عساكر ودخل دمشق . وانظر في أبواب بغداد ذكر الواجكا .

(٢٥) أبو الحسن الدُلْفِيّ المَصْيِيّ النحوي وهو محمد ^(١) بن عبد الله بن حمدان ومات بمصر سنة ٤٦٠ هـ وكان زاره في عنفوان شبابه بالمعرة وانظر مبحث طلب العلم .

(٢٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الاصفهاني روى عنه الضوء وسائر كتبه . ويأتي في فصل دينه

(٢٧) القاضي أبو سعد روى عن أبي العلاء عدة فوائد على حاشية نسخة من الجهرة لابن دُرَيْد ^(٢)

(٢٨) أبو عمرو السفاقي . روى ^(٣) عن أبي العلاء خطبة الفصيح وهو عثمان بن أبي بكر بن حمود الصدفي . رحل إلى المشرق بعيد سنة ٤٢٠ هـ . وسنه إذ ذاك نحو ثلاثين فسمع من أبي نعيم الحافظ وشيخ الإسلام الصابوني والقاضي أبي الطيب الطبري وغيرهم . ثم رجع إلى الأندلس سنة ٤٣٦ هـ فقرأ عليه أهلها . ولقي ابن رشيقي وابن شرف بالقيروان ووقع بينه وبينها مشاعرة ظريفة . ترجم له ابن بشكوال والضبي .

(٢٩) ابن أخيه القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي المجد محمد . وكان برّاً بعمه حديباً عليه وهو الذي مرّ به مراراً . ذكر في عداد المستملين ويأتي في فصل الموت . ولأبي العلاء فيه كلمتان أنظرهما في الميم من الفائت . وهذا كله عن العدل والتحرّي .

(١) البديعي ١ : ٤٢٤ والبغية ٥٢٥ .

(٢) انظر نسخته الخطية بمخزاة حيدر آباد ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١ . وغيرها ولفظه قال لي الشيخ أبو العلاء وأراه الذي رثي القاضي وادماً برائية طويلة ذكرها القفطي في انباء الرواة وسماه محمد بن أحمد .

(٣) فهرست ابن الخير ٣٤٣ وهو يرويه عن أبي محمد ابن هتاب عن السفاقي عنه والصلة رقم ٨٧٦ والبغية للضي رقم ١١٨٠

(٣٠) ابن أخيه وأخو السابق أبو الحسن علي بن أبي المجد محمد سمع علي أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه .

(٣١) مستمليه إبراهيم بن علي^(١) وقد مرّ في المستملين قال ابن العديم قرأ عليه الخ .

(٣٢) أبو النصر محمد بن محمد بن أحمد بن همهاه الرامشي النيسابوري النحوي (٤٠٤ - ٤٨٩ هـ) قال ياقوت^(١) وقد ترجم له انه أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري

وممن أظنه منهم :

(٣٣) أبو الرضا عبد الوهاب بن الفرّج بن النوّث المعري المتوفى سنة ٤٨٠ هـ وفي خريدة العمد أبو الرضا عبد الواحد وهو الصواب . وعبد الوهاب عن النسك^(٢) وأظنه تصحيفاً . رثاه على الرء كما سيأتي .

(٣٤) الأمير أبو الفتح ابن أبي حصينة المعريّ شاعر أسد الدولة عطية ابن صالح بن مرداس وولاه المعرة توفي في حدود سنة ٥٠٠ هـ . وذكر ابن بطلان^(٣) المتطبّب في رسالته إلى هلال بن المحسن نحو سنة ٤٤٠ هـ وأنه شاعر حلب إذ ذاك . وله مرثية في أبي العلاء تأتي . وترجم له السكتي^(٤) .

(٣٥) أبو العباس أحمد بن خلف الممتع . قال ابن القارح^(٥) إني وجدت آثار تفضله (أبي العلاء) عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وقد ملأ السماء دعاء والأرض ثناء اهـ . ويظهر من فحوى كلامه أن أبا العباس من أهل المعرة . وفي الغفران^(٦) وسيدي الشيخ أبو العباس الممتع في السنّ ولد في المودة أخ الخ

(١) الادباء (٧ : ١٠٠) (٢) ١١٠ . ثم اني تحققت تصحيفه بخبر رواه الازدي في بدائع البدائيه ٢ : ٤٤ في ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الخفاجي
(٣) بلدان « حلب » والحكماء للقفطي ترجمة ابن بطلان . (٤) ١ : ١٢٢ . وانظر خبر مساجلته ابن سنان الاجازة بحضرة سديد الملك في بدائع البدائيه ١ : ٢١٣ وخبر توليته وتأميره من المستنصر راجعه في تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٦٥ . (٥) ٢٠٤ (٦) ١٧١

زواره بالمعرة

ممن لم يرووا شعره فيما بلغنا

(١) القاضي عبد الوهاب المالكي الققيه الشاعر . لما نبأ به المقام ببغداد على مامرّ في فصل احتفال البغادة وفارقها الى مصر ^(١) اجتاز في طريقه بالمعرة فأضافه أبو العلاء وبعث اليه ثلاثين درهما مع قطعة بليغة في الاعتذار ^(٢) تدلّ على أنه لم يتمكن من اليسار . وذكر وروده في قطعة ^(٣) له إلى التنوخي أيضاً وأن القاضي يُثني عليه . ثم إن القاضي توفي بمصر لأول ما وصلها . فذهب على بعض المستعربة ^(٤) أن سنة اجتيازه بالمعرة ٤٢٠ هـ ولكن ذكر أشعار تنوخ في قطعه إلى التنوخي وذكر خمسين من عمره في قطعه إلى القاضي مما يقرّب المدة فله أقام بالشام بعد مفارقتها ببغداد أعواماً والله أعلم . ومر في فصل الحنين إلى بغداد ^(٥)

(٢) الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن نمير المتوفى سنة ٤٤٨ هـ لقيه بالمعرة بنية الحج كما مرّ في فصل الرحلة إلى بغداد ^(٦)

(٣) أبو القاسم الوزير المغربي كان أقام بها في صباه كما هو في ر ^(٧) ١١ وقد مرّ

(٤) أبو الحسن علي (أو أبو الحسين محمد) بن عبد الواحد البغدادي المعروف

(١) الوفيات ١ : ٣٠٤

(٢) س ٢ : ١٣٨

(٣) س ٢ : ١٤٠

(٤) د . س مرجليوث

(٥) وللقاضي شعر من اللزوم أورده ابن الشيخ ١ : ٢٧٤

(٦) انظر ترجمته في الشافعية ٣ : ٣٣

(٧) ص ٧

بصرىع الدلاء، قتيل الغواني ذي الرقاعتين وكان ماجناً كان طلب من أبى العلاء حين اجتاز به في طريقه الى مصر حيث توفي شراً بما يليق به فسير إليه قليل نفقة أو نُزل على ما في الضرام واعتذر بقطعة لامية (٢). وسماه صريع البين واحتمل لتزيين اسمه وجهاً جيداً حيث زعم أنه فعيل بمعنى فاعل على المبالغة قال: دُعيت بصارع فتداركته مبالغة فرُدَّ الى فعيل

وتوفي بمصر سنة ٤١٢ هـ وهي سنة قدومه بها. وله ترجمة في الوفيات (٣) والفوات (٤) والتممة

(٥) رئيس المنجمين كان أقام بها كما قال في الغفران (٤)

(٦) الوزير ابو نصر المنازي ومرو في ابواب بغداد. نقل الذهبي (٥) وابن خلكان (٦) عن غرس النعمة قال ثنى الوزير أبو نصر بن جهير ثنا أبو نصر المنازي قال اجتمعت بأبى العلاء فقلت له ما هذا الذي يُروى عنك ويحكى. قال حسدوني وكذبوا على. فقلتُ على ماذا حسدوك؟ فقد تركت لهم الدنيا والآخرة. فقال والآخرة!!! وجعل يكررها ويتألم لذلك وأطرق فلم يكلمه الى أن قام. وهذا صريح في زيارته بعد الرجوع. ومرّ قبل زيارته إياه قبل الرحلة ويغداد.

(١) س ٢ : ٣٤ وابن الوردي ١ : ٣٣٤

(٢) ٣٥٩ : ١ وسياق الخبر هنا منه

(٣) ٢٣٧ : ٢ ولكنه سماه محمداً وسميناه علياً كما في الوفيات وحسن المحاضرة . هذا ثم انى رأيت الثعالي ترجم له في التتمة وسماه أبا الحسين محمد بن عبد الواحد القصار . قال وهو بصري المولد والمنشأ الا أنه استوطن بغداد ولما رأى سخف الزمان وأهله وميلهم من الكلام الى هزله أخذ في طريق السخف ونزع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء الخ.

(٤) ١٥٧

(٥) ١٣٢

(٦) ١ : ٤٤ - وصاحب الفيت ٢ : ٣٥ - وقد مرّ الخضر الموصل في هذه الحكاية

الى أبى يوسف القزويني وهذا غلط . انه قاضح . والرجل فيما علمت غير مثبت وقد نعى عليه البغدادي في الخزائن

(٧) أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي داعيتهم ٣٩٣-٤٨٨ هـ كان مشغولاً بجمع الكتب ذوات الخطوط المنسوبة . واجتمع لديه منها كمية وافرة . وأهدى منها ألقاً الى نظام الملك . والرجل صاحب حكايتين في الغضب منه والوقعة في دينه . وهو كما يظهر من فحوى كلامه معن مفن . وعريض معننت معن . حدث (١) أبو الكرم خميس الحوزي الواسطي حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني قال قال لي ملحد المعرة : ماسمعت في أمر الحسين بن علي رضي الله عنه شيئاً يجب أن يحفظ . فقلت له قد قال (٢) سوادي من أهل بلادنا آياتاً لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر (ثم أتى بخمسة أبيات على العين) قال (أبو الكرم) ولم يسم لنا قائلها . وقال (٣) قال لي المعري لم أهب أحد قط . فقلت له صدقت إلا الأنبياء . فتغير وجهه زاد الخضر الموصلي في الأسعاف (وقال ما أخاف من أحد سواك) - أقول والله در من قال :

فعين الرضى عن كل عيب كيلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا
وترجم له ابن السبكي وابن حجر والياضي (٤) وقال هذا ان له تفسيراً كبيراً في أزيد من ثلثمائة مجلد .

(٨) أبو الحسن المختار بن بطلان المتطبب البغدادي . قال القفطي (٥) كان يألف أبا العلاء وكان بالمعرة إذ ذاك (يريد قيل موته) وله حديث في موته يأتي . ترجم (٦) له ابن أبي أصيبعة والقفطي

(١) أدبا : ١ : ١٧٢

(٢) كان القزويني ينتحل مذهب الزيدية في الفروع

(٣) أدبا : ١ : ١٧١

(٤) ٣ : ٢٣٠ - . النسان ٣ : ١٤٧ - ٤ : ١١

(٥) ذ ٢٢٤

(٦) انظر رسالته في رحلته الى الشام في البلدان رسم حلب وغيرها وعنه القفطي في

(٩) أبو الحسن علي بن القارح وسياتي . كان أقام بالمعرة قبل كما هو مصرح به في الغفران^(١) . ثم إنه أظهر الحنين إلى لقائه في رسالته^(٢) بقوله والله لولا ضعفني وعجزني عن السفر لخرجت إليه متشرفاً بمجالسته ومحاضرتة الخ . ولسنا ندري هل تسنى له ما أراد . أم حالت دونه أم اللهيم أخت الناد

(١٠) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان كما هو مصرح في ر^(٣) ٢٠١١
(١١) أبو الخطاب الجبلي الشاعر قال ابن الأثير^(٤) مضى إلى الشام ولقي المعري وعاد ضريراً . ثم أورد له بيتين . وقد مر في باب أبي حمزة . وكان زاره^(٥) قبل رحلته إلى بغداد ومدح المعري فأجابه بياضة من السقط^(٦) . توفي سنة ٤٣٩ هـ^(٧) .

ولع الناس به وبذخيره ونظامه

قد افتن الناس في احتذاء مثاله واتباع مقالته ، ومر بك جملة من الباب صالحة . فواحد يتبعه في اللزوم وهو وإن سبق عهده إلا أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وهو أول من نبه إليه وأنهمض المهم . وآخر يقتفيه ويقرؤ قريحته في إنشاء الاسجاع في الزهد والنسك كالزنجشري في الاطواق والكلم النوايع والمقامات وعبدالمؤمن

(١) ١٨٤ و ١٩٢

(٢) ٢١١

(٣) ص ٥٥

(٤) ٢٢٦ : ٩ . وترجم له الثمالي في التتمة وسماه محمد بن علي

(٥) كذا في اختيار مختصر تاريخ الخطيب لابن جزلة (خط) ولفظه : سافر في هدائنه (من العراق) إلى الشام وأجابه أبو العلاء عن شعر كتبه إليه مدحه به عند وروده معرة النعمان الخ

(٦) ١ : ١٥٣

(٧) ابن الوردي ١ : ٣٥٠

الاصفهانى في الاطباق . وآخر يضمن آياته شغفاً بها وإعجاباً كالصفدى (١)
وكبلديه الشيخ أبى حفص زين الدين عمر بن الوردي فانه تلاعب بشعره تلاعباً
وافقتن افتتاناً فضمن صدوراً رائتته (٢) التى أوّلها :

« ياساهر البرق أيقظ راقداً السمر »

وبعض أعجازها أو الأبيات بتغيير يسير وتقلها في مدحه ^{صلواته} عليه قال جامع
ديوانه ولقد فانت بشرف ممدوحها أصلها وكان عليه السلام أحق بها وأهلها .
وكالشرف ابن غنّين والسراج الوراق (٣) . وآخر ينسب إليه - إذ يعهده
ملحداً ظريفاً - كل ما يجده من باب الإلحاد مع أن الرجل برآء منه كابن
السبكي (٤) وأبى الحسين الجزّار (٥)

ولكن العجب كل العجب فيما روى (٦) ابن خلدكان في تاريخه قال حدثني
من أثق به أن شخصاً قال له رأيت في تأليف أبى (?) العلاء المعري ما صورته
« أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالي لكي
يحدث لي أنسك يازين الأخلاء فما مثلك من غير عهداً أو غفل » وسأله من

(١) غيث ١ : ٧٥ تضمينان

(٢) وهي طويلة انظر ديوانه ٢٠١ - ٢٠٤ والخزانة للحموي ٣٨٢ - ٣٨٤
والديوان أيضاً ٢٨٠ - ووهم جامعه فعزا بعض تضمينات له لأبيات المتنبي الى أبيات المعري
انظر ٢٣١ و ٢٧٥ - وانظر تضمينا آخر له في تاريخه ٢ : ١٨٨
(٣) المامد ٢ : ٩٨

(٤) حيث نقل في الشافعية ٣ : ٩٧ بيتى ابن الرارندي وانظرهما في القاف من
الفائت زاعما أنهما للمعري . ثم قال فقبّحه الله ما أجرأه على الله . ثم ذكر نقيضهما
(٥) قال :

وفي علم العروض دخلت جهلا وعمت بخفتى في كل بحر
فأذكرني به التفعيل جهلا (؟ بيتاً) تضمن نصفه الشيخ المعري
مفاعلات مفاعلات فعولن حديث خرافة يا أم عمرو
مع أن المصراع حديث خرافة الخ لبعض مشركة قریش كما هو في كتب السيرة . المغرب
لابن سعيد ٤ : ١٣٤

(٦) الثمرات بها مش المستطرف ١ : ٧٨

أيّ الأبحر وهل هو بيت واحد أو أكثر - فإن كان أكثر فهل أبياته على روي واحد أو مختلفة الروي - قال ففكر فيه ثم أجابه بجواب حسن قال ابن خلدون كان فقلت للقائل اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله . فأجاب بعد حسن النظر بما أجاب به عنه الرجل - وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات في روي اللام وهي على صورة يسوع استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بد من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي :

أصلحك الله وأب قساك لقد كان من
واجب أن تأتيننا اليوم إلى منزلنا
خالي لكي يحدث لي إذ سك يازين الأخ
لاء فما مثلك من غير عهد أو غفـل

واختلس الحريري في مقاماته قول أبي العلاء في بعض رسائله « إحاطة الهالة بالقمير والأكم بالثمر » قال ابن الخشاب ^(١) هو بعينه قول أبي العلاء المعري في بعض رسائل حفظها ابن الحريري بعينها -

ملوك حلب لعهد وأمرائها

لم أعر على تاريخ مختص بحلب فالتقطت هذا الباب من تاريخ ابن القلانسي وابن الأثير وابن خلدون ومن صبح الأعشى وغيرها . وظني أن هؤلاء لم يمنحوا المعرفة من التفاتهم ما يذكر . على أنهم أغفلوا عدة من ولادة حلب أيضاً - كما سيأتي -

(١) انتقاده على المقامات طبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ . ص ٨

كانت حلب في نيابة ﴿بذر﴾ الأخشيدي والي دمشق - حتى انتزعها منه ﴿سيف الدولة بن حمدان﴾ سنة ٣٣٣ هـ ^(١) وبقي بها حتى توفي سنة ٣٥٦ هـ ثم أخذ فرغويه ^(٢) غلامه البيعة لابنه ﴿سعد الدولة أبي المعالي شريف﴾ ثم تغلب على أمره سنة ٣٥٨ هـ وأخرجه من حلب إلى حماة - ثم وقع الاتفاق بينه وبين فرغويه على أن يخطب له بحلب ويخطبان جميعاً للمعزّ العلوي - ونزل ^(٣) رقتاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقى مولاه أبا المعالي ونزل حمص ^(٤) وشرع في عمارتها ولمّ شعبها وكانت الروم أفستها فصار أمر أبي المعالي يقوى وشوكته تشتدّ. وكان ﴿فرغويه﴾ قد استناب غلامه ﴿بكجور﴾ في حلب. فلما قوي أمره قبض على مولاه وحبسّه في قلعة حلب وملك البلد وأقام تقدير ستّ سنين. وأظن أن في أيام بكجور كانت ولادة أبي العلاء. وكتب أبا المعالي من حلب رجال فرغويه وأطمعوه في تملك البلدة فنهض صوبها ونزل على معرّة النعمان وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير فقتله وسار عنها فقتل ﴿أبو المعالي﴾ حلب سنة ٣٦٦ هـ فأقام عليها تقدير أربعة أشهر. ثم راسله بكجور. فطلب منه الأمان وأن يوليه حمص. فأجابته إلى ذلك ووفى. فسار إلى حمص وعمرها ووفر غلاتها وكان يكتب العزيز صاحب مصر في أن يوليه على دمشق. ولما كانت سنة ٣٧٢ هـ وقعت الوحشة بينه وبين أبي المعالي. فكتبه أبو المعالي بأن يخرج من بلده. فراسل العزيز ثانية فولاه دمشق سنة ٣٧٣ هـ. وكان كاتبه في تملك حلب وأطمعه في ذلك. ثم كان من إخراجّه من دمشق

(١) وفي الصبح ٤ : ١٦٨ سنة ٣٠٣ هـ وهو تصحيف

(٢) كذا هو في أكثر الكتب وفي فلا فرغويه وفي خ قرعوية وكذا عند أبي الفداء

(٣) أبو الفداء ٢ : ١٨٨ مارقتاش وحصن برذية

(٤) وكان لابن المعالي . خ ٤ : ٢٤٦

وفزاره إلى الرقة سنة ٣٧٨ هـ وسؤاله أبا المعالي أن يرجع إليه كما كان وخيبته
 ثم كتابته إلى العزيز واطمأنه إياه في حلب بأشارة وزيره المغربي على ما مر
 حكايته ما كان . وكان لؤلؤ الكبير غلام سيف الدولة يدبر كل هذه الأمور
 لسعد الدولة . ثم إن بكجور أخلفه المخايل وخانه كل من كان وعده
 بالنصر والانحياز إليه فأخذ سعد الدولة بعد أمور طويلة وقتله . ثم إن خليفة
 مصر يومئذ (العزيز) قلّد حلب ﴿ أبا علي ابن مروان ﴾ سنة ٣٨٠ هـ ولكن
 لم يدخلها وبقيت بيد سعد الدولة حتى توفي بالفالج سنة ٣٩٣ هـ . وفي أيامه
 بلغ صاحبنا من الشباب نهايته وبرع نابغاً حريصاً على العلم وبلغ عند موته
 ٣٠ عاماً . وعهد سعد الدولة إلى ولده ﴿ أبي الفضائل ﴾^(١) سعيد الدولة ﴿ ووصى
 به إلى لؤلؤ . ثم كان من إغراء الوزير المغربي العزيز بحلب وجره عليها
 عساكر مصرية كثيفة واستنجد أبي الفضائل بالروم ما مر ذكره في
 أخبار الوزير المغربي وهو الذي مدحه أبو العلاء بعدة قصائد من س منها اللامية
 وهي أول قصيدة فيه . ثم إنه غلبه على أمره ﴿ أبو نصر ابن لؤلؤ ﴾ وخطب
 للحاكم وقال ابن خكان^(٢) للظاهر بن الحاكم ولقبه مرتضى الدولة - ثم فسد
 ما بينهما فطمع فيه صالح بن مرداس الكلابي صاحب الرحبة ومقيم دعوة
 العبيدين بها فدخل مع بني كلاب حلب سنة ٤٠٢ هـ بعد أن رجع أبو العلاء من
 بغداد فأغلق ابن لؤلؤ عليهم الابواب غدرا وقتل كثيراً منهم وحبس آخرين
 ومنهم صالح . ثم إنه أعمل الحيلة في الهرب ونجا بنفسه وحشد الأعراب وحاصر
 حلب ٣٢ يوماً فخرج إليه ابن لؤلؤ وقتلهم فهزمهم صالح وأسر ابن لؤلؤ . ثم
 إنه أطلقه بأموال جزيلة بذهاله . ثم إن ﴿ فتحاً ﴾ غلامه قوي أمره وراسل

(١) وفي الصبح ٤ : ١٦٨ أبو الفضل وهو تصحيف -

(٢) ١ : ٢٢٨ -

الحاكم صاحب مصر فولاًه صيدا ويبروت ونزل له عن حلب - وخرج أبو نصر
بأنطاكية إلى الروم وصار كالفارظ العنزي لم يوقف له على أثر . وتسلم حلب
نواب الحاكم حتى انتهت إلى نائب من نوابه يدعى «عزيز الدولة» فاتكا
أبا شجاع وكان روميا كما قال ياقوت وابن العديم^(١) أرمنيا وقال ابن الأثير إنه
عزيز الملك من الحمدانية ولعله وهم منه تبعه فيه ابن خلدون وأبو الفداء والقفقشندي .
وأما لقبه عزيز الدولة فقد ورد هكذا في رسالتين ٢٤١ و ٣٩١ لصاحبنا وفي
تاريخ ابن القلانسي مراراً^(٢) وفي معجم الأدباء^(٣) وفي التتمة^(٤) وهؤلاء
ليسوا مظنة للوهم - وقد حاول بعض شبّان العصر^(٥) في أمره حيرة الضب
فجمع بينه وبين النون . وعزيز الدولة هو الذي صنف له صاحبنا كتاب الصاهل
والشاحج والقائف ثم شرحهما وهو الذي أستدنى صاحبنا إلى حضرته أبو نصر
صدقة بن يوسف الفلاحى - فضم صاحبنا نفسه واعتذر بالضعف والعجز في ر
٢٤١ إلى الفلاحى فاقتنع العزيز على أبى الخير المفضل بن سعيد بن عمرو المعري
الشاعر الملقب بالعزى لاختصاصه بعزى الدولة أبى شجاع فاتك . هذا لفظ

(١) عن تاريخه بخزانة باريس ومعناه على - ما نقله مرجليوث ٣١ - أنه كان عبداً
أرمنيا لمنجوتكين ومنجوتكين هو الذي أرسل بعساكر مصرية لحصار حلب سنة ٣٨٤ هـ
وكان العزيز قلد ولاية حلب من الحاكم سنة ٤٠٧ هـ

(٢) ٧١ و ٧٢ و ٧٥

(٣) ١ : ١٨٧

(٤) نسخة باريس الخطية في ترجمة المفضل بن سعيد

(٥) صاحب ذ ٦٧ فانه لم يعرفه في ولاية حلب وزعم أن اللامع العزى موسوم باسمه
وقد غره في أن الوالى هو عزيز الملك قول ابن الاثير ثم رجح أن يكون ثمال بن صالح معز
الدولة هو عزيز الدولة . وهذا كله وهم وتخليط مستشتم فانا قد عرفناه والياً عليها من كتب
مختصة المواضع واللامع العزى منسوب الى عزيز الدولة ابن ثابت ابن ثمال بن صالح راجع
أدبا ١ : ١٨٨ - ولم يسم أحد ثمالا عزيز الدولة بل سموه معزها - وأما شكوى أبى العلاء
من هرمه في نحو خمسين من عمره فليس ببديع منه فانه أخذ فيها بعد الرجوع من بغداد

الثعالي في التتمة وقد ترجم له . ثم إن الفلاحى وصل إلى مصر فأرسل صُحبةَ
الدرّ بريّ سنة ٤١٩ هـ في حماته على صالح بحلب ناظرًا في الأموال ونفقة الرجال .
ثم ارتقت به الحال فوزر للمستنصر الفاطمي بعد وفاة الجرجاني وقُتل بعد
ثلاثة أشهر من تقلد الوزارة سنة ٤٤٠ هـ . والذي يظهر من الرسائل أن الفلاحى
اعله فاروق عزيز الدولة في حياته - وكتب خاله أبو القاسم والشيخ أبو الحسن علي بن
عبد المنعم بن سنان إلى صاحبنا (انظر ١٧١ و ٢٠١) في أمر أبي الحسن محمد بن سعيد
ابن سنان ليشفع له إلى حضرة عزيز الدولة حتى يوليّه بعض الأعمال فكتب^(١)
إلى الفلاحى المذكور . ويظهر أنه شفع ووُلّي ابن سعيد ثم إن صاحبنا ألف
للعزيز الصاهل والشاحج فجاءه كتاب ابن سعيد هذا في أن يختصر أمثال كليله
ودمنه فأجاب به بال ٣٦ أظهر فيه إرضاه باختصار^(٢) كليله ودمنه . ثم نجد ر ١١٠ ٤٠ إليه
وهو منوط إليه الأعمال التي يقوم بها الوزراء وكان عزم على الحج فشبّط أبو العلاء
عزيمته معتلاً باحتياج البلاد في هذه الحالة إليه إذ كان الروميون يهاجمونهم على
بعثة . ولابن سعيد هذا ولد يسمى عبد الله بن محمد شاعر وله كتاب في الصدقة
نقل عنه ياقوت^(٣) فصلاً في معارضة المعري للقرآن وأورد له ابن عساكر^(٤)
شعراً وترجم له الكتبي^(٥) وذكره ابن بطلان^(٦) في رسالته إلى هلال الصابى .
قال ابن القلانسي^(٧) وفي سنة ٤٥٣ هـ ندب للمسير من حلب إلى القسطنطينية رسولا

(١) انظر ر ص ٥٥

(٢) وهو القائف المذكور

(٣) ادبا ١ : ١٧٧

(٤) ٣٧٣ : ٥

(٥) ٢٣٣ : ١

(٦) بلدان « حلب » وكان زارها نحو سنة ٤٤٠ هـ ونقظه : وفيها حدث قد ناهز

العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين النخ - والحكماء للفظي

(٧) ٩١

من معز الدولة ابن صالح . ومات سنة ٤٦٦ هـ مسموماً . ترجم له الباخري في الدمية (١) .

ثم ان عزيز الدولة قتله غلام له سنة ٤١٢ هـ بمواضة مع أخت الحاكم صاحب مصر لأنه كان عصي على الظاهر وكان خلف الحاكم . فوليهـا منهم عبد الله بن علي الكتامي المعروف ﴿ بابن شعبان ﴾ وكان أمر الفاطميين يضعف فاجتمع حسان أمير بني طيء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب صاحب الرحبة وسنان بن عليان وتحالفوا على أن يكون من حلب الى عانة لصالح ومن الرملة إلى مصر لحسان ودمشق لسنان . فسار حسان الى الرملة فخرج منها أنوشتكين واستولى عليها ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة ٤١٤ هـ أيام الظاهر المصري وفيه يقول أبو العلاء . ل :

أرى حلباً حازها صالح وجال سنان على جلقا
وحسان في سلفي طيء يصرف من عزه ألقا
فلما رأيت خيلهم بالغبار ثغماً على جيشهم علقا
رمت جامع الرملة المستضام فأصبح بالدم قد خلقا

أصاب الرملة الحدثان يوماً فخصّ وما يزال أخا اشمال

والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرقاعة يأكلون قفارها
وقصد ﴿ صالح ﴾ حلب وبها ابن شعبان واليا من المصريين . فتملكها
وملك من بعلبك الى عانة وذلك سنة ٤١٤ هـ كما قال ابن (٢) الاثير وأبو الفداء

(١) ١٣ من نسخة حيدر آباد . ويوجد اليوم ديوانه ببعض حواضر الشام

(٢) ٩٥: ٩ - ١٤١: ٢ - ٢٧٢: ٤

وابن خلدون وقال ابن خلدكان^(١) سنة ٤١٧ هـ وهو وهم. وأقام بحلب ست سنين وحاصر المعرة سنة ٤١٧ هـ فكان ما كان مما سنذكره بعد. ثم ان الظاهر ولَّى أمير الجيوش أنو شتكين^(٢) الدزبري^(٣) دمشق ولقبه منتجب الدولة بالجيم^(٤) وأصبحه صدقة الفلاحي المذكور فأوقع بصالح وحسان بالأقحوانة وقتل جموعهما وقتل صالحاً واحتز رأسه وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ. ونجا ولده أبو كامل في شبيل الدولة في نصر بن صالح فجاء وملك حلب وبقى بها إلى سنة ٤٢٩ هـ. ذكر صاحبنا في الغفران^(٥) وكان كتبه في أيامه سنة ٤٢٤ هـ أن عبد المنعم بن عبد الكريم كان قاضي حلب إذ ذاك. ثم إن الدزبري صمد له مع العساكر المصرية وصاحب مصر يومئذ المستنصر فلقية عند حماة وقتله في شعبان من السنة المذكورة وقبض في الدزبري في حلب وبقى بها حتى توفي في سنة ٤٣٣ هـ. ولما كان على دمشق كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ويحفي المسألة عنه فأراد جزاءه على ما فعل فعمل له شرف السيف في جزئين كما جاء في ثبت^(٦) كتبه. وكان أبو علوان في شمال بن صالح في الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدزبري جاء وتملك حلب وملكها في صفر سنة ٤٣٤ هـ فبقى بها إلى سنة ٤٤٠ هـ وفيها^(٧) كتب سيف الدولة مقلد بن كامل بن مرداس وهو بكفر طاب

(١) ٢٢٨:١ -

(٢) أو نشتكين وانظر لمبدأ أحواله تاريخ ابن القلانسي ٧١ -

(٣) أو التزبري بكسر فسكون كما ضبط أبو الفداء وابن خلدكان -

(٤) لا بالخاء كما هو عند مرجليوث ص ٣١

(٥) ٥٨ -

(٦) أدبا ١: ١٨٦ - وروى مرجليوث عن تاريخ ابن العديم بعد ما ذكر امر صالح سنة ٤١٨ هـ وفي العام القابل قبض على حلب فاتح وسأل قاصده عن أبي العلاء وخرج على المعرة في طريقه إلى حمص - ولا أدري من أراد بالفاتح ولعله وقع منه وهم في فهم عبارة ابن العديم

(٧) ابن الوردي ١: ٣٥١

إلى واليه بالمعرة أبي الماضي خليفة بن جيهان أن يخرب سورها ويهدمه كله
غير مواضع اعتنى بها. وصنع أبو العلاء لحفيده وسمّاه ^(١) الأمير عزيز الدولة
وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال الخ كتابه اللامع العزيزي في
تفسير شعر المتنبي ويسمى معجز أحمد أيضاً. ثم إن المصريين حاربوه فهزمهم
ثم أصلح أمره معهم لما ضجّر وأرسل إليهم هدايا ونزل لهم عن حلب. فأنفذوا
إليها أبا علي الحسن بن علي ^(٢) ابن ملهم ^(٣) ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال
في ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ وفي ربيعها الأول قد كان مات أبو العلاء. وكاتب
أهل حلب ^(٤) محمود بن شبل الدولة ^(٥) نصر بن صالح ليُسلموا إليه البلد وكان منهم
على مسير يوم وحاصروا ابن ملهم فجاء محمود في جمادى الآخرة سنة ٤٥٢ هـ
ودخل حلب ووزيره صاحب الخبر الآتي عما قريب إن صحّ وله في محمود بيت
نذكره. ولكنك ترى أن محموداً لم يتملّكها إلا بعد وفاة صاحبنا. ثم كان
من حروبه المتواليه مع المصريين ما سرده المؤرخون إلى أن وافاه أجله بحلب
سنة ٤٦٨ هـ وأوصى بها لأبنة الصغير ولكن أهل حلب استصغروه فسلموا
البلد إلى ولده الأكبر ^(٦) نصر بن محمود ^(٧) وكان كريماً ممدّحاً وأفضل مدّاحه
من الشعراء أبو الفتيان ابن حيّوس الشاعر الذي ترجم له ابن خلكان ^(٨)

هذا ما بلغنا إليه من التواريخ التي وصلتنا. ولكن الحاجة إلى تاريخ خاص
بحلب ماسة بعد. فإننا نجد في ثبّت كتبه ^(٩) رسالة سمّاها السندية وهي في
جزء. وروى بعض العصرين ^(١٠) أنه عملها لسند الدولة الذي كان نقل من أفامية
إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ فالعهد عليه فإننا لم نجده في وُلاتها. ونجد

(١) أدبا ١: ١٨٨ -

(٢) ٢: ١٠ -

(٣) أدبا ١: ١٨٨

(٤) مرجليوث ٣١ عن ابن المديم -

فيه بعض كتب صنعها لأمرأ لم يسمهم كتضمين الآي وعبث الوليد أو سماهم كالرياش المصطنعي عمله للأمر. مصطنع الدولة أبي غالب كليب بن علي ولكن لم يتصل بنا أخبارهم.

قضاء الحاجات

لما علم الناس بما له من الخطر والقدر والمنزلة في نفوس أمرأ العصر . أسأموه بالاستشفاع في قضاء الحاجات . وأبرموه بالاستنجا في تحقيق الطلبات ويظهر من ر ال ٣٠ (١) أن لم يكن هو مخصوصاً بذلك بل ان أخاه الا كبير أبا المجد كان يتقبل آثارآبائه في الكرم . ومن يشابه أبه فما ظلم . قال « وأما سيدي أبو المجد فشغله من قلة الفائدة يكاد يمنع نومه ، وينتظم ليلته ويومه . فأما نهاره في أشغاله فكأنه سلك قصر ، في نظام كثر . وإنما عامة ذلك في حاجة من ليس له شكر مسموع ، ولا في معونته ان شاء الله اجر مرفوع » . وكذا أخواله فقد كتب (٢) الى أبي طاهر « ولو ادعيت المرواة لزعمت أني تعلمتها من آل سبيكة كثرهم الله » . وصرح في أخرى اليه أن اسفاره للمتاجر ليست الالمعونة الآخرين والا فان الله أغناه بالكفاف عن تجشيم ذوات البرين . وهذا لفظه (٣) « وإن مروته تغلب حاله ، وتجشمه السفر وارتحاله »

فلم يكونوا يخلون في وحدته . بل يخلون بعزله . فيستشفعون به إلى بعض أولياء السلطان فيتكلف لهم ذلك بكرم خيمه وطيب نجاره فيرجعون بتحقيق الحاجة وإنجاح السؤل وقضاء المأمول شاكرين ليده التي أسداها . أو كافرين

(١) ص ١١٢

(٢) ص ٤٤

(٣) ص ٤٣

لصنيعته التي عاناها . وقد عقد الصاحب ابن العديم الباب العاشر من كتابه في
 حرمة عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء أطال فيه وأوفاه حقه من العناية .
 كما أن الرؤساء كانوا يتقاضونه يداً بيد أن يجيز^(١) لهم أبياتاً يعرضونها
 أو ينشيء شعراً على أغراضهم^(٢) أو ألسنتهم أو يسم كتاباً بأسمائهم^(٣) وهو
 جهد المقل وبضاعة المدقع . مع أنه كان يُبدي لهم براءته من العلم^(٤) ويعتذر
 بالكبر . ويُظهر التبرم والضجر . وأن ليست هائيك العلوم مما يُغني عنه في
 العقبى قلامة ظفر .

فسترى أنه شفع الى صالح لبني وطنه فعاد مشفعاً ورجع محفوظاً بالأكرام
 مشيعاً .

ومن الباب ر ٣ الى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملاً
 يُعرف بالحسين بن عُمَيْسَة بن عبد الله . ويظهر من فحواها أنه كان تقدّم له
 ترسُّلٌ إليه في هذا الغرض . إذ شكر فيه من أبي فلان وأنه لولا المراسل إليه
 لم يسلم : وأنه لا يزال هو وأهله داعين لولى نعمتهم ويُبدي له انخياره إليه
 وأنهما رضيعا لبان وفرسا رهان . ثم يطلب منه أن لا يزال يُسعد الرجل بآرائه
 حتى يتمكن على الرجوع إلى وطنه وسكنه . وزعم بعض أهل الغرب^(٥) أنها
 رسالة سياسية لرجل نفي من وطنه وأن ر ٤ تدلّ على أن أبا العلاء شفع
 ولكننا لا نتمكن بالجزم في الباب . على أن الغربيين لهم بهم بالسياسة لو طنت
 ودبابة على رؤسهم لزعموها إما لهم وإما عليهم . ور ٤ إن ثبت لها علاقة

(١) س ١ : ١٨٧

(٢) تقاضاه بعض الامراء أن ينشيء قصيدة تهنئة بالعرس وانظر س ١ : ١٤٧

(٣) كتضمين الآي والرياش وغيرها ومر شرحه آنفا -

(٤) انظر ر ٣٦ وطرفي الملائكة الاول والاخر

(٥) مرجليوث ٣٢

بأختها السابقة فإنها تدل على إنجاح المرام وإسعافه بمأموله . أظهر فيها أن المراسل به جمل أمر جماعة بحضرة رئيس ولم يُسمَّ الثلاثة

ومنه كتابه في أمر ابن سعيد وكان من بيت ابن سنان القاطنين بحلب الى عزيز الدولة - وكان صاحبنا يَبْذُل لآل سنان نخيلة صدره - فذكر أن القاضي أبا جعفر (?) لا يمكنه أن يعزم على السلطان وإنما المأمول في الحاجة أبو نصر [صدقة الفلاح] وراله ٣٦ تظهر أنه شفع فيه فتدرج ابن سعيد الى الوزارة أو ما يضاهاها وتقدم الى صاحبنا برغبة صاحبه عزيز الدولة في اختصار كلفة ودمنة وأمثاله على ما مر كله آنفاً . وراله ٤٠ تصرح بما ناله ابن سعيد من المقام الرفيع وثبط فيها من عزيمته على الحج زاعماً أن إقامته بحلب وهي من الثغور يُرَجى به أضعافُ ما في الحج من الاجور

وراله ٣٢ الى مجهول في استطلاق محبوبس والصفحة عن جنائته

وراله ٣٣ الى قاض في مثله من الأغراض

وله دالية من س^(١) وكان أبو عبد الله ابن السقاء الكاتب سألته ان يعمل

قصيدة الى صاحبه يصف له [فيها] ما شاهد منه من الوفاء والإخلاص



هو وصالح بن مرداس الكلبي

قال أبو غالب ابن مذهب المعري^(١) ومرو في التلامذة في تاريخه في سنة ٤١٧ هـ^(٢) صاحبت امرأة [حامل] يوم الجمعة في جامع المعرة وذكرت أن صاحب الماخور^(٣) أراد أن يغتصبها نفسها. فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه. وكان أسد الدولة [صالح] في نواحي صيدا فوصل الأمير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلا وذلك برأي وزيره تادرس^(٤) ابن الحسن الأستاذ [النصراني] وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة. قال ولقد بلغني أنه دعي لهؤلاء المعتقلين بآمد وميا فارقين على المنابر. وقطع تادرس عليهم ألف دينار. وخرج الشيخ أبو العلاء المعري إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة وقال له « مولانا السيد الأجل أسد الدولة ومقدمها وناصحها كالنهار الماتع اشتد هجيرُهُ وطاب أبراده ، وكالسيف القاطع لان صفحة وخشن حداه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . » فقال صالح قد وهبهم لك أيها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه . ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعرا وهو^(٥) :

تغيبت في منزلي برهة سثير العيون فقيد الحسد

(١) أدبا ١ : ٢١٥ -

(٢) كذا في الادباء وأراه الصواب ونقل مرجليوث ٣٣ عن الوافي للصفدي عن أبي غالب المعري أن ذلك سنة ٤١٧ هـ ولكن سفارة أبي العلاء وخبره مع صالح وقعا سنة ٤١٨ هـ كما عند ابن الوردي أيضا ١ : ٣٣٨ - وروى في ذ ص ٦١ قولاً ثالثاً وهو أنه وقع سنة ٤١٩ هـ ولا أدري من أين ؟ والقول ما أثبتناه في المتن .

(٣) مجمع للفساق والخمارين معرب من خور فارسية بمعنى شارب الخمر وقيل عربية لتردد الناس به من مخز السفينة كما قاله ثعلب وجمعه مواخير ومواخر -

(٤) Theodore -

(٥) ل ١ : ٣٤١ -

فلما مضى العمر إلا الأقل وحمّ لروحي فراق الجسد
بُعْتُ شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأيّ فسدّ
فيسمع متى سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد
فلا يُعجبتني هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسدّ

وسياق أبي غالب صحيح لا غبار عليه ويوافقه ما يأتي من أبيات أبي العلاء
الرائية . وقال القفطي^(١) ما ملخصه وجدت على ظهر كتاب ديوان الأعشى
في مدينة قفط في سنة ٨٥ (يريد ٥٨٥ هـ) حكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب
نزل على معرة النعمان محاصراً لها ونصب عليها المناجيق واشتد في الحصار لأهلها
فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء لعجزهم من مقاومته لأنّه جاءهم بالاقبال
لهم به . وسألوا أبا العلاء تلاً في الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدير الأمر برأيه
إمّا بأموال يئذ لونها أو طاعة يُعطونها . فخرج ويده في يدقائده وفتح له باباً من
أبواب معرة النعمان وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل . فقال صالح هو أبو العلاء
فجيئوني به . فلما مثل بين يديه سلّم عليه ثم قال الأمير أطل الله بقاءه كالنهار
الماتع قاط وسطه وطاب أبراده . أو كالسيف القاطع لأن متنه وخشن حدّاه .
خذ العفو الآية . فقال صالح لا تثريب عليكم اليوم قد وهبت لك المعرة وأهلها
وأمر بتقويض الخيام فنضت ورحل . ورجع أبو العلاء وهو يقول^(٢)

نجبى المعرة من برائن صالح ربّ يعا في كلّ داء مُعضل
ما كان لي فيها جناحُ بعوضه اللهُ ألحفهم جناح تفضل اه
وعند الذهبي^(٣) عن القفطي أيضاً زيادة وهي بعد قوله قد وهبتها لك ثم

(١) أدبا ١ : ٢١٥ -

(٢) ل ٢ : ٢٠٢ وقبلهما

آليت أرغب في قيس مموه فأكون شارب حنظل من حنظل
الحنظل الثاني الماء المجتمه في نقر الصخور

(٣) ١٣٠

قال له أنشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فأنشده بديها أبياتاً فيه اه فأنت ترى أن
سياق القفطي لا يخالف ما مرّ ولأما سيأتي في شيء غير أنه أوضح بعض زوايا
الحكاية مما لم يكن في إهمالها نقصاً ما . وذكر أبو العلاء هذه القصّة على ما مرّ في
لزومه فقال :

أتت جامعاً يوم العروبة جامعاً تقصّ على الشهاد بالمصر أمرها
فإن لم يقوموا ناصرين لصوتها لخت سماء الله تمطر بحرّها
فهدّوا بناءً كان يأوي فناءه فواجر ألفت للفواحش خمراً
وزامرة ليست من الرُبْد خضبت يديها ورجليها تنفق زمرّها
ألفنا بلاد الشام ألف ولادة نلاقي^(١) بها سوّد الخطوب وخمرّها
فطوراً نداري من سبعة ليثها وحيناً نصادي من ربيعة نمرّها

.....

وددت بأنني في حماية فارد تعاشرنني الأردى فأكره قمرها

.....

فإني أرى الآفاق دانت لظالم يغرب بغاياها ويشرب خمرها

.....

ولولا أصول في الجياد كوامن لما آبت الفرسان تحمّد ضميرها
ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير . فإنه لم يهتج صالحاً . ولما
ردّه صالح بالأكرام وإنجاح المرام لهيج به في شعره فقال . ل :
مالمت في أفعاله صالحاً بل خلدته أحسن مني ضمير
يا قوم لو كنت أميراً لكم ذنبت في الغيب ذاك الأمير
وإنما سائسكم دائب يرعى المطايا ويسوق الحمير

(١) وفي الأصل تلاق وهو تعجيف -

يا محلى عليك مني سلام سوف أمضي وينجز الموعود
 ليت شعري عن يملك بعدي أقيام لصالح أم قعود
 لا ملك لي وأرى الدنيا تحاصرني وما حججت وقد لاقيت إحصارا
 تنكر صالح فضباب قيس ضباب يتقين من احتراش
 أحي كلاب قد رعى النبت قبلكم فريق وشاموا في حنادسهم برقا

وزعم بعضهم^(١) أن المؤرخين مختلفون في القصة اختلافا كثيرا ولم
 يستطيعوا أن يجزوا بمصدرها أو نتيجتها ولا علة لذلك إلا أنهم لم يدرسوا ل
 فإن أبا العلاء بين فيه الواقعة وسمى المرأة جامع (؟) فلو أنهم قرأوه لما اضطربوا
 اه ملخصا. وكل هذه القصة تمهيد لا كتشاف الرائية المارة فانه حاز فيها فضل
 السابق. إلا أننا لم نر حرفا واحدا يكون مصدر اختلاف لهم ولا ننبرهم بالجهل
 عن ل وهم هم. ولم يسم أبو العلاء المرأة جامعاً وإنما الجامع كل حامل^(٢) من
 النساء -

وأما الأبيات التي أنشدها صالحاً بديها فقال بعضهم^(٣) أنها الرائية المارة
 واره غلطا منه فإن صاحبنا لم يكن سوء الأدب بلغ به إلى أن ينشد صالحاً على
 وجهه «فإني أرى الآفاق دانت لظالم.. البيتين» وإن كان ذلك تعريضا بوزيره.
 ورأيت في ل أبياتاً وحرى أن تكون هي هي. وهي:

يا صالح اجعل وصف شخصك واسمه مثلين إنك في بحارك ماهر
 ما فضة الانسان إلا فضة والتبر تتبر - وجدك ظاهر
 والدّر درّ للموم تسره إن الجواهر بالأذّة جواهر^(٤)

(١) صاحب ذ ٢٠٩ و ٢١١ و ٦١

(٢) كما في المستدرك على القاموس من الناج

(٣) صاحب ذ ٦٢ -

(٤) من الجهار بمعنى العلانية

هو وابن القارح دوخلة^(١) سنة ٤٢٤ هـ

وابن المذهب نحو سنة ٤٣٥ هـ

هو علي بن منصور كما في الغفران^(٢) ابن طالب الحلبي أبو الحسن الملقب بدوخلة . وقال في رسالته^(٣) انه كان يدرس على ابن خالويه بحلب ولما مات سافر إلى بغداد ونزل على ابي علي وكان يتردد الى علمائها اذ ذاك كأبي سعيد السيرافي والرّماني والمرزباني وأبي حفص الكتاني - قال ابن عبد الرحيم^(٤) شاهدناه ببغداد راوية للأخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قووماً بالنحو . وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . وكان آخر عهدي به بتكريت سنة ٤٢١ هـ^(٥) ثم توجه الى الموصل وبلغتني وفاته من بعد وكان يذكر أن مولده بحلب سنة ٣٥١ هـ ولم يتزوج ولا أعقب اه المقصود . وأما توجهه الى الموصل فقد ورد ما يدل عليه في رسالته وفي الغفران أيضاً . وليكن قوله في الوفاة مؤمّهم فإن أبا العلاء بعث اليه غفرانه سنة ٤٢٤ هـ كما صرح بذلك فيه^(٦) . وأما قوله إنه لم يتزوج فهو كما قال إلا أنه ذكر في إقامته بحلب امر التزويج على^(٧) ما

(١) ونقل البديعي فصلاً من كلامه يدل على سعة مداركه ١ : ٤١٦ وأما دوخلة فاني وجدته في الامثال البغدادية للطالقاني بعد برهة ولفظه تحت رقم ٢١٢ > خذ من عقله في دوخلة > مثل للاحق - والدوخلة من خوص مثقبة لا يبقى فيه شيء كثيف اه وفي مثل آخر رقم ٢٦٧ «سرّكم عنده في دوخلة» مثل لمن يفتي أسرار الناس

(٢) ١٨٤

(٣) ٢٠٨

(٤) أدبا ٥ : ٤٢٤

(٥) وفي طبعة الأدباء سنة ٤٦١ وهو تصحيف من ناشره في ابدال اسماء الاعداد بالارقام - فانه يلزم على هذا أن يكون بلغ من العمر نحو ١١٥ سنة - ومستدلنا ما نقله محمد محمود الشنقيطي في أول الغفران عن الادباء وفيه في سنة الوفاة ما أثبتنا - ولفظ البغية وقد أخذ الترجمة عن ياقوت وكان حياً سنة ٤٢١ هـ

(٦) ١٤٩

(٧) الغفران ١٧١

تحدّث به بعض الطالّاب لأبي العلاء فرجّح صاحبنا له البكر على الثيب لولا انه يحتاج إلى معين في ضعفه فأشار عليه بالعوان . وأدّب أبا القاسم المغربي بمصر وله فيه أهاجي ثم أدّب ولدَي الحسين بن جوهر القائد ^(١) .

ولما رآه أبو العلاء يبحث عن مكنون علمه ويستنبط ، ألقى إليه مقاليد معارفه كما قيل « أكرمت فارتبط » . وبث له عُجْرَه وبُجْرَه . وأراه حجوله وغرّره . مع أن له عدّة من طوال الرسائل والرقاع . إلى النسابيين من علماء الأصقاع والبقاع . ولكن أحداً لم يتمكن من استخراج خبيء علمه المصون . تمكن دوحلة منه في استنباط العيون

وتطرّف إلى ذكر المتنبّي ودعواه النبوة وسائر الزنادقة والملاحدة . والدهرية والجاحدة . قال ولكنني أغتاض على الزنادقة والملحدّين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشبهة والشكوك على المسلمين ، ويستعذبون القدح في نبوة النبيّ صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتطرفون ويبتذّون إعجاباً بذلك المذهب تيه مغنّ وظرف زنديق ^(٢) . ثم ذكر كثيراً من مثالبهم ومصايرهم . ومواردهم ومصادرهم . فكأنّه استورى بذلك زناد صاحبنا وقدّحه . فرأى عنده من أخبارهم ما بهّره به إذ شرحه . وأترّع منه مزادته وقدّحه . فلم يُطق حمل ماناء به إذ فدّحه

وأما ابن المذهب فهو جعفر بن علي بن المذهب لم نعلم فيه إلا أنه رثاه صاحبنا ^(٣) بتأيينة من خيرات التآيين وحسانها وجيادها لاهجائها ذكر فيها أختا للميت وخمسة أولاد له . وذكر بعضُ العصريين ^(٤) أنه أحد فقهاء المعرفة وأدبائها المشهورين وتوفى نحو سنة ٤٣٥ هـ والعهد عليه

(١) رسالته ٢٠٨ -

(٢) من امثال المولدين انظره في كتابنا معجم الامثال -

(٣) س ٢ : ٢ -

(٤) هو شارح المجاني ١٢٤٩ -

ناصر خسرو العلوي

الحكيم الفيلسوف

يوجد اسمه في أول رحلته هكذا أبو معين [الدين] ناصر بن خسرو
 القبادياني المروزي وقباديان قرية حوالي مرو وسكن بلخ . وأهل العصر يرتابون
 في كونه علويًا . وانفصل في رحلته عن مرو سنة ٤٣٧ هـ واجتاز بقزوين وتبريز
 وميافارقين وحران إلى حلب ثم وصل لـ ١٣٠ مضي من رجب الفرد سنة
 ٤٣٨ هـ^(١) بمعة النعمان وانفصل منها لمتصف رجب . فلم يلبث إلا نحو يومين ولم
 يلق أبا العلاء بنفسه وروى ماسمعه فيه من الأخبار مما نقلنا كله في مظانته .
 واجتاز في طريقه بمصر وذكر من أئمة المستنصر وعظمته مارآه بعينه ويوجد له
 عدة قصائد فارسية في مديحه وهناك اعتنق مذهب الفاطميين وأخذ على نفسه
 أن يكون داعية لهم بإيران وحج ثلاث حجّات ورجع إلى مصر ثم إنه ودّعها
 وحجّ رابعة سنة ٤٤٢ هـ ثم رجع على طريق تهامة واليمن إلى الأحساء وشاهد
 القرامطة ولقيهم ويظهر أنه كان هواه معهم ثم وصل البصرة سنة ٤٤٣ هـ ومنها إلى
 اصفهان أول سنة ٤٤٤ هـ ثم منها إلى بلخ في جمادى الآخرة حيث لقي أخويه
 أبا سعيد وأبا الفتح عبد الجليل

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عينًا بالاياب المسافر
 وكان متفلسفًا حكيمًا له في علم الكلام كتاب زاد المسافرين . وله عدة كتب
 أخرى أكثرها منظومة . وكان أخذ بعد الرجوع في بثّ دعوة العبيديين ببلاده
 فنُفي منها بأمر الخليفة العباسي ولكنه لم يزل يدعو اليهم باقى حياته

(١) لاسنة ٤٢٨ كما زعم صاحب ذ ٢١٥ والسبب أنه أقام على أساسها صروحا .

هو وداعي الدعاة الفاطمي

هو على ما سماه ياقوت^(١) أبو نصر هبة الله بن موسى ابن أبي عمران . وورد في عنوان مختصر الرسائل الدائرة بينه وبين المعري الموجود ببعض الخزائن^(٢) الداعي في الدين عصمة المؤمنين^(٣) أبو نصر هبة الله . وورد في الخطط^(٤) ذكر قبر باسم هبة الله بن موسى العجمي والظاهر أنه هو . وكان هذا الرجل إمامياً داعياً إلى مذهب الفاطميين كما قال ابن حجر^(٥) . وتسام اسم هذا المنصب على ما في صبح الأعشى^(٦) « داعي الدعاة بالبراهين الظاهرة إلى استعمال الحقائق » . وفيه^(٧) أيضاً أن هذا المنصب كان عندهم عالي المرتبة .

وأما هذه الرسائل الدائرة بينهما فإنها لها حقاً لاجبال للريب فيه . فقد ذكر غرس النعمة^(٨) وقوعها بينهما ولكنه كنى الداعي برجل ولفظه لقيه رجل فقال له لِمَ لا تأكل اللحم ؟ قال أرحم الحيوان . قال فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه . وإن كانت انطبائع المحدثّة لذلك فما أنت بأحقق منها ولا أتقن عملاً فسكت اه وقد ذكرها^(٩)

(١) أدبا ١ : ١٩٥ .

(٢) خزانة ليدن انظر فهرستها ١ : ٢٩٦ وفيها له الى أبي السلاء خمس رسائل (وهذا عدد رسائلهما جميعاً) جمع ممتان في هذين الجواب والخطاب ثم أوردتهما : ومنها الرسائل من كتاب جمهرة الاسلام ذات النشر والنظام للشيزري الذي ذكره ابن خلكان . ٢٣٨ : ١ .

(٣) وردت هذه الكلمة في رسالة أبي السلاء اليه (أدبا ١ : ٢٠٤)

(٤) ٤٦٠ : ١

(٥) اللسان ١ : ٢٠٧

(٦) ٤٨ : ٦

(٧) ١٨ : ٩

(٨) أدبا ١ : ١٧٠ واللسان ٢٠٦ :

(٩) أدبا ١ : ١٩٤ وفلك الممالى تصحيف ومنه نسخة بجامع أياصوفيا وعدده في

دفتره المطبوع سنة ١٣٠٤ هـ ١٥٧٤

ابن الهبارية أيضاً في فَلَكَ المعاني له

وورد فيها أنه ترك اللحم حين بلغ ثلاثين عاماً . وفيه تصديق لقول ابن حجر^(١) المارّ أنه بقي في صنعاء سنة لا يأكل اللحم وأنه مضى على تركه له ٤٥ عاماً . أي إن بدء الترسل حين بلغ ٧٥ عاماً من عمره وفي سنة ٤٣٨ هـ . وكانت مراسلته من حلب كما صرّح به^(٢) لا من مصر كما ذهب على بعض العصريين^(٣) . وتقدم الداعي - لما كتب إليه صاحبنا أن إضرابه عن اللحم لضيق ذات يده - برغبته في أن يكتب (بل كتب) إلى تاج الأمراء حتى يُدرّ له من الرزق ما هو حظ مثله من اللذّ الطعام . وهذا التاج هو أبو الدوام^(٤) ثابت بن ثمال بن صالح ابن مرداس الذي عمل لابنه عزيز الدولة وعرّسه صاحبنا اللامع العزيزي . وكان جلّ آل مرداس متشيعين إذ ذاك كما مرّ لنا ذكره في باب الحكم . وذكر ابن الوردي أن سعد الدولة أبا المعالي زاد سنة ٣٦٩ هـ في الاذان « حيّ على خير العمل » وهذا على أن ابن بطلان صرّح في رسالته إلى غرس النعمة^(٥) أن الفقهاء كانوا يفتون بحلب نحو سنة ٤٤٠ هـ على مذهب الإمامية . وليس التاج هذا صدقة الفلاح^(٦) فإنه كان إذ ذاك مخيّماً بمصر مرتبكاً في مضايق السياسة فتولّى الوزارة للمستنصر سنة ٤٤٠ هـ وبقي ثلاثة أشهر وفيها قتل^(٧)

(١) ٢٠٤ : ١ اللسان

(٢) ادبا ١ : ٢٠٩

(٣) صاحب ذ ٦٩ ومرجليوث ٣٩ - والمجلة ج ٣ ص ٣١٤

(٤) ادبا ١ : ١٨٨ - فله كان مقيماً عند أبيه ثمال صاحب حلب (٤٣٤ - ٤٤٠)

إذ ذاك على ما مر

(٥) انظر بلدان « حلب » والحكماء للقطبي مصر ١٩٤ -

(٦) كما زعم مرجليوث في مقدمته على هذه الرسائل بمجلة الجمعية الاسيوية ص ٢٩٠

سنة ١٩٠٢ م

(٧) على ما مر في باب الحكم

هو وزير^(١) محمود بن [نصر بن] صالح

يسلك محمود وأمثاله طريق خاقان وكنداج

روى سبط ابن الجوزي^(٢) في مرآة الزمان قال الغزالي حدثني يوسف بن عليّ بأرض الهركار [التي بنيت أرضها خواصّ عظيمة نذكر نبذاً منها في أماكن] (؟) هذا الكتاب وشيئاً في كتاب السلسبيل قال يوسف شيخ الإسلام [دخلت معرفة النعمان وقد وشى وزير محمود بن (؟) صالح إليه بأن المعري زنديق (برهمنيّ سر) لا يرى إفساد الصور ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل . ولم يزل الوزير جاهداً حتى حمل الملك على أن] فأمر بحمله إليه وبعث خمسين فارساً ليحمله [فدخل إلى الشيخ رجلان من أصحابه وأعلماه بالقصة فدخل المعري المسجد فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة . فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك فإن منعناك عجزنا وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام ويركب تنوخ^(٣) الذلّ والعار . فقال له هوّن عليك ياعمّ فلا بأس علينا [وأكرم أضيافك] فلي سلطان يذبّ عني ثم [قال الشيخ لغلامه قنبر قدّم الماء فقدمه إليه و] اغتسل وصلى إلى نصف الليل . ثم قال لغلامه انظر إلى المريخ أين هو ؟ قال في منزلة كذا وكذا . قال ارقبه واضرب تحته وتبدأ وشدّ في رجلي خيطاً واربطه إلى الوتد . ففعل لغلامه ذلك فسمعناه يقول يا قديم الأزل يا عائلة العليل يا صانع المخلوقات وموجد

(١) ذكر الـكتبي ١ : ٢٣٣ وزيراً لمحمود بن صالح (؟) وسماه أبا نصر محمد بن

الحسين بن النعمان . ثم ذكر حكاية تدل على تشدد محمود ومثله عند ابن خلكان ١ : ٣٦٧

(٢) النكت ١٠٧ - وروى الخبر صاحباً نسمة السحر ١ : ١٠٩ ونزهة الجليس

١ : ٢٨٠ - عن ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ولم أجده في النسخة المطبوعة منه . وابن

الوردي أيضاً ١ : ٣٦٠

(٣) في الاصل تنوخا

الموجودات ، أنا في عزك الذي لا يُرام وكنفك الذي لا يُضام ، الضيوف ! الضيوف ! الوزير ! الوزير ! ثم ذكر كلمات لا تفهم [حتى برق بارق الصبح] واذا بهدة عظيمة . فسألنا عنها فقليل وقعت الدار ^(١) على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر لا تز عجبوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير . قال يوسف فلما شاهدت ذلك دخلت على المعري فقال من أنت ؟ قلت أنا من أرض الهركار فقال [سر . حملوك على قتلي و] زعموا أني زنديق . ثم قال اكتب . وأملى علي وذكر أبنائنا من قصيدة ذكرتها أنا وأولها : أستغفر الله في أمني وأوجالي ^(٢) اه (وراجع تمامها في الفأنت) .

والزيادات واختلاف الروايات بين القوسين من سر العالمين ^(٣) المنحول للغزالي . ولعل السبب منه أخذ ولكن قبل أن يعجب به يد الكاشفي ^(٤) . ولعل عجب الذنب من هذا الخبر والفقر هما اللذان سلما وأما اللحم والشحم والصرم فكله مخدوش . و « أول من خدش الخدوش أنوش » . فإن بيت

(١) بدمه في السر على ثمانية وأربعين رجلا

(٢) نقل هذه الحكاية صاحب سكردان السلطان (ص ٢٧ مصر سنة ١٢٨٨ هـ)

عن طبقات ابن أبي أصيبعة - ولكني لم أجدها فيها فلملها ثابتة في بعض نسخها

(٣) طبعة حجر بومباي ص ٣٨ و ٣٩

(٤) الواظظ المفرم بالطلسمات وهو صاحب المقدمات على عدة كتب فيها أبرزها وزعم أنها كانت من الناس منال العيوق وورد في مقدمة السر أن أول من قرأ الكتاب عليه واستنسخه محمد بن تومرت [المهدي المغربي] ثم أتى الكاشفي بمقدمته وذكر فيها أن الناس صاروا يعدون الكرامة سحراً وكهانة ويكذبون وجود هذا الكتاب إلى أن وفق لا برازه سيد الوزراء ابن أبي منصور - والعجب كل العجب أن وافق شن طبعة أي كتب ناسخه بالآخره « نقل من نسخة بخط المؤلف بالكتب خانة الخديوية . كتبه عبد العظيم طالقاني (٩) سنة ١٣١٤ هـ » والمصنف كائنا من كان لجنة محرف لا شك وانظر حاشيتنا في فصل التلامذة - ثم رأيت منه نسخة خطية ليس فيها ذكر الكاشفي أصلاً . والعبارات المذكورة فيها كما هي

ل المارّ يدلّ على ما كان محمود يطوي بين ضلوعه منه . ولكنّ سوقَ الخبر بطلسمات بليناس . أشبه منه بأبي العلاء وعادات الناس . وقد سردنا من العوادي التي تحول دون تسليمنا إياه على غرّة جُملة في باب التلامذة وهالك سائرها :

(١) لم يكن أبو العلاء يعرف من النجوم وأحكامها إلّا ما يلزم المتأدّب على أنه إن كان متأهلاً فما له ولا أحكامها . وعلى أن ما في اللزوم في النجوم يمنع من التصديق . (٢) كلماته يا قديم الخ ليست مما يشبه كلام أبي العلاء . (٣) كيف حملوا شيخ الاسلام أو ابنه على قتله أو كيف يزعم صاحبنا بأحدهما مثل ذلك مع أن الشيخ تلميذه الخصيص به ، ولم يكن يكفيهم الحسنون رجلاً أنفذوهم إليه . (٤) جلّ المؤرخين يدعون محموداً ابن شبل الدولة بن صالح لا ابن صالح (٥) لم يصّر محمود صاحب حلب إلا بعد وفاة صاحبنا بثلاثة أعوام كما مر في باب الحكماء (٦) هذه الحادثة من أعظم الحوادث لم ينقلها أحد من بلديّ أبي العلاء كأبي اليسر وأبي غالب وابن العديم والقفطي ولا أحد من تلامذته .

وقال بعضهم ^(١) ان عمه كان مات قبل أبيه والعجب أنه لم يذكر العم في سوقه للحكاية أصلاً ولا سمّاه . وقد بحثت فلم أقف على سنة وفاة مسلم . ومسلم وان كان العماد وياقوت أغفلا عنه فانا قد تعرفنا به من مصدر موثوق به وانظره في العامود .

فإن أمكن أن تزول هذه الموانع بمخايفرها وخلص الخبر مما اكتنفه من ركافة البنية وضعف العقيدة والجمع بين الأضداد والأغلاط التاريخية فبأيدينا أمارات من اللزوم تقدّمها لتحقيق أن الولاة كانوا يُغرّون بتعذيبه . وهي : كأتى كلّ حول محدث حدثاً يرى به من تولّى المصرَ إغرابي ولم يكن حدثه هذا إلّا « ذنبٌ صَحْرَ »

يا ظالماً عَقَدَ اليدين مصلياً من دون ظلمك يُعْتَدِ الزُنَّارُ
 أَتَظُنُّ أَنَّكَ لِلْمَحْسَنِ كَسَبٌ وَخِيٌّ أَمْرُكَ شِرَّةٌ وَشَنَارُ
 لَا مُلْكَ لِي وَأَرَى الدُّنْيَا تُحَاصِرُنِي وَمَا حَبَجْتُ وَقَدْ لَاقَيْتُ إِحْصَارَا
 وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَلْيِيسِ إِبْلِيسَ ^(١) وَذَكَرَ أبا العلاء وإلخادَه : ولم يزل
 مُتَخَبِّطاً فِي تَعَثُّرِهِ خَائِفاً مِنَ الْقَتْلِ إِلَى أَنْ مَاتَ بِخُسْرَانِهِ . وَسَيَّأَتِي فِي التَّأْلِيفِ
 وَصَفَ رِسَالَةَ الضَّبْعَيْنِ فِي تَحْرِيفِ رَجُلَيْنِ بَيْتاً مِنَ اللُّزُومِ كَتَبَهَا أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى
 مَعَزِّ الدَّوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ . فَلَعَلَّهُ هُوَ صَاحِبُ هَذَا الْخَبَرِ هُنَا أَيْضاً وَعِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ
 الْغَيْبِ .

أَمْرَاضُهُ وَعِلْمُهُ

أَرَى أَنَّ تَرْكَ اللَّذَائِدِ وَالْإِكْتِفَاءَ عَلَى جَشَبِ الطَّعَامِ وَصُومِ الدَّهْرِ
 وَالْاجْتِنَابَ عَنِ النِّسَاءِ أَوْرَثَ أبا العلاء صِحَّةً وَعَافِيَةً كَمَا يَقُولُ . ل :
 أَفَدْتُ بِهِجْرَانَ الْمَطَاعِمِ صِحَّةً فَمَا بِي مِنْ دَاءٍ يُخَافُ وَلَا حَبْنِ
 عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ عَادِيَاتِ الْعِلَلِ وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَسْتَحِقَّ الذِّكْرَ نَظَرًا إِلَى
 صِحَّتِهِ الطَّوِيلَةِ . وَأَرَى أَنَّ شِكْوَاهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ لَيْسَتْ إِلَّا مِنْ
 طَوْلِ قَعُودِهِ بِمَجْلِسِهِ أَوْ الضَّعْفِ الَّذِي خَانَتْهُ بِهِ قَوَاهُ فِي هَرَمِهِ . وَهَذَا شَعْرُهُ . ل
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ :

مَا كُنْتُ ذَا يُسْرِ فَأَجْمَعُهُ وَلَا ذَا صِحَّةٍ فَأُحَافِلُ التَّغْلِيصَا

يُشِيرُ إِلَى عَمَاهُ

إِذَا غَدَوْتُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعًا فَتَمَّ أَفْقِدُ أَوْصَابِي وَأَمْرَاضِي
 يَدَاوِي الْمَرِيضَ [١] كَيْمَا يُصِحَّ وَهَلْ صِحَّةُ الْجَسْمِ إِلَّا مَرَضٌ ؟

وهذا ينظر إلى قول حميد بن ثور : وحسبك داءً أن تصحّ وتسلم
ويذكر لنا أنه يؤمن بعدوى الأمراض
لا تأمننّ أخا داءٍ ولا ضمنّ قد يحدث السيف كلباً وهو مفلول
ومن غير . ل في الصمم ومرّ مثله في « نظرة عامة » :
فلا تلم سمعي إذا خاتي « إن الثمانين وبلّغتها »
وانظر تمامه في الفأنت

وذكر في التنصل من خدمة عزيز الدولة^(١) مرضاً لم يسمّه عاقه عن حضور
الجمع . وذكر في ر إلى خاله أبي القاسم^(٢) أنه اعتلّ عللاً كثيرة وذكر أنه
سرح دمه مقدار مائة درهم (؟؟؟) فإن صحّ هذا فإنه إحدى الأعاجيب . وأنه
خدم في هذه العلة خدمة لم يُخدّمها فيما سبق .
والظاهر أن أصدقاءه وأقرباءه كانوا يطلبون له الأطباء كما ذكروا أنه مرض
مرة فوصف الطبيب له الفروج فلمسه وقال : استصغروك فوصفوك . هلا رصفوا
شبل الأسد . وكما هو في ر إلى خاله المذكورة وكما سيأتي آنفاً ، وقال . ل :
لضربة فارس في يوم حرب تطير الروح منك مع الفراش
أخفّ عليك من سقم طويل وموت بعد ذاك على الفراش
ومرّ في وفاة والدته أمر سقوط ناجذه وبعض أسنانه .



(١) ر ص ٦٠ -

(٢) ر ص ٥١ -

موته

موت

ل في الدنيا :

متى أنا راحل عنها لشأني فأني قد قضيتُ بها شغولي
تحفوا بالكلام وأكرموني على ما كان من جسد نحيل
دعوا هذا المقال وجهزوني فأني قد عزمتُ على الرحيل

قال القفطي ^(١) وقد تنبأ ابن بطلان الطيب بوفاة أبي العلاء قبل موته بقليل . وكان ابن بطلان يألف أبا العلاء . وكان بالمعرة إذ ذاك . فحدثه بعض الطلبة أن أبا العلاء قد أملى عليهم شيئاً فغلط فيه . فتنبأ ابن بطلان بأن ذبالبه قاربت الذبول . لأن من كان كأبي العلاء في قوة العقل وذكاء القلب وحصافة الرأي لا يدركه الخطأ فيما يُملَى إلا إذا اضطربت قواه وفسد مزاجه . أقول وجمع قوله هذا مع قوله في الحكماء ^(٢) أن ابن بطلان مات سنة ٤٤٤ هـ مشكل . ولكن هذه السنة مصحفة أو غلط فإن ابن أبي أصيبعة أورد كثيراً من أخباره إلى سنة ٤٥٥ هـ وذكر قوله في مُصاب العلم بوفاة أئمة منهم أبو العلاء .

وقال الشريف أبو يعلى ابن الهبارية ^(٣) - وذكر خبره مع داعي الدعاة - وجرت بينهما مكاتبات كثيرة أمر في آخرها بإحضاره حلب ووعدته على الإسلام خيراً من بيت المال . فلما علم أبو العلاء أنه يُحْمَلُ للقتل أو الإسلام سمّ نفسه ومات اه وهذه فرية من الشريف بلا مريّة . فإننا أوعبنا كل مادار بينهما مطالعة فلم نر فيه شيئاً مما ذكر من سمّ المعريّ نفسه كما قال ياقوت وقد صرح قبله غرس النعمة بأن الختم على سكوت المعريّ على ما مرّ . وهذا ختام آخر

(١) ذ ٢٢٤

(٢) مصر ١٩٣

(٣) ادبا ١ : ١٩٤

وهي للداعي في مدح المعري وإطرائه . والاعتذار من إضاعة أوقاته وآثائه . « فما هو حرصه الله على علاقته من الضعف والقوة إلا من محاسن الزمان وممن سارت بفضلها الركبان والغرض في السؤال والجواب الفائدة وإذا عدمت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جوابا ومن أين لي أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره . وقبل وبعد فأنا أعتذر عن سرّ له أدام الله حراسته آذيته وزمان منه بالقراءة والإجابة شغلته . لأتني من حينما نفعته ضررته . والله تعالى يعلم أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه والاعتراف من بحره والسلام » اهـ

وليس بيدع من الشريف أن يقرب أبا العلاء بما لم يجن ويؤثره بما لم يأت ولم يسلم من معرّة لسانه ووصمة بنانه أحد من أعيان عصره كما قد نبّه عليه كل من ترجم له . وهذا كله دليل على أن ختام الترسل وقع قبل موت المعري بأعوام فلم تكن حلب من المعرة إلا مسيرة يومين وكان بدوّه كما مر سنة ٤٣٨ هـ . وللشريف في صاحبنا ^(١) خبر بذى قدّزع ربأ بأنفسنا عن إثباته . ونمنّ عليه بستر عواره والغضّ عن جناياته . وزعم بعضهم ^(٢) أن هذه الفرية وقعت من غرس النعمة بدلا عن الشريف وكأنه لم يفهم عبارة ياقوت في الأدباء ولا عرف فلك المعاني ^(٣) وهو كتاب للشريف معروف أكثر من النقل عنه ياقوت .

(١) النيث ٢ : ١٩٠

(٢) صاحب ذ ٢٢٥ و « المعجب كل المعجب من جمادى ورجب » قال بعد أن رد على غرس النعمة ما هو براء منه « والمعجب أن سلامون الافرنسي لم يفهم ما كتب ياقوت فظن أنه صاحب الرواية واجتهد في الرد عليه ولو أنه فطن لما كتب ياقوت لاراح نفسه من عناء كثير » اهـ فهل لي أن أنشد قول صاحبنا إذ لم يفهم عبارة ياقوت ولا نصه « لم يذكر في المراسلات ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية من سم المعري نفسه »

وبصير الاقوام مثلي أعمى فلهوا في حندس نتصادم

(٣) منه نسخة بجامع صوفيا وعدده في دفتره المطبوع سنة ١٣١٤ هـ ٤١٥٧ -

قال ابن خلكان^(١): مرض ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني فتناولوا الدُوي والأقلام فأملئ عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي أحسن الله عزائكم في الشيخ فإنه ميّت فمات ثانی يوم اهو مر عند القفطي اختلاطه في الإملاء على الطلبة. ولعل الذي كان يريد إملاءه بعض نصائح فحسب وأما الوصية^(٢) فإنه لم يكن يستحسنها وانظر النظرة.

توفي ليلة الجمعة (كما قال^(٣) الذهبي والصفدي والعباسي والياضي) أويومها (كما قال^(٤) السكّال ابن الأنباري والسمعاني وياقوت وابن خلكان) ثالث ربيع الأول (كما هو عند ابن خلكان والصفدي والياضي) أو ثانيه (كما قال ياقوت) أو ثالث عشرة منه (كما في النزهة والأنساب) سنة ٤٤٩ هـ. ولما مات أوصى أن يكتب على قبره كما قال الذهبي وابن خلكان وغيرهما وفي نسمة السحر^(٥) زيادة أنه كان يقوله ويكرره في مرض موته والعهد على صاحبه ونقله عنه صاحب نزهة المجلس أيضاً

هذا جنّاه^(٦) أبي عليٍّ وما جنّيتُ على أحدٍ

(١) ١ : ٣٤. ومر ذكر القاضي أبي محمد في فصل الاقراء والاملاء وفي فصل التلامذة -

(٢) وتردد صاحب ذ ٢٢٦ في الخبر وقد علمت له شاهداً مما عند القفطي اغتراراً منه باستهزاء أبي الملاء بمن يوصى.

(٣) ١٣٧ - ١٠٩ نكت - ١ : ٥٢ - ٣ : ٦٣

(٤) ٤٢٧ - ١١٠ - ادبا ١ : ١٦٢ - ١ : ٣٤

(٥) ١ : ١١٥

(٦) بالنقطتين على الهاء كما في الاسعاف وقد تصحّف عند الاكثرين فزعموا الهاء

هاء الضمير ومثله في المعنى لبيض المغاربة :

هذا مدى دهري اعتقادي

لست وجيهاً لدى الهي

في عالم الكون والفساد

لو كان هذا لما براني

(٧) تاريخه ٢ : ٥٤

وذكر ابن الوردي أن ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ اجتاز بالمعرة فكتب عند قبر أبي العلاء :

نزلت فزرت قبر أبي العلاء فلم أر من قرئ غير البكاء
ألا يا قبر أحمد كم جلال تضمنه ثراك وكم ذكاء

وقال القفطي^(١) أتيت قبره سنة ٦٠٥ هـ فإذا هو في ساحة بين دور أهله وعليه باب [صغير قديم] فدخلت فإذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر خبازي يابسة . والموضع على غاية ما يكون من الشعث والإهمال . وقال الذهبي رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحوه مما حكي . وتقل الصفدي^(٢) قال علاء الدين [علي بن المظفر^(٣) الكندي الشاعر] الوداعي^(٤) ومن خطه نقلت: زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة ٦٧٩ هـ ولم أر عليه شيئاً من ذلك (يريد هذا جناح البيت) وقد دثر ولصق بالأرض وعملت هذين البيتين :

قد زرت قبر أبي العلاء المرتضى لما أتيت معرة النعمان
وسألت من غفر الخطايا أنه يهدي إليك رسالة الغفران اه
ثم إنه^(٥) غار على منقبة المعرة رئيسها نورس باشا فرم قبره وبناء وأنشأ عليه مكتبا للأطفال كما ورد في بعض أجزاء جريدة العمران . ثم إنه ذكر لنا من زاره^(٦) سنة ١٩٠٥ م أن قبره محفوف بالكرامة رآه في إحدى زوايا البلدة وعلى ضريحه كتابة قديمة بالخط الكوفي (وهذا يضاد من جهة ما مر من قول الوداعي)

(١) ذهبي ١٣٦ والوفيات ١ : ٣٤

(٢) النيث ٢ : ١٩٨ ومثله في نسمة السحر ١ : ١١٥

(٣) من النيث ١ : ٨١ - ترجم له في الفوات ٢ : ٨٧ - والبيتان في نزهة الجليل

أيضاً ١ : ٢٨٦ -

(٤) ولد سنة ٦٤٠ هـ وتوفى سنة ٧١٦ هـ كما في مطالع البدور للغزولي ص ٢٠

(٥) وادهي مرجليوث ٤٣ أن متأخري المفتشين لم يقدروا على معرفة محل قبره .

(٦) لويس شيخو في المشرق

وبجوار رمسه قبر بعض تلامذته. وفي غرفة أخرى مجاورة لقبرها قبر الشيخ محمد الغباري.

ذكر أراه مدحاً وذكراً

قال غرس النعمة^(١) وأذكرك عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده ، ومعنا غلام يعرف بأبي غالب ابن نهبان من أهل الخير والعفة ، فلما كن من الغد حكى لنا . قال : رأيت في منامي البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيان متدلّيتان إلى فخذه وكل منهما يرفع فيه إلى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده وهو يستغيث . فقلت وقد هالني : من هذا ؟ فقبل لي هذا المعري المملوح اه وكأنه أجابه بقوله . ل :

تَحَسَّدَتِ الْعَيُونُ عَلَى مَنَامٍ عَرَفْنَ كَذَابَهُ وَأُورِدْنَ حُسْنَهُ
فَصَبْرًا إِن سَمِعْتَ لِسَانَ سَوْءٍ مِنْ ابْنِ مَوَدَّةٍ وَتَرَقَّ لَسَنَهُ
وروى القفطي^(٢) عن القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي أنه كان وهو طالب يقع في دين أبي العلاء . فرأى فيما يرى النائم كأنه في مسجد وكان على صفة فيه رجلاً شيخاً ضريراً بادناً (؟) وإلى جانبه غلام يشبه أن يكون قائده . قال القاضي وكنت واقفاً تحت الصفة في نفر من الناس . وهذا الشيخ يتكلم كلاماً لم أفهمه . ثم اتفقت إلي وقال ما حملك على الوقعة في ديني ؟ وما يدريك لعل الله غفر لي ؟ قال فاستحييت منه وسألت عنه - فقبل هو أبو العلاء . فلما أصبحت أقبلت عن النيل منه واستغفرت الله لي وله - ثم مضى على ذلك دهر وأنسيته ودخلت المعرة فزرت مسجدَها للصلاة فاذا هو كما رأيت

(١) ذهبي ١٣٢ وفي المعتمد ابن غرس النعمة وهو تصحيف ١ : ٥٢

(٢) ٢٢٧ ذ

في النوم واذا الصفقة كعهدي بها وعليها راهب يُضَفِّرُ البردي - فتقدمتُ اليه
وسأله عما يصنع فعرفتُ أنه يعمل الحُصْرَ لهذا المسجد وكان على دَيْرِهِ أن
يؤدي للمسجد هذا العمل كلما احتاج اليه . قال فلما أذكرني ذلك ما أنسيتهُ
سألتُ عن قبر أبي العلاء فزرتُه فاذا هو مهمل في مكان أشعث وقد نبتت عليه
الخبازي ثم جفت - فقرأت عنده واعتذرت اليه وذلك في أوائل القرن السابع
وما كان أغناه عن المدح أيضاً وكأنه نظر إلى الصنفين حيث قال . ل :

وَدِدْتُ وَفَاتِي فِي مَهْمَةٍ بِهِ لَامَعَ لَيْسَ بِالْمَعْلَمِ
أَمُوتَ بِهِ وَاحِدًا مَفْرَدًا وَأُذْفَنُ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَظْلَمِ
وَأَبْعُدُ عَنْ قَائِلٍ لَأَسْلِمْتَ وَآخِرَ قَالٍ أَلَا يَا أَسْلَمِ
أَحَازِرُ أَنْ تَجْعَلُوا مَضْجِعِي إِلَى كَافِرٍ خَانَ أَوْ مَسْلَمِ
إِذَا قَالَ ضَايِقَتْنِي فِي الْحَلِّ قُلْتُ أَسَاؤًا وَلَمْ أَعْلَمِ
وقد صدق الأول

إِذَا مُتَّ كَانَ النَّاسُ . صِنْفَانِ شَامَتِ وَمِنْ بَصَرَعِي بَعْضُ مَا كُنْتُ أَصْنَعُ

التآبين

ل . أَعْيَبُونِي حَيًّا ثُمَّ قَامَ لَهُمْ مُنِّنٌ وَقَدْ غَيَّبُونِي ، إِنَّ ذَاعَجَبُ !
قال تلميذه^(١) الأبهري والتبريزي وجمعنا بين قوليهما ولما مات أنشد على
قبره بعد موته أربعة وثمانون شاعرا مراني وختم في أسبوع واحد عند القبر
مائتا ختمة . قال ياقوت من جماتها أبيات لعل بن الهمام [أبي الحسن تلميذه]
من قصيدة طويلة :

إِنْ كُنْتُ لَمْ تُرِقِ الدَّمَاءُ زَهَادَةً فَلَقَدْ أَرَقْتُ الْيَوْمَ مِنْ جَفْنِي دَمَا

(١) ذ ١٣٥ - أدبا ١ : ١٧٥ - وعند ابن الوردي ١ : ٣٥٨ سبهون

سَيَّرَتْ ذَكَرًا فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مَسْكٌ مَسَامِعَهَا ^(١) يَضْمَخُ أَوْ فَمَا
وَتَرَى الْحَجِيجَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةً ذَكَرَكَ أَوْ جَبَ فِدِيَةً مِّنْ أَحْرَمًا
كَأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ ذَكَرَكَ طَيْبٌ وَطَيْبٌ لَا يَحِلُّ لِلْمُحْرَمِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ . وَفِي
الْمَعْنَى لِأَخْر ^(٢) :

يَا كَعْبَةَ الْفَضْلِ أَفْتَنَّا لِمَ لَمْ يَجِبْ شَرْعًا عَلَى قُصَادِكَ الْإِحْرَامُ
وَلَمَّا تَضْمَخَ زَائِرِيكَ بِطَيْبٍ مَا تُلْفِيهِ وَهُوَ عَلَى الْحَجِيجِ حَرَامٌ
وَرِثَاهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَتْحِ ^(٣) ابْنُ أَبِي حَصِينَةَ الْمَعَرِّي شَاعِرُ حَلَبٍ إِذْ ذَاكَ
بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :

الْعِلْمُ بَعْدَ أَبِي الْعَلَاءِ مُضَيِّعٌ وَالْأَرْضُ خَالِيَةٌ الْجَوَانِبُ بَلْقَعٌ
أَوْدَى وَقَدْ مَلَأَ الْبِلَادُ غَرَائِبًا تَسْرَى كَمَا تَسْرَى النُّجُومُ الطَّلَعُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ وَهُوَ يُودَعُ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى فِيهِ الْكُوكَبُ تُودَعُ
جَبَلٌ ظَنَنْتُ وَقَدْ تَزَعَزَعُ رُكْنُهُ أَنَّ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتُ تَزَعَزَعُ
وَعَجِبْتُ أَنْ تَسْعَ الْمَعْرَةُ قَبْرَهُ وَيَضِيقُ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْهُ الْأَوْسَعُ
لَوْ فَاضَتْ الْمُهِجَاتُ يَوْمَ وَفَاتِهِ مَا اسْتَكْثَرَتْ فِيهِ فَكَيْفَ الْأَدْمَعُ

(١) كَذَا عِنْدَ يَاقُوتَ وَفِي الْمَعَاهِدِ وَنَسَخَةُ خُطْبَةٍ مِنَ الْوَفِيَّاتِ فِي جَامِعَةِ بَنْجَابِ فَسَامِعُهُ
يَضْمَخُ - وَفِي الْوَفِيَّاتِ طَبَعَ إِيْرَانُ وَمِصْرُ وَالنَّكْتُ فَسَامِعُهُ تَضْمَخُ - وَعِنْدَ الْبَاقِي ٣ : ٦٩
فَسَامِعُهُ يَعْطُرُ قَالَ أَنَّ الذِّكْرَ يَعْطُرُ السَّامِعَ وَالْمُتَكَلِّمَ أَيْضًا وَالْمُرَادُ بِالْفَمِ الْمَثْنَى وَأَوْ أَمَا لِلتَّرْدِيدِ وَأَمَا
بِمَعْنَى الْوَاوِ - وَزَعَمَ صَاحِبُ ذُنَّ الْجَبَلِ مَا رَأَى فِي نَسَخَةِ خُطْبَةٍ مِنَ الْوَفِيَّاتِ مَسْكٌ تَضْمَخُ مِنْهُ
سَمْعًا . وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ جَمِيعَ الرِّوَايَاتِ لَا تَخْلُو مِنْ وَجْهِ . وَلَمَّا بَعْضُهَا أَجَلَ مِنْ رِوَايَتِهِ وَبِرَوَايَةِ
يَضْمَخُ مِنْهُ سَمْعًا .

(٢) الْوَفِيَّاتُ ١ : ٤٦٥ - وَفِيهِ تَلْفِيهِ وَهُوَ تَهْجِيْفٌ

(٣) انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْوَفَوَاتِ ١ : ١٢٢ - وَالْقَصِيدَةُ عِنْدَ ابْنِ الْوَرْدِيِّ ١ : ٣٥٩
وَقَالَ بَعْدَ أَنْ سَرَدَهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا رِثَاهُ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ تَقَاهُ وَرَفَضِهِ لِلْحَيَاةِ
وَمَوْتِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ وَتَطَوُّعِهِ وَهُوَ أَيْضًا أَعْلَمُ بِهِ مِنَ الْإِجَانِبِ

تَتَصَرَّمُ الدُّنْيَا وَتَأْتِي بَعْدَهُ
لَا تَجْمَعُ الْمَالُ الْعَتِيدَ وَجَدَ بِهِ
وَإِنْ اسْتَطَعْتَ فَسِرْ بِسِيرَةِ أَحْمَدَ
رَفِضِ الْحَيَاةِ وَمَاتَ قَبْلَ مَمَاتِهِ
عَيْنُ تَسَهَّدٍ لِلْأَعْفَافِ وَلِلنَّقَى
شَيْمٌ تُجَمِّلُهُ فَهِنَّ لِلْمَجْدِ
جَادَتْ فَرَكَ أَبَا الْعَلَاءِ غَمَامَةً
مَا ضَيَّعَ الْبَاكِي عَلَيْكَ دُمُوعَهُ
قَصْدَتِكَ طُلَّابُ الْعُلُومِ وَلَا أَرَى
مَاتَ النُّهَى وَتَعَطَّلَتْ أَسْبَابُهُ
أُمٌّ وَأَنْتَ بِمَثَلِهِ لَا تَسْمَعُ
مَنْ قَبْلَ تَرْكِكَ كُلِّ شَيْءٍ تَجْمَعُ
تَأْمَنُ خَدِيعَةً مِنْ يَغْرٍ وَيَخْدَعُ
مُتَطَوِّعًا بِأَبْرٍ مَا يُتَطَوِّعُ
أَبَدًا وَقَلْبٌ لِلْهَيْمَنِ يَخْشَعُ
تَاجٌ وَلَكِنْ بِالْإِشَاءِ يَرْصَعُ
كَنْدَى يَدَيْكَ وَمُزْنَةً لَا تُقْلِعُ
إِنْ الدَّمُوعُ عَلَى سِوَاكَ تُضْمِعُ
لِلْعِلْمِ بَابًا بَعْدَ بَابِكَ يُقْرَعُ
وَقَضَى التَّأْدُّبُ وَالْمَسْكَارُمُ أَجْمَعُ

وقال أبو الرضى عبد الوهاب بن نوت المعري والعهد على الصفي (١)
والإفني الخريدة للعماد في رجال بني أبي حصين المعريين أبو الرضى عبد الواحد
ابن الفرّج بن النوت المعري المتوفى سنة ٤٨٠ هـ وهو الصواب إن شاء الله .

سَمُرُ الرِّمَاحِ وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَشْتَمُورُ
وَالدَّهْرُ فَاقِدُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةٌ
فَهَلْ تَرَى بِكَ دَارُ الْعِلْمِ عَالِمَةٌ
وَالْعِلْمُ بِعَدِّكَ غَمْدَاتٌ مُنْصَلَةٌ
فِي أَخَذِ ثَارِكَ وَالْأَقْدَارُ تَعْتَذِرُ
كَأَنَّهُمْ بِكَ فِي ذَا الْقَبْرِ قَدِ قُبِرُوا
أَنْ قَدْ تَزَعَزَعَتْ مِنْهَا الرُّكْنُ وَالْحَجَرُ
وَالْفَهْمُ بِعَدِّكَ قَوْسٌ مَالَهُ وَتَرُّ

(١) النكت ١١٠ - ثم انه حقق ظني خبر ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن
سنان الخفاجي الذي أورده الأزدي في البداهة ٢: ٤٤٠ ورد فيه اسمه عبد الواحد
- فالحمد لله على ذلك - ثم وجدته في نسخة الوافي للصفي الخطية بليكن أبو الرضا عبد الواحد
بن نوت على الصواب . فتعين أنه مصحف في النكت أو سبق قلم

ما كتب فيه

(١) جزء في أخباره لأبي طاهر السلفي تلميذ التبريزي . وهو أقدم كتاب صنف في أخباره . ولا نعرف عنه غير أن ابن خلدون (١) والأزدي صاحب بدائع البدائنه روي عنه لغز الطبري وجواب أبي العلاء لما ورد بغداد على ما مر . وغير أن الذهبي قد أكثر عنه من نقل أخباره في تاريخ الإسلام له . قال السلفي (٢) وقد أورد قدراً كافياً من مناقبه ومثالبه « وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات . وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير » وقال أيضاً (٣) « انه تاب وأناب »

(٢) العدل والتحري في دفع الظلم والتجري على أبي العلاء المعري للإكمال ابن العديم الحلبي يروي فيه عما وجدته بخط أبي اليسر شاكر وهو حفيد حفيد أبي المجد أخى أبي العلاء الأكبر وكان جُلّ ما أورده ياقوت من أخبار أسرته من الباب الثاني منه ويروي عنه الصفدي في النكت . والعجب من ياقوت وهو صاحبه أنه لم يذكر هذا الكتاب في ترجمته وذكره الكتبي (٤) والصفدي (٥) وخليفة وابن الوردي في تاريخه . وقد وجد أكثره .

(١) ٢٣٣ : ٢ - ١١٤ - ولاء -

(٢) ذ ١٣٥ -

(٣) نكت ١٠٤ ولفظه وأظن الحافظ السلفي قال انه الخ

(٤) ١٠١ : ٢ وسماه دفع الظلم والتجري عن الخ كما في الكشف

(٥) نكت ١٠٥ وسماه التجري في دفع التجري على الخ و ١٠٩ وسماه دفع التجري

وعلى نسخته المحرومة الآخر بدمشق الانصاف والتجري ومثله في نسخة مصر

(٣) دفع المعرة عن شيخ المعرة لمؤلف من الاعيان مجهول وهو أقدم من ابن العديم عصرأ نقل عنه ابن الوردي في تاريخه ^(١) أن أبا العلاء وجد في الزوم متذبذبا حاراً في الدين لكن الكتب التي ألفها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تصليح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده . والضوء خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها اه .

(٤) نصر الأعيان ^(٢) على شعر العميان لابن الوزير اليماني صاحب إيثار الحق على الخلق في التنفير من شعر أبي العلاء .

(٥) رجمة العفريت ^(٣) ردّ فيه عبدُ الله بن سعيد أبو منصور الكاتب المتوفى سنة ٤٨٠ هـ على المعريّ . فأنت ترى أن الذين قاربوا عهده . لم يؤثروا إلا مدحه وحمده . وأما الذين جانبوه دياراً أو باعدوه أعصاراً فقد عرفوا وما عرفوا ونبذوا الرجل بما بدا لهم وقرفوا . فظهر مصداق قول الصاحب ابن العديم ^(٤) إن الذين لقوه وعرفوه وصفوه بكل جميل والذين هتّكوا عرضه لم يلقوه ولا عرفوه .

(٦) وذكر ياقوت ^(٥) لشُمَيْمِ الحَلِّيِّ كتاباً اسمه الإشارات المعريّة ولم يزد عليه شيئاً .

(١) ١ : ٢٦٠

(٢) مجلة الزهراء سنة ١٣٤٣ ص ٢٨٨

(٣) البغية ٢٨٢

(٤) قال ابن الوردي قال ابن العديم في العدل انه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه فوجد كل من ذمه لم يره ولا صحبه ووجد كل من لقيه هو المادح له -

(٥) أدبا ٥ : ١٣٨

تأليفه

(١) وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أنني صنفت ألف كتاب وجد ياقوت ثبت كتبه بخط أحد مستمليه فسرده والذهبي ولكنه اختصره اختصاراً مجحفاً ولم أر في سرده فائدة فتركت بعض أوصاف المعدومات ورتبت الكتب على حروف المعجم وقابلتها بما عند الذهبي وعلامته (هـ) والصفدي في الوافي وعلامته (ص) والحاج خليفة وعلامته (ك) وعلامة السكراة (كر). وزدت بعض أسماء عثرت عليها في مظان غيرها. وهذا أول الثبت:

« قال الشيخ أبو العلاء رضي الله عنه لزمتم مسكني منذ سنة أربع مائة واجتهدت على أن أتوفى على تسبيح الله وتمجيده إلى أن أضطر إلى غير ذلك. فأملت أشياء وتولت نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم أحسن الله معاونته فالزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاً لأنه أفنى في زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه. والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء » اهـ

- (١) كتاب أدب العصفورين ي دك. كتاب العصفورين هـ - رسالة -
 (٢) كتاب استغفر واستغفري ي هـ - ١٢٠ كر. نحو ١٠٠٠٠ بيت.
 روى عنه الزمخشري في الكشف^(٢) بيتاً وابن أبي أصيبعة^(٣) ثلاثة وسماه
 كتاب الاستغفار وانظر الفائق (ب و د)

(١) س ٢ : ١٣٩

(٢) تفسير « ومن یرتد منکم عن دینہ » الآية

(٣) ١ : ٨٨

- (٣) إسعاف الصديق ٣ أجزاء يتعلّق بالجلّ ي هـ ك .
- (٤) كتاب الأنواء له ذكره البغداديّ في الخزانة^(١) وراه .
- (٥) كتاب الأيك والغصون وهو كتاب الهمزة والردي وهو أكبر كتبه ي هـ ك بُنى على ١١ فصلاً لكل حرف فجعلها ٣٠٨ . مثلاً السماء بالحرركات الثلاث . سماء منوّناً . سماءه بالثلاث . سماءها بالثلاث . عباءة . وهو في العظاات وذمّ الدنيا في ٩٢ جزءاً وفي ١٢٠٠ كر . قال هـ وقد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلّد الأول منه بعد المائة قال ولا أعلم ما يُعَوِّزُه بعد ذلك^(٢)
- وقال ابن خلكان حكى لي من وقف الخ
- (٦) كتاب تفسير الهمزة والردي جزء ي و ص .
- (٧) كتاب الأمالي نحو : ١٠٠ كر . هـ ك . قال ك ولم يكمله . قلت وكأنه عناه بقوله في ل :
- أُماليّ فيما أَرى راحة مدي الدهر من هَذيان الأُمالي
ويمكن أن يكون أراد بالأُماليّ في البيت جميع ما كان يُملّيه على كُتّابه
كأننا ما كان
- (٨) تاج الحرّة في عظاات النساء خاصّة نحو ٤٠٠ كر . ي هـ ك .
- (٩) تضمين الآي^(٣) وهو كتاب مختلف الفصول . ي . مختلف الفصول هـ . كتاب الفصول ك .
- (...) تظلم السور انظر نظم السور
- (١٠) تعليق الخلس هـ ولعله الصواب . تعليق الجليس ي ويتّصل بجُمْل
- (١) ١ : ١١
- (٢) ترجم هذه الجملة مرجليوث بقوله انه غادر غيره من الكتب غير مفيد فبالعجب
- (٣) وفي خزانه ليدن مجموعة خطية فيها رسائله وفصول له فهل هي من هذا الكتاب
- وانظر فهرستها ص ٢٩٥ -

الزجاجي جزء.

(١١) جامع الأوزان (البحور) الخمسة عشر بجميع ضروبها وقوافيها
من ي ك. جامع الأوزان والقوافي هـ - ٦٠ كر - ٣ أجزاء - ٩٠٠٠ بيت.
(١٢) غريب ما في هذا الكتاب نحو ٢٠ كر هـ. وقد ذكرنا ما عثرنا عليه.

من شعره في الفائنات.

(١٣) كتاب الجلى والجلي (?) ي. كتاب الحلى والحلى هـ. سألته فيه
صديق له من أهل حلب يعرف بابن الحلى. مجلد - ٢١ كر.
(١٤) كتاب الحقيير النافع ي هـ ك مختصر في النحو ٥ كر.

(١٥) كتاب يتصل به يعرف بالطل (ي بالطل ص) الطاهري أنشأه لرجل
يعرف بأبي طاهر حلبى (?).

(١٦) خطبة الفصيح ي هـ ك^(١). يتكلم فيه على أبواب الفصيح قال ابن
الخير ضمن جميع ما حواه الفصيح. خطبة في تحميد الله سبحانه وما قاربه من
العظائم رواها ابن الخير عن أبي محمد بن عتاب عن أبي عمرو السفاقسي عنه
وعن ابن العربي عن التبريزي عنه أيضاً ١٥ كر.

(١٧) تفسير خطبة الفصيح ي ك. شرح فيه غريبه. وعارضه^(٢)
الحافظ أبو الربيع الكلاعي بكتاب سماه جهد النصيح في معارضة المعرى في خطبة
الفصيح كما مر.

(١٨) خطب الخيل ي ك. يتكلم على ألسنتها - ١٠ كر.

(١٩) حماسية الراح. ي هـ ك حماسية الراح وهو تصحيف. اكل حرف

(١) ونهرست ابن الخير ٤١٢ و ٣٤٣

(٢) النفج مصر ٢ : ٥٨٧

خمس سجعيات مضمومات وخمس النخ ١٠ كر

(٢٠) دعاء الأيام السبعة ى ص .

(٢١) دعاء وحرز الخيل (?) ي .

(٢٢) دعاء ساعة ى ص .

(٢٣) ذكرى حبيب ى هـ ك في غريب شعر أبي تمام سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكتب ٤٠ أجزاء ٦٠ كر . وهذه الكتب المسئول في تأليفها إنما تكلفها مؤلفها من فرط الحياء وهو لتأليفها كاره . قال فيه إنما أغلق شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه فتناقلته الضعفة من الرواة . وذكر فيه الأبيات المشكلة من شعره متفرقة .

(....) كتاب ديوان الرسائل ى هـ ك - وهو ثلاثة أقسام الأول رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة مثل (٢٤) كتاب رسالة الملائكة^(١) و (٢٥) كتاب الرسالة السندية^(٢) جزء و (٢٦) كتاب رسالة الغفران^(٣) جزء و (٢٧) كتاب رسالة الفرض (ي. العروض ك) جزء ونحو ذلك - والثاني رسائل دون هذه في الطول مثل (٢٨) رسالة المنيع^(٤) و (٢٩) كتاب رسالة الاغريض . والثالث (٣٠) كتاب الرسائل القصار^(٥) كنحو ما يجري به العادة في المكتبة قيل إنه ٤٠ جزءاً^(٦) وقيل إنه ٨٠٠ كر - ى هـ . (٣١) كتاب

(١) التي طبعناها وصححنا

(٢) وهد - ك السندسية وهو تصحيف . عملها السند الدولة روى مرجليوث ٣١ من ابن المديم أنه كان نقل من أفامية الى حلب والياً عليها سنة ٤١٤ هـ

(٣) نقلوا عنه أشياء في شرح الدرة للخفاجي ٦٩ - وشرح ابن نباتة بهامش الفيت ٢ : ١٩٠ وياقوت ١ : ١٩٠ و ٣ : ١٣ والفيت ١ : ١٥٠

(٤) نقل عنها ابن الشيخ ١ : ١٢١ -

(٥) نقل عنها الصفدي في الفيت ١ : ١١٢ و ٢ : ١٠٢

(٦) وجاء في عنوان المطبوعة ولم تكن المراسلة بينه وبين الناس كثيرة وإنما اتفق ذلك في بعض الاحيان . فكيف تكون اذا نحو ٨٠٠ كر فامل هذا مقدار مجموع رسائله ومنها العلمية وكان ما رويناه من العنوان يقتصر على رسائل الحاجات .

خادم^(١) الرسائل هـ ك . في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل مما يحتاج اليه
المبتدئون في الأدب ٢٠ كر . أقول وذ كر ابن الخير^(٢) الاغريضية وشرحها له
و (٣٢) الفلاحية وشرحها له . وذ كر هـ^(٣) في خارج الثبت (٣٣) رسالة الطير
له على نهج الملائكة والغفران . وزد فيها (٣٤) رسالتين له الى داعي الدعاة
و (٣٥) ثبت كتبه أيضاً . ورسالة المنيح ورد اسمها في المطبوعة ربح المنيح .
وأما الاغريضية فقد سردها القلقشندي^(٤) على طولها وشرحها^(٥) أيضاً فصيح
ابن صبغة الله الحيدري من علماء آخر القرن الثالث عشر وقدمه الى مصطفى
فاضل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر .

(٣٦) الرسالة الخطية ص - الحضية ي - والصواب ان شاء الله الخطية

بالطاء المعجمة

(٣٧) رسل الراموز - ي - رسيل الراموز هـ . نحو ٣٠ كر

(. . . .) رسالة الضبعين يأتي في ذكر اللزوم

(٣٨) رسائل المعونة ي ك - رسالة المعونة هـ - وهي ما كتبت على

ألسن قوم

(٣٩) الرياش^(٦) المصطنعي ي هـ ك - في شرح مواضع من الحماسة الرياشية

(١) ك خادمة - وورد في حاشية الصبح شرح رسائل أبي الملاء (١٤ : ١٨٩)

فهل هو هذا ؟

(٢) فهرست ٤١٢

(٣) ١٢٩

(٤) الصبح ١٤ : ١٩٠

(٥) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية انظر فهرستها ٤ : ٣٤٢

(٦) منه نسخة بالخزانة المصرية في مجلد مكتوبة سنة ٦٥٤ . فهرستها ٤ : ٢٦٩ ونقل

جاكوت منه فصلا في ترجمة أبي رياش ٧٤ : ١

(يريد حماسة أبي تمام بشرح أبي ريش) عمل لرجل يلتب بمصطنع الدولة ويخاطب بالإمرة واسمه كليب بن عليّ ويكنى أبا غالب أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية وسأل أن يخرج على حواشها شيئاً فخشي أن يضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب وجمع فيه ما سنع مما لم يفسره أبو ريش - ٤٠ كر - روى هذا الشرح عنه التبريزي واطن أنه أودع في شرحه منه جملة صالحة .

(٤٠) رسالة على لسان ملك الموت . ي ص .

(٤١) سجع الحائم يتكلم فيه على ألسن حائم أربع ي هـ ك . وكان بعض الرؤساء سأل أن يصنف له تصنيفاً يذكر فيه فأنشأ هذا الكتاب وجعل ما يقوله على لسان الحماسة في العظة والحث على الزهد ٤ أجزاء ٣٠ كر .

(٤٢) كتاب السجعات العشر موضوع على أن لكل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ - ي هـ .

(٤٣) السجع السلطاني ي هـ ك - يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقة ولا قدم له في الكتبة سأل أن ينشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره وهو لا يشعر بما يريد لقلّة خبرته بالأدب فألف له هذا الكتاب ٤ أجزاء .

(٤٤) سجع الفقيه جزء ٣٠ كر - ي هـ ك .

(٤٥) سجع المضطرين ي هـ ك - عمله لرجل مسافر (تاجر . ك) يستعين

به على أمور دنياه

(٤٦) سقط الزند - ي هـ ك - كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر الأول

٣٠٠٠ بيت

فيه أشعار قيلت فيما بين ١٥ - ٥٥ أو ٧٣ من عمره ^(١) وجلة من شعر الصبي والشباب والكهولة ببغداد وبالمعرة بعيد الرجوع . قال ابن الأثير ^(٢) في ترجمة أبي العباس أحمد الرعياني أنه كان يستظهره (٤٧) كتاب ضوء السقط تفسير غريب سقط الزند ^(٣) ٢٠ كر . قال التبريزي في شرح ^(٤) « من » كنت أراه يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه أعنى س وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه اذا قرئت عليه ويقول معذراً من تأبىه وامتناعه من سماع هذا الديوان مدحت نفسي فيه فلا أستهي أن أسمعه . وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح ما يشكل عليه من من فأملى عليه الى الدرعيات غير انه وقع فيه تقصير من جهة المستمل . وذلك انما يستملى عن بعض الأبيات منه واهل أكثر المشكلات واذا استملى معنى بيت لم يستقص في البحث عن إيضاحه فجاء التفسير كأنه لمع من مواضع شتى لم يشف به العليل . وشعره كثير في كل فن وميل الناس على طبقات من شاعر مفلق وكاتب بليغ الى هذا الفن أكثر ورغبتهم فيه أجدر وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه لانه سلك فيه طريقة حبيب بن اوس وأبي الطيب وهما في جزالة

(١) زعم مرجليوث ومن تبعه أن آخر شعر س ما قيل في القاضي عبيد الوهاب سنة ٤٢٠ هـ ولكن صاحب شرح المجاني ١٢٤٩ ذكر ان جعفر بن هلي بن المهذب الفقيه الاديب الذي رثاه ابو العلاء بدالية من س كان توفي نحو سنة ٤٣٥ هـ والمهدة عليه فان صح قوله هذا فانه يناقض مزعم مرجليوث . والفقيه ليس ابن المهذب بالدال المهمة كما قد تصحف على شارح المجاني وصاحبه مراراً ولا هو ابن جعفر كما قد تصحف على صاحب ذ ٢٦٠

(٢) عدد ٢٥٢ من التكملة طبع الجزائر

(٣) منه نسخة بخزانة باريس وأوله قد علم الله جلت كلمته أن أول النسخ في ٩٣ ورقة

وعددها ٣١١١

(٤) ك « سقط الزند » وشرح التبريزي نسخة خزانة باريس عدد ٣١١٢ وهو في

٥٥ أوراقاً . واخرى بكمبريدج وعدده في فهرستها ١١٩ واسمه الايضاح في سقط الزند وضوئه

اللفظ وحسن المعنى (كذا) . وأظهر المعجز في درعياته « النخ وذهب على العصريين أن الضوء هو شعره في الدرعيات وهذا وهم منهم

ومن أقدم شروحه بعد الضوء وشرح التبريزي وبعض شروح أخرى التنوير لأبي يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخوئي - وخوئي بلد بأذربيجان - الأديب الفاضل وكان فقيهاً بارعاً حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر كتب لأبي سعد السمعاني الإجازة . قال أبو سعد وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩ هـ أو قبلها بيسير وترجم له السمعاني ^(١) وإنما ترجمنا له لأن أهل العصر لم يعرفوا صاحب التنوير وأمه سنة ٥٤١ هـ

وشرح ابن السيد البطيلوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ قال ابن خلكان ^(٢) وهو أجود من شرح صاحب الديوان . ولكن ابن السيد أورد فيه كثيراً ^(٣) من شعر اللزوم وفستره ظاناً أنه من س . فلعله حسب ما ادخله أبو الفضل الدارمي وغيره - إذ ذاك بالاندلس من شعر الرجل وفيه جملة من اللزوم - كله من السقط . وقال ياقوت ^(٤) ان للأبيوردى كتاباً سماه صهلة القارح رد فيه على المعري سقطه وقال أيضاً ^(٥) ان لأبي القاسم الصيرفي اختياراً لديوان أبي العلاء (كذا ؟) وقال أيضاً ^(٦) ان لذي الفضائل الأخسيكتي (صاحب نقيضة تأتي) كتاباً سماه كتاب زوائد في شرح سقط الزند .

ومن شروحه ضرام السقط لصدر الأفاضل الخوارزمي وهو ممتع مغن

(١) ٢١٢ .

(٢) ١ : ٢٦٥ :

(٣) انظر شفاء الملبيل للخفاحي ١٩١ والف با ٢ : ٥٢ ٨٠٦ (ل ٢ : ٢٨٠)

٧٣ - ١ : ٣١٦

(٤) أدبا ٦ : ٣٤٦

(٥) ٥ : ٤٢٣

(٦) ٢ : ١١١

وقد رأيتُه واستفدتُ منه كثيراً . ومنها شرح ابن خطيب الرى الامام فخر الدين الرازي وشرح الشرف البارزي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ ذكرهما خليفة . وهذا كله دليل على أن الذي استهان به صاحبه من أعماله وقع من الناس موقعاً كريماً وأن الذي آثره عليه من تأليفه في الزهد طارت بها عنقائه مغرب فلم يوقف لها على عين ولا أثر

وقد أتيت على أكثر من مما له علاقة في جمع تاريخ الرجل في مظانه من كتابي هذا فاستغنيت عن إعادة القيل .

(٤٨) كتاب سيف الخطبة ي . كتاب الخطب هـ . سيف الخطيب ك . جزآن . يشتمل على خطب السنة فيه خطب للجمع الخ . ومقداره ٤٠ كر . وكان سأل في هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة فصنف له .
(٤٩) شرف السيف ي هـ . شرف السلف ك . عمل للرجل الذي كان مقماً بدمشق وهو المعروف بنشتمكين الدزبري . وكان السبب في عمله أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ويخفي المسألة عنه فأراد جزاءه على ما فعل جزآن . نحو ٢٠ كر .

(٥٠) شرح سيبويه لم يتم ي هـ ك . مقداره ٥٠ كر . شرح بعض سيبويه هـ .
(٥١) كتاب الصاهل والشاحج ي هـ ك . يتكلم فيه على لسان فرس وبغل . مقداره ٤٠ كر . صنّفه لأبي شجاع فاتك الملقب بعزير الدولة والي حلب من قبل المصريين وكان رومياً . وعند هـ و ك رسالة الصاهل الخ . وصنع (١) محمد بن عبد الغفور الكلاعي رسالة سماها بالساجعة والغريب هذا بها حذو صاحبنا في الصاهل . وانظر فصل « هو والاندلس » . وورد ذكره في رله (١)

الى ابن سعيد وهي ال ٣٦ .

(٥٢) لسان الصاهل والشاحج من فهرست ابن الخير^(١) .

(٥٣) ظهير العضدي ي . ظهير العضد ص . ظهر العضدي ك . كتاب في

في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي (لأبي علي الفسوي)

(٥٤) عَبَثَ الوليد فيما يتصل بشعر البحتري وكان سبب إنشائه أن بعض

الرؤساء أنفذ نسخة ليقابل له بها . فأثبت ماجرى من الغلط ليعرض ذلك عليه .

ي هـ ك . وهو جزء واحد ٢٠ كر . وزعم ابن خلكان^(٢) أنه مختصر ديوانه .

والصواب ما هنا ونقل صاحب ك عن بعضهم أنه يتضمن أغاليط البحتري في ديوانه . وهو أيضاً جُزَاف من القول^(٣)

(٥٥) كتاب عِظَات السُّور . ي ص

(٥٦) عون الجمل ي هـ ك عمل لابي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم

وهو آخر شيء أملاه - زادك ولم يتم وهو شرح لشواهد . قوله وهو

آخر الخريد إذ أُملي هذا الثبت وإلا فقد روى ابن الوردي^(٤) عن دفع

المعرة أن ضوء السقط خاتمة كتبه ويشهد لقوله ما ذكره التبريزي في شرح س

وترك هـ لذكر الضوء أيضاً دليل على ما ذكرنا . وذكر هذا الكتاب ابن

العديم أيضاً في العَدَل قال هو في شرح شيء من الجمل

(١) ٤١٢

(٢) ١ : ٣٤

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية انظر الفهرست ٤ : ٢٨١ وفيها ذكر في هذا

الكتاب ما في ديوان البحتري مما أصح من الفاظ الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها أنها

بخط ظفر بن عبد الله العجلي - وهي في جزء كتبت سنة ١٢٩٧ هـ بالمدينة المنورة . ونقل

عنه في مقدمة رسائل البلاغ أن المتقدمين كانوا ينكرون ادخال آل على كل وبعض انظر ١٤

أقول ومثله في الغفران ١٥١ وفي تصحيح اللسان ق ٢ ص ٤١ في منع المنصرف ، وفي شفاء

العليل ١٣١ في طوبى مضافا

(٤) تاريخه ١ : ٣٦

(٥٧) الفصول والغايات زاد ابن الجوزي (كما عندك) وغيره ^(١) في محاذاة السور والآيات وقال الذهبي ^(٢) وكأنه معارضة منه للسور والآيات فقليل له أين هذا من القرآن فقال لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة اه وليست هذه الزيادة في الاسم في الثبوت عندي وه . فالظاهر أنها من أعدائه الذين رموه بكل ما شاؤا . وان صحت فليس معناها المعارضة بل المحاذاة عمل شيء على حذاء شيء كما عمل تضمين الآتي وللشريف الرضي ^(٣) كتاب في محاذاة الآثار النبوية فهل يقال انه عارض الحديث كما يقال إن أبا العلاء عارض القرآن هب أنه عارض فكيف شنع على ابن الراوندي بعد ذلك بدهر طعنه على القرآن في الدامغ وهذا لفظه في الغفران ^(٤) « وأجمع واحد ومهتد . وناكب عن المحجة ومقصد . أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد بهرَ بالاعجاز ولقي عدوه بالارجاز ما حُذِي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال . ما هو من القصير الموزون ولا الرجز من سهل وحزون . ولا شا كل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الأرب . وجاء كالشمس اللائحة وتلك الأمثال نضربها للناس لعالم يتفكرون . وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتألي . في جنح غسق » الخ قال الباخرزي وإنما تحدثت الألسن بأساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به

(١) كالبخري في الدمية

(٢) ١٣٢

(٣) انظره في نهج البلاغة المطبوع بشرح ابن أبي الحديد ٤ : ٥٥٧ ولو قال بنفسه فيه انه معجز لكان له متفصي بأن الزمخشري قال في مقامات الحريري : معجزة تعجز كل الوري ولو سروا في ضوء مشكاته

وقال ياقوت (٦ : ١٧٠) بعد اطرائها حتى لو ادعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلا عن أن يأتي بمثلا اه

(٤) ١٥٨

القرآن وعَنَوَنَه بالفصول والغايات في محاذاة السور والآيات اه قلت وقد قال الأول « زعموا ^(١) » مطية الكذب واعراض المسلمين حُفْرَة فليتنكب عنها من يَضَنّ بدينه . وكيف نزع بمشايع الاسلام كالصابوني والقاضي عبد الوهاب والمهر كاري أن ينزلوا على هذا الدهري البرهمي الزنديق

قيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته الى بغداد وأتمه بعد عودته الى معرّة النعمان وهو ٧ أجزاء ومقداره ١٠٠ كر . ولا جرم أن الناس ذمّوا الكتاب في كلّ زمان . ونقل ياقوت ^(٢) في ترجمة شيخه الوجيه ابن الدهان أن خازن دار الكتب برباط المأمونية غسله وتبجّج بصنيعه هذا بحضرته فخطأه الوجيه محتجاً بأنه إن كان خيراً من القرآن - وحاش لله أن يكون - فلا يجب أن يفرط في مثله وإن كان دونه فتركه معجزة للقرآن فاستحسن الناس قوله ووافقه الخازن على ذلك وكنت رأيت في مظنة فاتى تقييدها أن بعض الناس ارتاب في أن يكون المعري صنع كتاباً هكذا . إلا أنه وجد في عصرنا جزء منه ^(٣) لم نرفيه شيئاً

(١) هذا المثل أغفل عنه أصحاب كتب الامثال كما قال ابن الدماميني في المنهل الصافي (مخطوط عندنا) قال وذكر بعضهم أنه روى مظنة الكذب . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن صفوان بن حمير الكلاعي قال : بنس مظنة المسلم زعموا انما زعموا مطية الشيطان . وأخرج ابن سعد في الطبقات عن شريح القاضي قال : زعموا كنية الكذب اه وكنت قرأت هذا المثل في الدهر الاول في لب الالباب وهو متن في النحو مخطوط هندي . فان أجاب بعض المستعربة أن اعترافه باعجاز القرآن كان فراراً بنفسه عن بطش أهل الصلاة في الدين قلنا انه هجا صاحبنا من حيث أراد مدحه كما قال هو في النصارى . ل :

وقد شهد النصارى أن عيسى توخته اليهود ليصلبوه
وما أبهوا وقد جعلوه ربا لئلا يشكوه ويحمدوه

(٢) ٦ : ٢٣٥

(٣) وجده صديقنا الفاضل الجليل محب الدين الخطيب حرسه الله بالحجاز ونقل منه فصولاً في الزهراء سنة ١٣٤٣ هـ فله بذلك صنعة لا تنكر وفضل لا يمحط

مما يصدق قارئه وإنما هو كتاب في العظات والزهد كملقى السبيل ليس إلا^(١) وكنا اطلعنا من قبل على فصل عند البديعي^(٢) وياقوت^(٣).

(٥٨) إقليد الغايات مقصور على تفسير اللغزى (ك ه اللغة) مقداره ١٠ كر

(٥٩) كتاب السادن ه ك. الشادن ي. أنشأه في ذكر غريب هذا

الكتاب وما فيه من اللغز ٢٠ كر

(...) الفصول هو تضمين الآي

(٦٠) فقه الواعظ ه. وقال ياقوت وكتاب آخر يعرف بوقعة الواعظ فهل

صوابه برقعة؟

(٦١) كتاب بعض فضائل أمير المؤمنين علي ي. كتاب مناقب علي ه

(٦٢) قاضي الحق يتصل بالكتاب المعروف بالسكافي الذي ألفه أبو

جعفر النحاس. ي ه

(٦٣) كتاب القائف (سقط من نسخة ي) ه ك علي معنى كيلة ودمنة

نحو ٦٠ كر. ك لم يتم (وأنا أرتاب بحكه هذا) عمله لعزیز الدولة المار كما ورد في ر ٣٦.

(٦٣) منار القائف في تفسير ما جاء فيه من اللغز (ي - اللغة ه)

والغريب ١٠ كر. ي ه ك

(٦٤) اللامع العزيزي^(٤) ي ه ك وهو معجز أحمد أيضاً. في تفسير

(١) عند البديعي ١ : ٣٣ قال ابن سنان [عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر ابن صاحب أبي العلاء] وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمنزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة

(٢) ١ : ٣٣

(٣) ١ : ١٧٧

(٤) منه نسخة في منشئ وأخرى في دار النخف البريطانية وأخرى في بظر سبورغ.

آداب العربية لزيدان ٢ : ٢٤٨ ونقل عنه واستنبط نوها من البديع ابن حجة في الخزانة ١٨٤

شعر المتنبي ، عمل للامير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الامراء أبي الدوام ثابت
ابن ثمال بن صالح بن مرداس ١٢٠ كر

(٦٥) لزوم ما لا يلزمى هـ ك . ومعناه أن القافية يردّد فيها حرف لو غير
لم يكن مُحِلّاً بالنظم كما قال كُشَيْبَر :

خليليّ هذا ربع عزّة فاعقلا قلو صيكا ثم انزلا حيث حلت
فلزم اللام قبل التاء وذلك لا يلزمه في ٣ أجزاء نحو ٤٢٠ كر ^(١) يحتوي
على ١١٠٠٠ بيت من الشعر .

(٦٦) زجر النابحى هـ ك . يتعلق بالزوم وذلك أن بعض الجهال تكلم
على أبيات منه يريد بها التشهير والأذية فالزم أبا العلاء صدقائه أن ينشيء هذا
الكتاب فأنشأه وهو كاره . جزء في ٤٠ كر . ولا أدري هل هو رسالة الضبعين
بعينها التي كتبها أبو العلاء الى معز الدولة ^(٢) علي (؟) ابن صالح يشكو اليه
رجلين كانا يؤلّبان عليه وينسبانه الى الكفر والاحاد أم هو غيرها وكان هذان
قد حرّفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك . أحدهما
الشريف ابن المحبّرة الحلبيّ قال ابن العديم في العدل قال أبو العلاء في هذه
الرسالة « وفي حلب حماها الله نسخ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثقات
يعرفون ببني أبي هاشم جرت عادتهم أن ينسخوا ما أمليه اه

(٦٧) بحر الزجرى هـ . كتاب يتعلق بزجر النابح مقداره عشر كر .

(٦٨) راحة اللزوم يشرح فيه ما في اللزوم من الغريب نحو مائة كر

(٦٩) كتاب الراحلة (ى فقط وقد ذكر راحة اللزوم أيضاً) ٣ أجزاء

(١) كذا عندي ، وعند هـ وك ١٢٠ كر وهو الصواب ان شاء الله

(٢) كذا ومر في فصل للوك أن معز الدولة هو ثمال بن صالح

في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم . ولعل التفسيرين شيء ولكن تعدد على
ياقوت فذكرهما

والنسخة المطبوعة منه لعلها فقدت بعض أبيات كما قد دللنا عليه في نحو ستة
مواضع من الفائت فانظره . ويوجد منه كثير من النسخ الخطية ^(١) . وله المقدمة
فيما يلزم الشاعر وما لا يلزمه في قرض الشعر ولكن جاء في بعض النسخ ^(٢)
مقدمة بسط الشاعر فيها تبرؤه من قصد الإلحاد بأوضح بيان وقال إن غرضه
التفنن بالشعر . فهذا دليل على انتشار الكتاب في حياته واستجلابه به السمعة
بالإلحاد وأن النسخ منه لا تتفق وأن الباعث على تأليف زجر النابج ما مر
وإن صح ما مر عن ابن كثير في البيتين يد الخ فهو دليل على أنه نظم
بعضه ببغداد . ويظهر من بيته فيه :

رويدك إن ثلاثون استقلت ولم يُنِيبِ الفتى فتى يُنِيبِ

أنه أخذ فيه وعمره ٣٠ سنة أي نحو سنة ٣٩٣ هـ وقد أكثر فيه من ذكر
الأربعين والخمسين وهذا يدل على أنه نظم جله ما بين ٤٠٠ - ٤١٠ وتوالى
ذلك الى سنتي ٤١٧ هـ و ٤١٨ هـ عامي شفاعته الى صالح وورثائه لأبي القاسم المغربي
الوزير - فلعلنا لا نخطأ إن قلنا ان شعره لا يتجاوز سنة ٤٢٥ هـ كأننا ما كان .
وقد اشتهر أكثره في حياته فبلغ بيته (غدوت الصحائح) الداعي بحلب
وبيته (أرى ولد عقيما يتيما) التنوخية الصغير ببغداد قبل
سنة ٤٤٠ هـ . وعمل في أثناء هذه المدة عدة من كتب أخرى كالفصول والكتابين
الذين رسمهما باسم عزيز الدولة وغيرها

(١) بالخزانة المصرية احداها حديثة النظر فرستها ٤ : ٢٩٨ ونسخة بايا صوفيا عددها

في دفتره ٤٠٣٦ وهسبها مؤلفها نسخة من س

(٢) هو عند سليم . دور افندي وهو قديم - المشرق ٥ : ٤٧

وأقدم نسخه الموجودة نسخة ابن الخشاب^(١) قارئه على ابن الجواليقي وثبت عليه صورة قراءة ابن الخشاب على ابن الجواليقي سنة ٥١٧ هـ وصورة سماع ابن الجواليقي على التبريزي وهي : « قرأ عليّ الشيخ الأديب أبو منصور موهوب بن أحمد نفعه الله بالعلم هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتصحيح وسمعه بقراءة العلاني كاتبه عليه من أوله آخره وبقراءة غيره وقرأت منه شيئاً على أبي العلاء وكتب يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي سنة ٤٩٦ هـ بمدينة السلام » اه قال الجواليقي أنشدنا الشيخ الإمام أبو زكريا لنفسه في هذا الكتاب :

تمتّع به علقاً نفيساً فإنه مقال بصير بالأمور حكيم
أراك من الدنيا حقيقة حالها وسكانها من جاهل وعليم
وأما صنعة اللزوم فإنه تتبع فيها كثير عزة في لاميته الشهيرة وهي بتمامها
في الأمل^(٢) للقال^(٣) وإنما خصّه لأن له قصيدة طويلة وقال . ل :
كثير أنا في حرفي أهبت له في التاء يلزم حرفا ليس يلتزم
والإ فإن كثيرين التزموا أشياء وذكروهم في مقدمة^(٣) ل . وممن لم يذكروهم

(١) بخزانة ليدن انظر ص ٤٠٠ من فهرستها ثم رأيت نسخة أخرى تضاهيها في القدم أو تفضل عليها ببومباي وثبت عليه من الاجازات وبيتى التبريزي وغيرها مما هو مثبت على نسخة ابن الخشاب كله وهي أيضا منقولة من نسخة الجواليقي وثبت عليها بيتان آخران من غير عزو الى أحد وما :

ان كنت متخذاً الجرحك مرهاً فكتاب رب العالمين
أو كنت مصطحباً حكماً سالكا سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

(٢) ١٠٩ : ٢ وفيه أبيات من اللزوم كآيات كثير ٣ : ٦٩

(٣) ١٧ - ٢٠

عمرو بن معد يكرب^(١) وأبو أذينة^(٢) وعبد الله بن الزبير الأسدي وحجر
ابن حية الحماسي وطرفة والفرزدق وأبو تمام وغيرهم^(٣) إلا أن الذي يكاد يُرَبَّى
على جميعهم أبيات ذكرها الجاحظ في كتاب العصا له^(٤) عن الاصمعي وهي :

أعددت للضيفان كلبا ضاريا وهراوة مجلوزة من أرزن
ومعاذراً كذبا ووجها بأسرا وتشكيا عض الزمان الأرن
وشداة مرهوب الأذى قاذورة خشن جوانبه دلوظ ضيزن
وبكف محبوبك اليدين عن العلى والباع مسود الذراع مقحزن
وتجنيا لهم الذنوب وألتقى بغليظ جلد الوجنتين عشوزن

ولكن اللزوم صار بالتزامه له كأنه إحدى مخترعاته فتبعه كثير من الناس
ومر معظمهم في باب الاندلس وولع الناس بشعره ومن غيرهم شميم الحلي
له رسائل^(٥) فيه في كراستين وكتاب اللزوم في مجلدين

هذا ووجدت في ل قطعة أغفل فيها عن التزام حرف وقوافيها القديمة . مقبلا
عقبها . مستقبلا . تم

فإما أن يريه عدوا وإما أن يخلفه يتيما

وفي العنوان « وقال في الميم المفتوحة مع الياء » فكأنه اقتنع على هذا

(١) التبريزي على الحماسة ١ : ٨٢

(٢) التبريزي ٣ : ١٢٠ ولاشعار ابن الزبير للمعاهد ٢ : ١٠٥

(٣) انظر المثل السائر ١٠٧

(٤) الطبعة الثانية ٤١ وبعض هذه الابيات يوجد في حماسة البحتري أيضا بفك اللزوم

ص ٣٧٦ من الخطبة

(٥) أدباء ٥ : ١٣٩ - وللقاضي عبد الوهاب شعر فيه أورده ابن الشيخ ١ : ٢٧٤

«الالتزام وهو هين ليس من التعنت في شيء . لا يقال بالتصحيح أو التغيير فإن القوافي وردت هكذا في الغيث^(١) والادباء^(٢)»

وذكر بعض العصرين^(٣) أن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي كان يستظهر لـ

(٧٠) مبهج الأسرار لأبي العلاء كذا هو عندك فقط وانظر .

(٧١) «ثقال النظم في العروض جزء . ي ص .

(٧٢) مجد الأنصار في القوافي . ي ص .

(٧٣) المختصر الفتحي يتصل بكتاب محمد بن سعدان صنعه لرجل يكنى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وكان أبو هذا الرجل تولى اثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب فالزمه بذلك حقوقاً وأيادي كثيرة . ي ه والعدل .

(٧٤) «ملقى السبيل صغير فيه نظم ونثر . ٤ كر . ي ه . ولرجلين من أهل

المغرب معارضتان لهذا الكتاب مرتا في باب « هو والاندلس »

(٧٥) المواعظ الستى . المواعظ ه . المواعظ السنية ك وهو تصحيف .

يعنى ستة فصول في خطاب الواحد والاثنين والرجال والواحدة والاثنتين والنساء

١٥ كر . أوله كما في ك الحمد لله الذى عرف ونهم الخ

(٧٦) نشر شواهد الجهرة ولم يتم - ٣ أجزاء ي . تفسير شواهد الخ ص .

ورأيت على طرر نسخة من الجهرة^(٤) خطية عدة فوائد لغوية في غير الشواهد

(١) ٢ : ١٩٨ مع زيادة بيت ليس في ل وهو :

واما أن بصادفه حمام فيبقى حزنه أبداً مقبياً

ومرت قافية مقبياً فيلزم الايطاء

(٢) ٥ : ٣٠٢ .

(٣) الاستاذ الفاضل صديقنا محب الدين الخطيب في بعض أجزاء الزهراء سنة ١٣٤٣ هـ

(٤) بحيدر آباد ورق ٢٥ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ وغيرها

برويها القاضي أبو سعد عنه

(٧٧) نظم السور - ك . ظلم السور ص . تظلم السور - ي
وهذه الكراسة ليست بمعنى ١٠ أوراق . قال هـ وذكر أن ملقى السبيل
في ٤ كراريس قلت إنما مقداره ثمان ورقات فكأنه يعني بالكراصة زوجين من
الورق . أقول وهذا القول مقارب وانظر حجم ل
قال ي هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء . قالوا له
بعض كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتم وتمت وشذ عنا أسماؤها . وفي
اللسان أن تصانيفه نحو ٢٠٠ مجلد : وقال الرحالة ناصِرُ خُسرُو سمعت أن له
من الشعر ما يزيد على مائة ألف بيت . قال القفطي ^(١) وأكثر كتب أبي العلاء
عُدمت وإنما وجد منها ما خرج عن المعرفة قبل هجوم الكفار عليها وقتل أهلها اه
أقول وكان ذلك سنة ٤٩٢ هـ ثم أخذها المسلمون من الكفار سنة ٥٢٩ هـ

دار كُتبه

لاجرم أنه كان يملك خزانة بني سليمان وان كان التاريخ ترك أمرها غفلا .
وهذا أبو عدي النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم نرى خطه ثابتاً سنة ٥٢٥
على نقائض جرير والأخطل لا بي تمام وهو علق مَضْنَةً لم يعثر عليه جُلُّ
الأقدمين فيما أعلم

وكتب الي أبي طاهر خاله من المعرفة الى بغداد في استكتاب شرح
الكتاب لأبي سعيد . وإن كنا نراه يبالغ في الاعتذار عن التثقل الا أن

(١) ١٣٦ هـ - ونقل مرجليوث عن تاريخ نسخة تاريخ الاسلام بدار التحف
البريطانية وكان كارجح من أبناء المئة التاسعة أنه رأى جل كُتبه في مصر بينيه اه وهذه
جزاف من القول بل لو قال هذا في نحو الثالث من كُتبه لكان له وجه

شغنه بالكتاب وحرصه على استنساخه مستغنيان عن اقامة الدليل واطالة القيل
فان له في الامر عدة رسائل وهي ١٠، ١١، ١٢، ١٥. والسبب أنه لم يكن
وصل اذ ذاك بلاد الشام لقرب عهد الوضع والتأليف

وأهدى اليه رجل كتاباً ثبت عليه سماعه فقبله وشكره بقطعة ^(١) منها :
قد أتتني هديةً منك بالامس فقابلتها بحسن القبول
غير ان السماع في الكتب وقف وانتقال الوقوف غير جميل
ولما تقدم عزيز الدولة اليه باختصار كلية ودمنة كتب ^(٢) « فاما كلية
ودمنة فليس له نسخة عندي ولا تمكن به علمي ولا أذكر اني استكملته سماعاً
قط . ولما ورد كتابه المعظم سألت من جاءني منه بنسخة رديته وكلفته أن يقرأها
عليّ » الخ قوله فليس له نسخة عندي يشير الى أنه كان له دار كتب . وهذا
القول هو الذي حضني على اثبات هذا الفصل . ثم رأيت أن القاضي أباسعد
كتب على نسخة من الجهرة ^(٣) خطية : في نسخة الشيخ أبي العلاء كذا .
وهذا صريح في الباب ومر في فصل الحفظ أنه كان يملك من الجهرة نسخة
ليس في الدنيا مثلاً

وأما الكتب التي ورد ^(٤) ذكرها في تأليفه المعلومة فهناك جدولاً لاساميتها
و (ر) علامة الرسائل و (غ) للغفران و (ل) للزوم و (م) للسقط و (مل)
للملائكة

(١) س ٢ : ٢٢٤ -

(٢) ر ص ١٢٠

(٣) بحيدر آباد ورق ٢٥ -

(٤) وفي ذآن مؤرخي أبي العلاء لم يبينوا لنا الكتب التي بدأ يدرسها في النحو
واللغة والآداب . فلو أنهم فعلوا ذلك لكان من اليسير علينا أن نلتبس هذه الكتب
فنصفها الخ ص ١٤٢ - وظني أن في جدولنا بعض كتب بدأ يدرسها ان شاء الله

حاسة أبي تمام	٦٦	كتاب الابدال لاثني	١٩٢	غ
كتاب الحناء لابن عمرو	٣٥	الطيب اللغوي		غ
الشيباني		كتاب الاتباع له صغير	٤	د
الدائم لابن الراوندي	١٥٨	كتاب الاجناس للاصمعي	٣١	د
شعر أبي عبادة البهتري	٢١ : ١	أخبار بشار	١٤٠	د
ديوان تيم اللات . مر في	١٢٠ : ٢	أخبار الفرزدق	٢٠١	د
أشعار تنوخ		أراجيز رؤبة	١٦٥	د
ديوان الحارث بن حلزة	١٧٢	أراجيز عدة من الرجاز	١١٥	د
شعر حسان بن ثابت	١٧١	جزء من أشعار تنوخ	١١٢ : ٢	س
ديوان الخالدين	١٣٦	مما قيل في الجاهلية	١٢٠ و ٢٤٠	
ديوان طقبيل اللغوي	١٨٩	جمع القاضي المحسن		
ديوان عبيد بن الابرس	١٧٦	التنوخي		
عدة نسخ منه		أشعار الجن للمرzbاني	٧٥	غ
ديوان عدي بن زيد	١٠	أشعار قريش	٢٣ : ١	ل
عدة نسخ منه		اصلاح المنطق لابن	١٨ و ١٢٠	ر
		السكيت		
ديوان أبي الطيب المنفي	١٣٧	مختصره للوزير أبي	١٤	ر
ديوان النابغة	٢١ : ١	القاسم ابن المغيرة		
ديوان أبي الهندي	٩	الاصول لابن السراج	١٣٧ ل ٢٢ : ١	غ
رسالة ابن القارح	٧	كتاب الاعتبار	١٨٠	غ
[سقط الزند] كلام	٢٨ : ١	الاقناع انظر المقتنع		
لى قديم		الامالي للمعري	٢١٠ : ٢	ل
شجر الدر لابن الطيب	١٩٢	أمثال محمد بن حبيب	مل	
اللغوي		التاج لابن الراوندي	١٥٧	غ
كتاب الصاهل والشاجح	١٢٠	تاريخ لابن أبي الازهر	١٣٦	د
للمعري		والقطريلي		
طبقات المقتنين لابن	١٧٥	تاريخ ابن شجرة بخط	٢٠٢	د
خر داذبه		المرزباني		
العمدة لعبد الجبار الممتزلي	٢٤١ و ١٩٧ : ١	الترجماني معاني الشعر	٨٢ : ٢	ل
كتاب العين للخليل	٨٢ : ٢	(١) للمفجع البصري		
غريب الحديث لابن قتيبة	٦٦	تفسير سورة الاخلاص	٦٧	ر
[الغريب] المصنف لابي	١١ : ١	لصديقه النكفي		
عبيد القاسم بن سلام		جامع سفيان	٣٢٤ : ٢	ل
الفرخ للجري	٣٢٩ : ١	الجل لابن السراج	١٣٧	غ
كتاب الفرق لابي	١٩٢	الجمرة لابن دريد	٧٢	ر
الطيب اللغوي		كتاب الحجة في وجوه	٥٧	غ
الفريد لابن الراوندي	١٦٠	القرارات للفارسي		
التصديعة الميمية للمعلقة للبيد	٣٨	حد الاعراب (١) للمفجع	١٨٧	د
... ميمية الخبل السعدي	٤١			

(١) وعند ابن النديم ص ٨٣ ما يدل على ان حد الاعراب جزء من أجزاء الترجمان

كتب ابني زيد وأبي عمرو وأبي عمر [الزاهد]	٣١٧: ١	ل	 زائفة الشماخ وجيمية	٤٨	غ
كتاب المبتدأ من التوراة	١٨٠	غ	قصائد النابغة	٤٩	>
كتاب المبعث (في الحديث) لابن معشر المديني	١٧٥	>	 لامية الراعي	٦١	>
كتب النضر بن شميل	٦٩	>	 دالية حميد بن ثور (رض)	٦١	>
كلىة ودمنة	١٢٠ , ١١٩	ر	 الحائية تروى لعبيد وأوس	٦٦	>
لزوم مالا يلزم للمعري	٣: ١	ل	 صادية امريء	٨٨	>
كتاب المجاز لابن عبيدة	٨٣	ر	القيس وضاديه ونونية		>
المرجان لابن الراوندي	٥٩	غ	 بائية طاقمة وميمية	٩٤	>
المغني في الكلام	١٩٧٦٢٤١: ١	ل	 دالية طرفة	٩٨	>
مقاتل الفرسان لابن عبيدة	١٨ ١١١ : ١	غ	القصائد الثلاث وغيرها	١٠١	>
المقنع للسيرافي وابنه	١٣٧	ل	لأبي كبير الهذلي	١٠٦	>
المنطق . أربعة كتب فيه	٨٢	غ	 ميمية المرقش	١٦٤	>
الموجز لابن السراج	١٣٧	ر	... عدة قصائد لابن تمام	١٧٧	>
وإني علي الفارسي		غ	... مقصورة ابن دريد	٦	ر
كتاب مجهول عليه سماع	٢٢٤: ٢	غ	 الميمية والواوية		
رجل أهداه للمعري	٥٧	س	لابن المفري	١٤٣	>
نوادير ابن الاعرابي	١٤٧	ر	الطائفة اللزومية للمعري	٥٩	غ
« الصولي »	١٤٠	غ	القضيب لابن الراوندي	١١ : ١	ل
[كتاب] الورقة	٨٩	غ	كتاب القوافي للفراء	< <	>
(وهو الاوراق للصولي)		ر	« الخلف بن حيان [الاحمر] الكتاب لسيدويه	٨٢ غ ١٠٠	ر
				١٤٠ و ١٣٧٦ مل ١٨٥٦	
			شرحه للسيرافي	٣٩ : ٣٦	ر
			كتاب المعمرين [لابي حاتم]	٢٧٠ و ٢٤٨: ١	ل
ومر سائرهما في سرد أسماء الثبت ووصفه من صنعه وصنعه غيره			بعض كتب الاغانى	٥١	غ
			كتب بدار العلم ببغداد	١٨٤	<
			عليها سماع ابن القارح		

الآراء في تلييننه من جهة الدين

مما لا يتطرقه أدنى ريب أو أضعف شبهة أن الرجل شهر بالإلحاد والزندقة وهو حي يرزق بعد. وذلك لما سار شوارد أشعاره وأوابد آرائه في أكناف البسيط واعترف الرجل بنفسه بذلك في غير ما موضع من كلامه كما في النظرة والفائت

قال الفارسي^(١) وذكر الفصول فاتهموه بأنك وضعته معارضة للقرآن . ومر خبر أبي القاسم في حلقته . وكذلك خبره مع وزير محمود وذكر كراه بعد وفاته بالإلحاد في مجلس غرس النعمة وقول عبد السلام القزويني فيه وحكمة المنازي في تركه الدنيا والآخرة

ولفظ الباخري في الدمية قد طال في ظل الاسلام آناؤه ولكن ربما رشح بالإلحاد إناؤه وعندنا خبر بصره والله تعالى العالم ببصيرته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ

وقال السمعاني وحكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد . وقال ابن الجوزي في تلبس إبليس^(٢) له « ومن زنادقة الاسلام من لم يبرح على تعثره ففاته الدنيا والآخرة مثل ابن الرندي والمعري » ثم قال « وأما أبو العلاء فأشعاره ظاهرة الإلحاد وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطا في تعثره خائفا من القتل الى أن مات بخسرانه » وقال في تاريخه^(٣) « زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء . قال وأشدهم على الاسلام أبو حيان لأنه مجمج ولم يصرح » اه قلت « وهذا قضاء في القضاء سدوم » فإن ابن الراوندي لم يكن يدعى

(١) ١٦ -

(٢) دهلي - ١٦٠ -

(٣) الشافعية ٤ : ٣ -

الإسلام أصلاً بعد أن مال إلى اليهودية وجلُّ كتبه في معارضة القرآن والطعن على النبي (ﷺ) وقدم العالم وإبطال الرسالة كما ذكر ابن القارح^(١) وأدرك عصره وغيره^(٢). فهل يبقى من الإسلام شيء بعد كل هذه الكفريات وكيف يُجعل مع أبي العلاء في قرن مع أنه تبرأ من أعماله براءة بالغة في الغفران^(٣) وهاك شيئاً من جملة «وأما ابن الراوندي فلم يكن إلى المصلحة بمهدي... وأما الدامغ فما إخاله دمغ إلا من ألفه» ومر لنا نقل فصل عنه في ذكر الفصول في إعجاز القرآن. ولهذا لم يرض بفصله هذا ابن السبكي في أمر أبي حيان ولكن أغفل صاحبنا لسوء رأيه فيه كما سيأتي

وقال الذهبي^(٤) هو صاحب التصانيف المشهورة والزندقة الماثورة له رسالة الغفران في مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف. ثم قال بعد كلام كثير والذي يظهر أن الرجل مات متحيراً لم يحتم بدين من الأديان وأول من نشر شعر إلحاده غرس النعمة قال وقد طبّق المفصل كان^(٥) يُرمَى بالإلحاد في شعره وأشعاره دالة على ما يُزن به اه واقتصرت^(٦) على أقوال هؤلاء فانهم أسوة كل من كتب فيه شيئاً وأما أشعاره في المعنى فهي كثيرة في اللزوم وانظر النظرة وفي غيره وانظر الفئات وبعضه منحول لاشك

(١) ٢٠١ -

(٢) الماهد ١ : ٥٦ - وقد طول في سرد آرائه والرد عليها

(٣) ١٥٧ - ١٦٠ وراجعناه فانه بهم للغاية

(٤) ١٢٩ و ١٣٣ .

(٥) ١٣٠ : هـ .

(٦) وقد حكم التفتازاني بكفره وإلحاده كما في روضات الجنات ص ٧٤ .

النقائض

ولما طار أشعاره في الأقطار وتنقلته ناقلة السفار لهج كثير من الأدباء
بالمناقضة معه في الأفكار والآراء ورموه بما جنى وما لم يجن . ولم يمنعه زُهدُه
ونُسكُه عن التهمة ولم يثن .

(١) قال ياقوت ^(١) في ترجمة ذى الفضائل الأخسيكى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ
قرأت في ديوان شعره بخطه أنشد لأبي العلاء هفت الحنيقة ^(٢)
مضللة البيتين فقلت محيياً له :

الدين آخذه وتاركه لم يخف رُشدُهما وغيهما
« إثنان أهل الأرض » قلت فقل ياشيخ سوء أنت أيهما
(٢) وعارض بيتيه إذا ما ^(٣) اخنأ البيتين أبو محمد ^(٤) الحسن
اليميني بقوله :

لعمرك أماً فيك فالقول صادق وتكذب في الباقي من شطأودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا
(٣) وفي الفوات ^(٥) في ترجمة ابن أبي كدية أنه سمع قائلاً ينشد للمعري
ضحكنا ^(٦) أن يبكوا البيتين . فقال يرد عليه :
كذبت وبيت الله حيلة صادق سيئسبكنا بعد الثرى من له الملك
ونرجع أجساما صحاحا سليمة تعارف في الفردوس . ما عندنا شك

(١) ٢ : ١١١ ومثله في النكت ١٠٧ والمأه ١ : ٥١ .

(٢) ل ٢ : ١٧٥ .

(٣) انظرهما في الفائق .

(٤) النكت ١٠٧ والمأه ١ : ٥١ . والنور السافر (مخطوط) لعبد القادر العبدروس .

(٥) ٢ : ٢٣٩ . وفي النور السافر (ورق ٣٦٤) وزوهما الى الامام محمد بن عتيق اليميني .

(٦) ل ٢ : ١٢٦ .

(٤) وقال :

دين وكفر وأنباء تقال وفر قان ينصّ وتوراة وإنجيل
في كلّ جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوما بالهدى جيل
أجابه النوازي^(١) لا الذهبي فقال :

نعم أبو القاسم الهادي وأُمَّته فزادك الله ذُلًّا يادُ جيجيل
(٥) ومرّ بيتاه في قطع اليد وما أجابوا به عنهما في أبواب بغداد .

(٦) وهجاه أبو جعفر البجائي القاضي الزوزني وكان هَجَاءً^(٢) ماضي
الجَنَان خبيث اللسان بقصيدة طويلة منها كما في الدُمِيّة وهو أستاذ الباخرزي^(٣)

كَلْبٌ عَوَى بِمَعْرَةِ النِّعَمَانِ لما خلا عن رِبْقَةِ الْإِيْمَانِ
أَمْعَرَةَ النِّعَمَانِ مَا أَتَجَبَتِ إِذْ أَخْرَجْتَ مِنْكَ مَعْرَةَ الْعُمَيَّانِ

(٧) وعارض الخضر الموصلي^(٤) قوله من ل :

تقدّم صاحبُ التوراة موسى وأوقع في الخَسَار من اقتراها
الأبيات بقوله :

خَزَاكَ اللهُ مِنْ أَعْمَى لَعِينٍ بصيرتهُ تناهت في عَمَاهَا
يقول إذا الحكيم رعى حِجَاهُ تَهَاوَنَ بِالشَّرَائِعِ وَازْدَرَاهَا
فَمَا هَذَا الْخَبِيثُ إِذَا حَكِيمٌ وَلَكِنْ لَيْسَ يَدْرِي مَا طَحَاهَا

(١) كما قال الذهبي ١٣١ - وروى صاحب المعامد ١ : ٥١ أن المجيب الذهبي

(٢) ياقوت ٦ : ٤٠٩

(٣) الشافعية ٢ : ١٤٨ .

(٤) الاسعاف له ص ١٦٤ نسخة حيدرآباد

تركيبته أو القول بحيرته

ذكر ابن خلكان ^(١) أن شيخ الإسلام الهكاري لقي المعري وسمع منه فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته فقال هو رجل من المسلمين

وقال السلفي ^(٢) وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسيره وقال الصفدي ^(٣) وأظن السلفي قال إنه تاب وأناب

وقال ياقوت ^(٤) والناس فيه مختلفون فمنهم من يقول انه كان زنديقا وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها ومنهم من يقول [كان] زاهداً عابداً متقلاً يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير والإعراض عن أعراض الدنيا قال الصفدي ^(٥) وُحكي لي عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني أنه قال في حقه هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت

قال ^(٦) وسألت الحافظ ابن سيد الناس فقلت له ما كان رأي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في أبي العلاء فقال كان يقول هو في حيرة . قال الصفدي ولعمري هذا الذي يظهر لذوي الألباب من كلامه الخ وقال الدميري وهذا أحسن

(١) ٣٤٦ : ١ (٢) ١٣٥٨ -

(٣) نكت ١٠٤ - وفي البغية ١٣٦ وقال السلفي أظنه تاب الخ

(٤) ١٧٨ : ١ (٥) نكت ١٠٦ -

(٦) نكت ١٠٦ والفيت ٢ : ٢٤٤ وحياة الحيوان ٢ : ٢٣٠ -

ما قبل فيه .

وقال الذهبي منهم من يقول ارعوى وتاب واستغفراه ولفظه في العبر^(١) :
ولعله مات على الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك والارتباب اه .
ونقل صاحب النور السافر عن عجائب البلدان للقزويني أنه تاب في آخر عمره
عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه .

قال ابن الجوزي^(٢) وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال : قال لي المعري
مالذي تعتقد . فقلت : في نفسي اليوم أقف على اعتقاده . فقلت له ما أنا إلا شك .
فقال وهكذا شيخك .

القول الفصل في القضية

هؤلاء الأئمة تناقضت أقوالهم وتباينت مناحيهم في دين الرجل ولعل هذا
الداء سرى إليهم من شعره ففيه كل شيء ، وضده كما يقول هو بنفسه . ل :
ولكل ما أصبحت تدرك حسبه ضد وكبرة من ترى كصغار
ويعتري النفس إنكار ومعرفة وكل معنى له نفى وإيجاب
وانظر النظرة حتى تشاهد مقالنا برأي العين . ولست أعني تخطئهم بأجمعهم
فإنهم لم ينسفوا إلا بما رأوه في شعره فكلمهم إذاً مُصِيب في مزعمه . إلا أنني
أريد أن أرعى كل ما رأيت له في وقت واحد رعاية رجل لم يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها حتى لا أبخسه حقه في نعمة أسداها كما أنني لا أريد أن
أنفي عنه شنائع أتاها وجرائم جناها .

(١) نسخة حبيب الرحمن الشرواني

(٢) ادبا ١ : ١٧١ والنكت ١٠٤

لا غرو أن له كثيراً من الشعر في اللزوم واستغفر مما يرمي إلى المروق
كلاعتراض على حكمة الباري سبحانه وأرادته الخير وإنكاره النبوات
والاستخفاف بأنبياء الله وبالشرائع وإنكار البعث والمعاد والقول بقدوم
العالم والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزهر ثم يذبل وجناية
الوالد على الأولاد وتحريمه أكل كل مالا يُنبته الأرض كاللحم والشحم
واللبن والجن والعسل واختياره إحراق الميت على دفنه وغيره مما يطول
بنا سردُه

ولكن لا يوجد له شيء في غير . ل . من هذا النحو لافي س ولا في مُلقى
السبيل ولا إن شاء الله في سائر كتبه مما لم يصلنا . اللهم إلا نزر يسير^(١)
لا يصرّح إلى الغرض فلا حاجة لنا إذا به .

ولیکن منك على ذكر أن له في اللزوم أيضاً مما يُضادّ عامة الأمور
المذكورة شيئاً ليس بالهين بل لعله يفضل على السابقة في السكينة والسكينة فأنظر
النظرة .

ولكن الطبيعة البشرية مفطورة على الانجذاب إلى ما فيه استطراف أو
جِدَّة : فتراهم حكموا عليه ببتاناً بعدة كلمات له سرودوها في الزندقة واضربوا عما
يُضادّها صفعاً بالمرّة . كما أن الذين أرادوا تبرئته وإتقاء جيبه اقتنعوا على
ما يُضادّها فقط . فأَيُّ الفريقين أحقّ بالأمن ؟

والذي يتخلص من كلّ ماله أن الرجل لما رحل إلى بغداد كان يرتجى من
دنياه أن تواتيه ومن حياته أن تساعفه . ولكن لما رأى بها أعراض الحياة

(١) أنظر س ١ : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٩ - ٢ : ١٢ ،

٥٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٧٧ - واكثرها في الاعتراف الصادر والدين الفاصم - وانظر الملقى

٢٢٥ للإيمان بالبعث

وزهراتها منقادة للطعام مُعرّضة بوجوها عن الكرام علم أن الدنيا ليست إلا
حظاً وبخماً وأن فوائدها لا تحصل بالكسب والعمل أو السعي والاجتهاد . ولم
يكن يرغب في الدنيا حتى يكتفي بها عن المعيشة الفاضلة فنقب عن العلماء
والنساك لعله يجد دواءه عندهم فرآهم حريصين على المطامع والمطاعم . مؤلمين
بالاستمثار بالمعاصي غير آخذين أنفسهم بالواجب واللازم . وكأنه كلما أنكر عليهم
منكراً وندّد بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه وأثار منهم دخلة فاسدة فرمّوه بالعظام .
وأحالوا على الشريعة والدين حتى يتخلصوا عن لومة كلٍّ لأثم . فرماهم رشقاً
واحداً . ووقع فيهم وفي أديانهم جاهداً . فأخذوا بعض كلامه وطاروا به
ورمّوه به بكل قبيحة . قال أمين الحلواني المدني^(١) : لعل أبا العلاء كان
في زمان مثل زماننا هذا يعني كلَّ امرئ أنكر المنكر يرمونه بسوء الاعتقاد
ليغروا به الملوك كما قال الامام ابن حزم : انا طريد الملوك لأنني اقول الحق ولا
أبالي اه

فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضاً من الاشعار وضمنوه ما يرمي الى
المروق . نقلوا^(٢) عن ابن العديم في العدل والتحري قال قرأت بخط ابني اليسر
المعري في ذكره وكان رضي الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل
تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل المألحة قصداً لهلاكه
وايثاراً لاتلاف نفسه (ثم أورد ثلاثة أبيات له اهوان . وانظرها في الفائق)
وترى في الفائق بعض كلمات ركيكة لاتشبهه سائر شعره ولعلها من هذا الجنس .
ومر خبر تحريف رجلين بيتاً من اللزوم وتأليف أبي العلاء رسالة الضبّعين
 وإرساله اياها الى معز الدولة علي بن صالح تنصلاً

(١) في مقدمة اللزوم الطبعة الاولى بمبائي .

(٢) ادبا ١٧٩٩ . وكذا في أنيس المجلس ١ : ٢٧٩

ولدينا شواهد على أنهم لم يعملوا بالتحفظ والاحتياط في عزو بعض أمور
إليه مما هو براء منه كما مرّ قول الزنجشري في بيتين من س أنه عارض بهما قوله
تعالى إنها ترمي بشرر الآية . وقد دفعناه في صدره ورددناه عليه . وهذا
ابن السبكي روى بيتين لابن الراوندي^(١) وعزاها إلى المعري ثم قال فقبحه الله
ما أجرأه على الله عز وجل (ثم ذكر لهما نقيضة) فهل من متأدّب لا يجزم بأنهما
لابن الراوندي^(٢) . وروى ابن سعيد في المغرب^(٣) من قصيدة للجمال أبي
الحسين الجزّاز قوله :

وفي علم العروض دخلتُ جهلاً وُحمتُ بخفّتي في كل بحر
فأذكرني به التفعيلُ جهلاً تضمّن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن « حديث خرافة يا أم عمرو »
والمصرّاع عجز بيت لبعض مشركي مكة كما هو معروف ، وصدره :
أموت ثم بعث ثم حشر^٣

ولكن هذا الاستدلال لا يغني عنه إلا في المنحول وأما الثابت الذي دونه
بنفسه في ل فهو أيضاً كثير فكيف يسلم من معرفته ؟ . وهالك أموراً تجلو من
الحقيقة شيئاً :

إنَّ حُبَّ الظَرْفِ والاستطراف هو الذي حدا به على أن أنشأ كلَّ صنف
من الشعر وولج في كل باب منه لما اشتهر به الزنادقة من الأدب والتظرف قال

(١) الشافعية ٣ : ٩٧ وما :

كم حافل حافل أعيت مذاجه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم الانحرير زنديقا

(٢) انظر المعاهد ١ : ٥٣ .

(٣) ١٣٤ .

ابن القارح ^(١) ولكنى أغتاض على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ويتطرقون ويتنذون اعجاباً بذلك المذهب ^(٢) تيمه مغنٍ وظرف زنديق اه ولو كانت هذه آراء له منقحة وأفكاراً محتملة لم نجد لها من الأضداد هذا القدر الجم. وقد ورد في مقدمة بعض النسخ من الزوم ^(٣) مقدمة بسيطة تبرأ فيها من قصد الاتحاد بأوضح بيان وقال ان غرضه التفتن بالشعر اه. ويشهد له ما جاء في ثبت كتبه ^(٤) من أن بعض الجهال تسكلم على أبيات من لزوم مالا يلزم يريد بها التشرير والاذية فالزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا (يريد كتاب زجر الناجح) فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره اه. فهذا صريح في ان أصدقاؤه لم يكونوا يعرفون الزوم كتاب الحاد كما عرفه الأبعد وأن مذهب الاتحاد لو كان فيه غرضاً مقصوداً لم يحتج الى الرد على ذلك الجاهل فنفت الرجل بكل ما تخالج في قلبه من الشكوك التي لا بد للانسان منها وهذا ابراهيم عليه السلام قال ولكن ليطمئن قلبي وهذا معنى قوله من. ل. :
يسمي غوي من يخالف كافرأ له الويل أي الناس خال من الكفر فلم يأت أمراً بدعاً بل هو على مذهب غيره من الشعراء كالمتهبي وابن هاني وأبي نواس بل هو أصدق منهم لهجة وأتم منهم نسكاً وزهداً وقناعة وإشاراً وتعبداً واستقلالاً بالآراء. وغاية الأمر أن لم يكن وضوح له بعض العقائد فكان منها في شك وحيرة على ما ينم به شعره وكان يود أن لو لقي رجلاً

(١) ١٩٧

(٢) انظر النمل في كتابي معجم الامثال .

(٣) انظر المشرق ٥ : ٤٧ وهذه النسخة قديمة

(٤) ادبا ١ : ١٨٣ .

يُزيل عنه الشكوك والكنه أخفق فيما هو الظاهر فلم يزل يذكرها ذكر من لا يسيغها ولا يلفظها. والدليل على ذلك أنه لم يزل قائماً بما لم يشك فيه كالمواظبة على الصلوات وأحياء الليل والذكر والتسبيح واجتهاد أن يتوفى على هذه الحالة كما قال في ثبت كتبه وكما شهد به الذين لقوه وعلى صوم الدهر والمروّة والفتوة والعفاف والطهارة ونقاء الجيب عن سفاسف الأمور. وقد قالوا إن صاحب كل فن يحتاج إليه فقط وأما المتأدّب فإنه يحتاج إلى كل العلوم والفنون وينبغي له أن يطرق كل باب ويلج في كل ساحة

وهؤلاء ملاحدة العالم من جميع الأديان لا يشبه مذهبهم في الحياة مذاهبهم على ما أورد كثيراً من أخبارهم في الغفران. فهم يأنفون عن التكاليف الشرعية ويستنكفون من العبادات ويستخفون بها ويستمزقون ويسخرون ويولعون بالهزل ولا يأخذون بدوات نفوسهم بله المسترشدين. على أن جلّهم كانوا داعين إلى مقاتلتهم التي أنشأوها حتى يتمكنوا من زهرة الحياة ويقدرُوا على لذائد الدنيا فانها غرضهم الوحيد. ولم ينقل أحد ولا من أعدائه عنه أنه كان يرغب في شيء من رغائب الدنيا أو يدعو أحداً إلى مقالة في الدين يكون انتهكها هؤلاء تلامذته ملأوا أقطار البسيط ليس فيهم أحد على مذهب شيخه ولا نقل أنه دعاه إلى دين غير الإسلام ولو كان داعية لم يعدم منهم مؤمناً به ولا أعوز عليه تابع منهم. كما لم يعوز على أغمار الملاحدة وطغام الزناقة قبله وبعده. وقد كتب إليه ابن القارح مدام الملاحدة وآفاتهم فهل نراه سخر منه؟ ولكن ذكرنا صاحبنا لا يخافنا أن نظن به الجهل عما يُراد به، ولا نظن ابن القارح عرّض به وبمروقه مع اعتقاده فيه كل جميل

ولم أر في معارفه وهم خلق لا يُخصّون أحداً قرّفه بما قرّفه به الأجانب (١)

(١) قال ابن الوردي ١: ٣٦٢ ونقل خبر مساجلة أبي الطيب الطبري على ما مر

وهذا لعمرى عجب عجب . وهذا التبريزي وغيره من التلامذة وغيرهم من زوّاره بالمعرة ومنهم شيخ الاسلام الصابوني والقاضي عبد الوهاب المالكي ومن البغاددة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفرائني المجدّد قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفائه ووُدّه . والأندلسيون معروفون بالصلابة في أمر الدين ولم أر لهم كلمة في القذف وماذاك إلا ضناً منهم بدينهم أن يتهموا بريئاً فظهر مصداق قول ابن العديم أن الذين لقوه وصفوه بكل جميل والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح

وفي عمدة المؤمل وُعدة الممثل^(١) وأنشدني قاضي الحكم بمعرة النعمان ابن عم لأبي العلاء وقد أجازني اجازة مطلقة جميع شعر أبي العلاء ومنتوره وحكمه وذكر لي ما كان ابن عمه عليه من الزهد والورع وجميل السريرة خلافا لما ظهر من لفظه في نظمه ثم أتى بيئته من من خلق الناس للبقاء الخ . أقول وكأنه أراد بـابن العمّ بعض ولدائه كما هو الظاهر .

على أن المتقدمين من متهميه راعوا جانب التحفظ فلفظ السمعاني وحكى عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد اهـ . ولفظ الباخري وعندنا خبر بصره والله العالم ببصيرته والمطلع على سريرته ، وإنما تحدثت الآن بأساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ وقد مرّ

في أبواب بغداد وايات كليهما ثم قال فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث وهو لا يأتي إلا بخير وكان شيخنا تيس حسن العقيدة فيه واعتراف الطبري له ومدحه يكفيه

شهادة الطبري الخبر كافية
ابا العلاء فقل ما شئت أو فذر
من أحمض السيف عنه كان في دعة
ومن نضا السيف قلبناه بالطبري
أي القاضي الطبري أو بالطبر وهي الفأس بالفارسية .

(١) لعبد الله بن عبد الرحمن النعمي الفرياني الافدلي وألفه بمكة سنة ٦٤٦ هـ رأيت نسخة بحيدر آباد .

لنا قول الأواين أن « زعموا مطية » الكذب . فإن كان نبزه بالإلحاد من جهة
الفصول فإننا ننفيه آنفاً إن شاء الله . ونرى كثيراً من مترجميه لم يتعرّضوا لدينه
ولعمري إن فيهم لاسوة كالكمال ابن الأنباري وابن خلكان . ولكن
المتأخرين المسيطرين حكموا بزندقته حكم الصبي ولم يستثنوا

ولا تحكما حكم الصبي فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله
ولم يقفوا دون الحد ولا احتاطوا في المقال . على أن المتقدمين كانوا أرعى
منهم لجانب الله وأتقى له في عباده وكانت لهم وسائل تسهل سبيلهم إلى كشف
جليّة الأمر لقرب عهدهم به . وأما الذين ضرب بينهم وبينه بأسداد وأرخت
دونهما الأستار المظلمة فكان حرى بهم صون الألسنة عن الوقوع في مؤرطة
مؤنة ومدحضة مؤلمة . وها أناذا أتكلم على رجل رجل من متهميه وإن لم
أكن أحتاج إلى ذلك فإنهم لم يدرسوا آثار الرجل وجسروا على الحكم قبل
التجربة وقلد بعضهم بعضاً وأسرعوا لما لم يعرفوه إبطالا وتقضاً ، ولكن ليظهر
درجةهم من التحرز والتأثم فلا يُعطوا أكثر مما يستحقّون من القبول
والرضى .

فالقاضي البحاّثي كان أستاذاً للباخرزي فلذا نقل قوله . على أن القاضي
لم يسلم من حصائد لسانه أحد من أفاضل عصره وأعيانه ، ذكر ياقوت ^(١) أن
الكبار كانوا يحترمونه للتوقّي من ضحاح لسانه وعقارب هجائه ولقد رُزق من
الهجاء طريقة لم يسبق إليها وما ترك أحداً من الكبراء والائمة والفقهاء وسائر
الأصناف من الناس إلا هجاء ووقع فيه فكان الكل يتترسون باحترامه
وابوائه عن سهام هجائه النخ أما - وحال الشاهد على ما ذكر - كان الرجل يستحقّ

منه الهجو؟ حتى يسلم من العين، ويدخل في زمرة الأفاضل المهجوين
 ما كان أحوج ذاك الحال إلى عيب يوقيه من العين
 وأما الشريف ابن الهبارية فحدث عن بحر الخنى والأهاجي ولا حرج،
 وعن طود القدح ولا تتحاش. قال ابن خلكان (١): كان خبيث اللسان كثير
 الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد. ثم أورد من أخباره
 ما طيه أحسن من نشره. ومذهب ابن خلكان في ملك اللسان معروف. على
 أنه لو لم يكن له من الآثار إلا ما أورده الصفدي (٢) من خبر يمنعنا الحياء من
 إثباته لكفاه. ولكفانا. وأما صاحبنا فان مذهبه في ترك الهجو مما شهد به
 عبد السلام داعية المعتزلة القزويني وكان عريضاً معنئاً كما مر في الزوار
 ولست بهاج في القرى أهل منزل علي زادهم أبكي وأبكي البواكيا
 ومذهب ابن الجوزي (٣) والذهبي في الإقدام على الجرح والقدح مما
 لا يُجْهَل ولا يُنْكَر، فهلا نرد على كل هؤلاء لو هُتِم أو لَعَصِيَتِهِمْ
 فما لك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
 وأما الفصول فليس من معارضة القرآن أو مناقضته في قبيل ولا دبير.
 وترجمته في الثبوت عند ياقوت والذهبي كتاب الفصول والغايات فقط وكذا عند
 ناصر خسرو وأما زيادة « في مُحَاذَاة السور والآيات » فالظاهر من كلام
 المتقدمين (٤) ولا أستثني أحداً أنها ليست من ترجمة الكتاب فلفظ ناصر خسرو
 (١) ١٥ : ٢. روى ابن الهبارية أبياتا لامعري تشير الى أن الموت ظلم من الباري.
 تعالى (ادبا : ١٩٤) ولكن هذا المعنى يناقضه اللزوم :
 استرد الحياة منك لعمر الله من إكراه الحياة مميرا
 (٢) الفيت ٢ : ١٩٠
 (٣) وقال ياقوت ٦ : ٢٠٤ وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي لانه عندي
 كثير التخليط اه
 (٤) ولفظ الذهبي : وكأنه معارضة منه للسور والآيات

وقد ذكره : حتى إنهم اتهموه بأنك عملته معارضة للقرآن اه . ولفظ الدمية :
 زعموا أنه عارض به القرآن اه . ولفظ خليفة : الفصول والغايات في معارضة السور
 والآيات على ما ذكره ابن الجوزي لأبي العلاء الخ . وليم أن خليفة لم يذكر شيئاً
 من تأليف صاحبنا بحواله ابن الجوزي بل الظاهر أخذه إياها عن معجم الأدباء
 فظاهر أن معنى كلامه هنا أن كون الفصول في المعارضة على رأي ابن الجوزي .
 ومعلوم أن المعتبر نية العامل لانية ابن الجوزي . والمحاذاة ليست من المعارضة
 في شيء كما مرّ لنا إثباته في الثبوت فانظره . على أن الرجل معترف بأعجاز القرآن
 بعد تأليف الفصول اعترافاً ليس وراءه غاية تُرام كما مرّ . وقد رأينا منه
 فصولاً فلم نجد إلا عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
 ولعمري إنا لفي أشدّ حاجة إلى من ينتقد علينا أعمالنا ، ويدلّنا طريق
 رشدنا . وأما هؤلاء المطؤون من المدّاحين فيضروننا من حيث يريدون أن
 ينفعونا ، فقد طمّت في جميع طوائفنا الآفات ، وفشت فيهم السوات ، وشكت
 الأرض إلى السماء ما تحمله من البلاء والعناء . وقد وصل بي الكلام وله شجون
 وفنون بحيث أوقفني موقف ذاب عنه متعصب له ، وأيم الله إني لم أقل إلا حقاً
 ولم أنطق إلا صدقاً

ولكن له والحق يقال كثيراً من الأشعار تنجح إلى التشكيك فقال بعضهم
 - ومنهم السلفي والصقدي - وكان لا يستقرّ به قرار ولا يبقى على قانون واحد
 بل يجري مع القافية إذا حصلت كما تجيء (؟ تجري) لا كما يجب اه . وهذا
 الرأي صحيح في بعض شغره ومنه قوله . ل :

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير أيةً سلوكاً
 وبيت زهير^(١) هو :

بان الخليط لم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقا أيةً سلكوا
فلولا أنه مال به الكلام إلى هذه القافية عمداً لم ينجح لها فإن له كثيراً
من الأبيات في عدم العلم بمحلّ الأرواح ولا أبعد فله قبل بيتين من المذكور :
إن تسأل العقل لا يوجدك من خبر عن الأوائل إلا أنهم هلكوا
وانظر النظرة . وليس معناه أنه كان يهذي هذيان المعتوهين - بل الحقيقة
أنه ليس في الدنيا شيء إلا وله جانبان من جهة حسنه في بعض الأحيان
وقبحه في غيره ، فالفيلسوف الطبيعي هو الذي لا يغفل عن الجانب الآخر ،
والطبيب الحاذق هو الذي يعرف بمحلّ الداء ومقداره فيصف له الدواء الصالح
فأبو العلاء إذاً فيلسوف بالطبع لا بالتصنع والتكلف حتى يغلب عليه الفلسفة
في غير حينه شأن الفلاسفة المتفهمين

كل امرئ راجع يوماً لشيئته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
وأولع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز . قال الذهبي
والمشكل من شعره فله على زعمه تفسير . أقول : وله شعر يرمي إلى ما قالوا ،
فيه . ل :

وليس على الحقائق كل قولي ولكن فيه أصناف المجاز
لا تُقيّد عليّ لفظي فإني مثل غيري تكلمي بالمجاز
لا تخبرن بكنه دينك معشراً شطراً وإن تفعل فأنت مغرر
تعالى الله فهو بنا خير قد اضطربت إلى الكذب العقول
تقول على المجاز وقد علمنا بأن الأمر ليس كما تقول
وهذا القول أيضاً صواب في بعض شعره لافي سائرهُ فهو يقول في ضده . ل :
فاسأل حجابك إذا أردت هداية واحبس لسانك أن يقول مجازاً

ومع كل مامر يبقى له كثير من القول لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً فان الرجل اعترف بنفسه انه بقي مدة طويلة في الحيرة والتشكيك ، ل :
 عَوْدُ يَصْدَقُ أَوْ غَرُّ يَكْذِبُ أَوْ مَرْدَدٌ بَيْنَ تَصْدِيقٍ وَتَكْذِيبٍ
 وهذا ظاهر في انه كان في شبابه متمرباً ثم بقي طول كولاته مردداً ثم صدق بالشرائع في مشييه . وهذا هو الصواب الذي لا محيد عنه لألى الألباب فإني لم أجد في ملقى السبيل شيئاً يجذب الى المروق . وروى ابن الوردي ^(١) عن دفع المعرة عن شيخ المعرة أنه وجد المعري في ديوان لزوم ما لا يلزم متذبذباً حائراً في الدين لكن الكتب التي ألفها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تصلح هذا الفساد وتوضح رجوعه الى الحق وصحة اعتقاده ، وضوء السقط خاتمة كتبه ، والأعمال بخواتمها اه . وقال السلفي ^(٢) : ومما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري بالسمرسانية مدينة بالخابور قال سمعت القاضي أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجي يقول سمعت أخى القاضي أبا الفتح

(١) ١ : ٣٦٠ من تاريخه ولفظه : ثم وقفت له على كتاب ضوء السقط الذي أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الاصفهاني الذي لازم الشيخ الى أن مات ثم أقام بحاج يروى عنه كتبه فكان هذا الكتاب عندي مصححاً لفساده ، موضعاً لرجوعه الى الحق وصحة اعتقاده . فانه كتاب يحكم بصحة اسلامه مؤلاً ، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة : والآخرة خير لك من الاولى . فلقد ضمن هذا الكتاب ما يتلج الصدر ويلد السمع ويقر العين ويسر القلب ويطلق اليد ويثبت القدم من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير برية ، والتقرب الى الله بمدايح الاشراف من ذريته ، وتبجيل الصحابة والرضا عنهم والادب عند ذكر ما يتلقى منهم وإيراد محاسن من التفسير والاقرار بالبعث والاشفاق من اليوم العسير ، وتضليل من انكر المهاد ، والترغيب في اذكاء الله والاوراد ، والخضوع للثريمة الحمدية وتمظيمها . وهو خاتمة كتبه والاعمال بخواتمها . وقد يعذر من ذمه واستحل شتمه فانه هول على مباديء أمره وأوسط شعره ، ويعذر من أحبه وحرم سبه فانه اطلع على صلاح سره وما صار اليه في آخر عمره من الانابة التي كان أهلها والتوبة التي تجب ماقبلها ، وكان يقول رحمه الله : أنا شيخ مكذوب عليه اه

يقول دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة - بغير علم منه - وكنت اتردد اليه وأقرأ عليه ، فسمعتة وهو ينشد من قبله :

كم بُودرت^(١) غادة كعابٌ وعمرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً والقبر حرزاً لها حريز
يجوز ان تبطئ المنايا والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوّه مرّات وتلا « ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة - إلى قوله -
فمنهم شقيّ وسعيد » ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الارض زماناً
ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا
كلامه . فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد عليّ وقال متى اتيت . فقلت الساعة
ثم قلت ياسيدي ارى في وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً
من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فالحقني ماترى . فتحققت صحة
دينه وقوة يقينه اه . ومن أبياته التي قلها في القاضي أبي محمد ابن اخيه وكان
مرّضه في مرّضته الاخيرة قوله وهي بتمامها في الفأنت :

سأنشر شكره في يوم حشر أجل ! وعلى الصراط المستقيم
وهذا صريح في الباب . والأعمال بخواتيمها . وأمره الى الله وهو يعرف
خبايا الضمائر وسرائر الظواهر . ل :

مولاك مولاك ! الذي ماله ندّ وخاب الكافر الجاحد
آمن به والنفس ترقى وان لم يبق إلا نفس واحد
ترجُ بذاك العفو منه اذا ألدت ثم انصرف اللاحد
إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقيته سهل

(١) ملقى السبيل ٢٢١ وفيه « كم هلكت » وهي فيه أربعة وعند الذهبي « كم غودرت » وهو تصحيف

تم الكتاب مع المثلثة والفائت تسويدا وتبييضاً وتم النظرة تسويدا في مدة
خمس أشهر آخرها يوم الاثنين لعشر ليال بقين من شعبان سنة ١٣٤٣ هـ ببلدة
لاهور عاصمة بنجاب الهند وأنا أسير غربتين: غربه عن الوطن، وغربه عن أهل
العلم الذين كانوا لو كانوا غرة في جبين الزمن. حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله
الذي اصطفاه ومسماً عليه وعلى الذين اتبعوه باحسان رضى الله عنهم ورضوا
عنه. أمين. ١٦ مارس سنة ١٩٢٥ م

ثم زدت فيه أشياء كثيرة من كتب خطية عثرت عليها أثناء رحلاتي في
أعماق الهند وأقاصيها من أواسط يونيو إلى أواخر أغسطس سنة ١٩٢٥ م



وأما كتابي نظرة في النجوم من اللزوم فكان بُدِّي أن لو طبعته مع هذه
الثلاثة ولكن الحالة الحاضرة قضت بتأخير أمره إلى مدى الله به أعلم وما ذاك
إلا من قصوري ونبوّة البلاد والله مفرعنا وهو المراد



بیان و ملاحظات و أغلاط

بيانه وملاحظات وأغلاط

إذا الله جازى الأوداء عن ودّهم جازى عني أخي في الدين والأدب
 وشكلي في المساعي العلمية الفاضل الجليل الاستاذ محب الدين الخطيب، فهو الذي
 أخذ بحجرتي وشدّ ضبعي وقوى عزيمتي فيما أنا بصدد من خدمة هذا اللسان،
 ومهما تجشّمت أيها الخطيب وتفاصحت فلن أتمكن أن أخفف نفسي من
 أعباء أياديك الغرّ التي طوّقتني بها فأكل جزاءك على ما أسديته إليّ من المعروف
 إلى الذي هو بعباده لطيف خبير فلن يضيع عنده عمل عامل. فتعال ندعُ الله
 أن يكثر فينا من أمثالك حتى نتمكن من خدمة الأمة المرحومة وهي أقص
 ما نتمناه في هذه الحياة المشؤومة

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا وأنت الخلاق

﴿ملاحظات لا تخلو عن الفائدة﴾

زد ص ١٠ س ١ بعد (للمعاني) النظرة - نظرة في النجوم من الزوم
 كتاب يبقى بعد في المسودة جمعنا فيه أكثر أفكار المعري تحت عناوين المضامين
 بحيث يمكن الإنسان أن يرى جلَّ شعره في معنى من المعاني في موضع واحد
 ص ١٣ س ٦ : الرامشي من تلامذة المعري انظر ترجمته في ص ٢٢١ .
 ص ٤٠ س ٤ لم أجد القصة في عجائب البلدان وإنما هو في آثار البلاد له
 ص ١٨١ وفيه « قوائمه » وهو الصواب و « درهما »
 ص ٤٠ س ٧ قوله عن تلخيص الآثار - أي آثار البلاد المذكور والخبر
 في أصل الكتاب ص ١٨١ . وفيه « أولى الابصار » بدل البصائر
 ص ٤١ س ٣ زد بعد « اه » : وفي آثار البلاد ص ١٨١ ذكر البعير عنده
 أنه حيوان يحمل حملاً ثقيلاً فينفض به فقال ينبغي أن تكون رقبته طويلة ليمتد
 نفسه فتقدر على النهوض به

ص ٥٥ س ح ٦ : زد أن المؤلفي ترجم له في الأدباء ٧ : ١٥
 ص ١٣٠ س ٢ قوله عن ياقوت . راجع الأدباء له ٧ : ٤٥
 ص ١٣٧ س ٧ قوله كما وهم صاحب النور السافر . والقزويني في آثار البلاد
 ص ١٨١ أيضاً

ص ٢١٢ س ٩ زد أن ابن الأثير (١) روى عن مشيخة السلفي للتجيني
 قال أنشدنا السلفي قال أنشدنا أبو المكارم البهري قال أنشدنا أبو العلاء
 التنوخي لنفسه بالمعرة :

توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبين في عشرة الرؤساء

الاربعة الايات من ل (٢)

(١) التكملة له ١ : ٣٠٥ (٢) ١ : ٤٦ .

ص ٢٢١ س ١٩ زد بعده : (٣٦) محمد بن علي المقرئ الكازروني .
 روى ابن الأبار ^(١) عن مشيخة السلفي للتجبي قال سمعت السلفي
 بالاسكندرية يقول سمعت القاضي أبا الحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد
 بتستتر يقول سمعت محمد بن علي المقرئ الكازروني بالأهواز يقول دخلنا
 على أبي العلاء المعري منصرفنا من مكة ونحن جماعة فسألنا عن أسمائنا وبلداننا
 وصنائعنا . فانتسب كل واحد منا فلما سأني عن صناعتى قلت أنا قاري . قال
 فاقرا لي آية من كتاب الله تعالى فقرأت يوم « تقول لجهنم هل امتلأت وتقول
 هل من مزيد » فبكى بكاء شديدا ثم أمر لنا بدريهمات وقال اصرفوها في البأس
 يعني التين فإنه أوانه . فسألناه أن ينشدنا شيئا من الشعر فأنشدنا :

يغدو الفقير وكل شيء ضده والأرض تغلق دونه أبوابها
 (الأربعة وهي في الفأنت)

ص ٢٢٣ س ٦ وسماء ابن الوردى في تاريخه ١ : ٣٣٤ على بن

عبد الرحمن الفقيه المعروف بصريع الدلاء

! » ٢٥٩ » ١٧ كذا والصواب ما لها وتر . فالقوس مؤنثة . عدّها

ابن الحاجب مما لا يجوز تذكيره

» ٢٦٧ » ١٤ قوله في الكتبة - كذا ولعله في الكتابة

﴿أغلاط يجب التنبيه لها﴾

و (ح) علامة للحاشية

كثُر غَلَطَانِ وهما وضع (اه^(١)) موضع (الخ) وأبو بكر (ابن الخير^(٢))
بدل أبي بكر (ابن خير) غير محليّ بال

ص	س	ص	س
٣	١٩	٥٠	٣
٥	١٤	٥٢	١٦
١٥	٤	٥٦	١٧
٢٢	١٦	٥٧	١٤
٢٣	٦	٦٨	٥
٣٣	٨	٧٠	٨
٣٤	٥	٧١	٣
٣٩	٧	٧٣	٤
٤٥	١٠	٧٣	٢
٤٩	١٥	٧٥	٧
٥٠	١	٧٨	١٠

(١) انظر	ص	س	ص	س	ص	س	ص	س	ص	س
٢٩	٣٦٦	١١	٦	٧٢	٦	٧	٧٣	٥	٩١	١٢
٩٧	١٠١	٦٩	١١٦	٦٩	١١٦	٦٣	١٤٠	١٠	١٦٦	١٧
١٩٢	١٣									

(٢) انظر	ص	س	ص	س	ص	س	ص	س	ص	س
٩	١٢	١٢١	٦	١٢٢	٦	٢	٢٠٥	٦	٢٠٥	١٣
٢٠٦	١٣	٢١٣	٦	٢١٥	٦	٢	٢٢٠	٦	٢٢٠	٥
٢٦٤	١٢	١٣	١٢	٢٦٦	٢	٢	٢٧١	٦	٢٧١	٢

ص	س	ص	س
٧٨	ح ٢	مع ر ٢٩	إذا
٨٠	١٣	ذري	١٢٥ ح ١
٨١	٥	من عنجد	١٢٧ ح ٢
٨١	١٣	بغاة	١٣٠ ٣
٨٦	ح ٦	بعد ما طال	١٤١ ١٤
٨٨	١٣	أبي الحسين (كذا)	١٤٤ ٦٥
٨٩	٨	ونهب	١٤٨ ٧
٩٢	١		١٥١ ح ٤
وترويس ص ٩٣ هما والمعري			١٥٢ ١٢
			١٥٩ ١٥
٩٥	٧	منته وأن	١٦٠ ١٣
٩٦	ح ١	البيضة	١٦٢ ح ٣
٩٧	٣	قيل	١٦٢ ح ١٠
٩٩	٨	أيضاً - وأبناء	١٦٤ ٤
١٠٢	١١	حك « غير التعلم »	١٧٠ ٥
١٠٣	٣	بها [لحماسي]	١٧٠ ١١
١٠٣	١٦	سود	١٧١ ٩
١٠٦	١١	أو إكرام أو	١٨٤ ٧
١٠٩	٨	أبو طاهر	١٨٤ ح ١١
١١٣	١١	إحداها	١٨٤ ح ١٤
١١٥	١	والبدو - الوكع	١٨٨ ١٧
١٢٠	١٢	وخذا النوم	٢٠٣ ٢
١٢١	١	قوم سماهم	٢٠٧ ح ٣

ص	ص	ص	ص
٢٠٨	١٤	ستير	١١ ٢٥٨
٢٠٨	١٥	اللزوم ذكر	٢٦٠ ح ٢ ذهبي ١٣٥
٢١٠	٤	ومن الجَم	٢٦١ ١٠ ونبزوا
٢١٠	٩	رحل اليه	٢٦٤ ١٩ خماسية الراح
٢١١	٢ ح	مثلها في	٢٦٦ ٦ وشرحها فصيح الخ
٢١٢	٧ ح	وهو مدرس	٢٧٦ ٢ ح مؤلفه
٢١٣	١٩	الأزجي (بالزاي)	٢٧٧ ٥ إلى آخره
٢٢١	١٣	وذكره ابن	٢٨٢ ٤ ٢١ كتاب الأجناس
٢٢١	١٩	ولدوفي	٢٨٢ ٢٢ ٢١٠ الأمالي
٢٢٤	٦ ح	وعند القفطي	٢٨٣ ٢٨ ٣٦ - ٣٩
٢٢٦	٧ ح	نقيضتها	٢٨٣ ١٣-٢٦ غ ١٨ مقاتل الفرسان
٢٢٧	١٠	لى - أنسك	(لأبي عبيدة ل ١ : ١١١)
٢٣٠	٨	وقد حار بعض	غ ١٣٧ المقنع للسيرافي وابنه
٢٣٩	١٦	فنفقت ورحل	(ر ٨٢ المنطق - أربعة
٢٤٠	٧	خمرها	كتب فيه
٢٤٠	١١	الأروى	غ ١٣٧ الموجز الخ
٢٤٥	٣ ح ٤	اشطب (ومنها الرسائل)	(س ٢ : ٢٢٤ كتاب
٢٤٧	٢ ح	على تشرر	المجهول الخ
٢٤٩	٣	على غره	ر ٥٧ نوادر ابن الأعرابي
٢٤٩	١٦	في العمود	غ ١٤٧ » الصولى
٢٥٢	٣	بمد زد علامة الفرق (-)	(غ ١٤٠ ر ٨٩ كتاب
٢٥٣	٢ ح	بين جمادى	(الورقة الخ
٢٥٤	١٤	جناة	٢٨٧ ٤ النواوي
			٢٩٧ ٨ ترك الهجو

فوائد

قد صدق الامام الشافعي أن التأليف شيء لا يتم في حياة المؤلف أبداً
لحرصه على الاصلاح والاضافة وذلك أني انتهت من الزمان فرصة في محرم سنة
١٣٤٦ هـ (يوليه سنة ١٩٢٧ م) وقضيت منها اسبوعاً في بانكي بور بئنه لزيارة
خزانتها الحافلة بالأعلاق الخطيرة والنفائس الضئيلة التي كنت أمني النفس بها
منذ أعوام متطاولة فوجدت في قلادة دُررها دُرّة غالية وهي نسخة جلييلة عميقة
من سقط الزند كتبت في نحو القرن السادس وعورضت هي أو أصلها على
نسخة قرئت على أبي العلاء فتصفحها ورقة ورقة وعلقت منها في مذكري
ما يعين في تدوين تاريخ الرجل - وأضفت الى ما انتقيته منها فوائد من
غيرها وهي : -

ورد في كتاب العصا لأسامة بن منقذ^(١) من أمراء شيزر (نسخة
بانكي بور ورقة ١٦٠) ذكر رسالة لأبي العلاء لا توجد في جملة رسائله المعروفة
وهذا نص أسامة :

قال المؤلف أطال الله بقاءه : وقفت على كتاب كتبه الشيخ أبو العلاء
أحمد بن سليمان المعري الى الشيخ جعفر بن أبي القاسم بن أبي العود فيه ذكر
العصا أنا ذاكره وهو :

مولاي الشيخ الأجل الأوحداطال الله بقاءه ، وأدام نعماءه ، وكبت
أعداءه ، واسمه جعفر والجعفر النهر الصغير الكثير الماء ، وانه لفرات يرده أهل
الاضواء ، فيغني الوراد عن القطر النازل من السماء . وكنيته أبو القاسم وهو

(١) انظر ترجمته في معجم الادباء ٢ : ١٧٣ وورد في صفحة ١٨١ منه ذكر كتاب
العصا الذي تصحف على المستشرق مرجليوث بالقضاء

يقسم مارزق بين الضعفاء ، وطارقٍ يجب له حسنٌ وفا . وهو يشفق على بعيد
 وقريب ، وأهل من القوم وغريب . والله جلّت عظمتُهُ يُريه ما يُسرّه في نفسه
 وولده ، ويجعل المسرّة مقرّة في خَلده . وأما أنا فقد بلغتُ سنّاً ، تصيرُ العالي
 من الشجر ثنّاً . وفي هذه المدة عرّض لي ما يمنع من القيام ، ويلحق النار
 الموقدة بالأيّام (ككتاب : الدخان والجمع أيّم ككتب) فإذا نهضتُ خلتُ أني
 متوتّل في رنيق يُعجز تعالى (؟) السوذنيق (السوذنيق يوصف بعلوّ الطيران
 قال الحماسي :

فما سوذنيق على مرّباً خفيف الفؤاد حديد النظر)
 وإذا مثلتُ قائماً لم أقدر على خطو ، إلاّ كما ضعف من القطر . كأنّ خطوَي
 فتر ، وبيد الله العافية والبسر . ولا بدّ لي من عصا مُعينة ، والعجب للدنيا
 اللعينة . وورد وليّه الشيخ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن أبي هاشم وهو مؤقّر
 من أيادٍ ، ما زال لمثلها إذا اعتياد . والله يستجيب مني فيه وفي أودائه ما يرفع
 من دعاء ، فالرب الأوّل ملك الملوك وراعي الرعاء

٣ ١٩ الصواب ليس لم يبيضها جبرائيل
 ١٤ ح ١ زد وكذا في نسخة سقط الزند بيانكي بور عن نسخة دون
 ذكر السنة

٢٤ ح ٣ زد بعد (والادباء) : والنسخة الخطيّة بيانكي بور
 ٣٣ ٥ زد أنه ورد في مصارع العشاق قسطنطينية ص ٢٣٤ (قال ابن
 السراج) لي من جملة قصيدة كتبت بها الى القاضي أبي مسلم ابن
 أخي أبي العلاء المعري :

إن غرامي يا أبا مسلم إلى غربي في الهوى مُسلمي

- ص س
القصيدة قلت ولا أدري هل أبو مسلم هذا هو ابن أبي المجد هذا
أو غيره
- ٥٥ ح ٧ هذا الذي نقله صاحب البغية عن الادباء يوجد في الجزء السابع
منه المطبوع آنفاً
- ٦٢ ١١ وروى مثله ياقوت في الأدباء ٤ : ٥ عن أمالي ابن خالويه قال
سأل الخ
- ٦٣ ٧ زد أنه كان بين أبي العلاء وبين ولد ابن خالويه صداقة ومهاداة
فأرسل إليه كتاباً ثبت عليه خط سماعه فأجابه أبو العلاء بقطعة
لامية وانظر المملوطة على ص ٢٨١ .
- ٦٧ ٧ قوله ولد أخ الخ هكذا علمنا إذ ذاك من نسخ السقط الحاضرة ثم
١٦٥ ٩
- رأينا في نسخة بانكي پور في عنوان الحائية « وقال يحيب الشريف
أبا ابراهيم العلوي محمد بن احمد بن محمد بن الحسين بن اسحاق
ابن جعفر الصادق عن قصيدة أولها : بعادك أسهر الجفن القريحا »
فتمين أن ليس لأبي ابراهيم أخ يسكون يدعى موسى بل هو
تصحيح محمد والعصمة لله وحده
- ٧٣ ٨ زد : ثم بُعيد ذلك في نسخة بانكي پور « ولم يكن من طلاب الرِّفد
فالله سبحانه وتعالى يحمد على ذلك
- ٨٦ ٣ وفي نسخة بانكي پور أن مطلع قصيدة المفضل « الطرف منذ
رُزوح العيس في البرق » ونقل مطلع نسخ السقط المطبوعة أيضاً عن
نسخة ثم زاد على حاشية قوله « إنا بعثناك تبغي القول من كتب »
أن المفضل كان تلميذاً له ومثله في التنوير ١ : ١٤٣ .

ص س

- ٨٦ ٢ وجاء في نسخة بانكي بور أن الأبيات التي أولها « أيدفع ^(١) »
- ١٦٥ ١١ معجزات اعتبار « هي في جواب ابن جليات أيضاً
- ٨٧ ٣ قوله ابن عساكر - زد بعده (وياقوت في الادباء ٤ : ٦٠) .
- ١٠١ ٣ قوله قال العاجز الخ وقد نصّ على ذلك في نسخة بانكي بور ولفظها
- وقال يرثي الفقيه أبا حمزة الحسن بن عبد الله بن عمرو الحنفي .
- ١٢٤ او ٥ وقد حقق ظني حاشية في نسخة بانكي بور على قوله اليك زودتني
- عن حضور بمجمع وهي « مسجد الجامع »
- ١٢٥ ١٠ جاء في نسخة بانكي بور « صاحب الرواية » وهو الذي صُحِّفَ
- في النسخ المطبوعة بصاحب الدولة وأوقعنا في غناء
- ١٣٧ ١١ زد بعد قوله كثير الآخر أنه جاء في روض الاخيار ص ١١٧ أن
- الشيخ شمس الأئمة الكردي أجابه بقوله :
- قل المعريّ عار أيما عار جهل الفتى وهو من ثوب التقي عار
- لا تفدحن زناد الشعر من حكم شعائر الشرع لم تقدح بأشعار
- فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ولو تعدت فلا تسوى بدينار
- ١٥٠ ٦ قوله البرقي . وفي نسخة بانكي بور الرقيّ ولم أجدهما في
- الأندلس للسمعاني وغيره
- ١٥٦ ح ٢ انتسخت التبرّي هذا من نسختين بمخزاة بانكي بور
- لاتخلوان عن الأغلاط وهي أرجوزة في نحو أربعين بيتاً
- ٢٠٥ ١٧ زد وكذلك الشيخ أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل
- الأندلسي الأندلسي فإنه سمع بمدينة السلام على التبريزي

ص س

سقط الزند كما ورد في عنوان نسخة سقط الزند ببانكي پور
وانظر وصفها في الثبت

٢١٨ ١٦ في نسخة الدمية بالمتحف البريطاني وفي أخرى بالخط المغربي
الخمّداني بالحاء كما صوّبناه .

٢٢٠ ٦ زد أنه كان قرأ عليه السقط كما ورد في سند نسخة بانكي پور
٣٠٠ ح ٢٠ وانظر ح ٣٠٠ عن ابن الوردي أنه لازم أبا العلاء الى موته

٢٢١ زد في ختام الصفحة ثلاثة تلاميذ (٣٧) المفضل ولعله المفضل
ابن سعيد العزيزي وكان تلميذاً له كما جاء في التنوير وحاشية نسخة بانكي پور أنظر
الملاحظة على ص ٨٦ و ص ٨٦ من الأصل أيضاً . (٣٨) أبو الخطاب أحمد بن
المغيرة الأندلسي قال ابن السراج القاري المتوفى سنة ٥٠٠ هـ في مصارع العشاق
ص ٢١٧ أخبرني ^(١) أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي بدمشق لأبي
العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصبابة ^(٢) وقرأته عليه جميعه
بدمشق من أثناء قصيدة له أولها :

« أسالت أتيّ الدمع فوق أسيل الخ »

(٣٩) أبو عبد الله نصر بن صدقة القباسي النحوي . كان يتعانى الادب
فقدم مصر وأخذ عن علماءها ، ثم توجه الى المعرة فلزم أبا العلاء وأخذ عنه
ديوان سقط الزند وكتب منه نسخة جيدة ورجع لمصر فقدمها للحاكم فقرأ عليه
فأعجبه نظمه وأرسل الى عزيز الدولة الوالي بحلب أن يحمله الى مصر فاعتذر
فكف عنه . استدركه الحافظ ابن حجر على المقرئ في المقفى كما قاله السيوطي
في البغية . أقول وهذا يشتمل على أمور هامة فاتنا ذكرها في مظانها ، فلتستدرك

(١) لعل صوابه أنشدني (٢) كندا والعباب ديوان الصبا وهو السقط .

- ص ٢٢٥ س ١٠ زد بعد الترجمة أن ياقوت (٤ : ١٤١) ذكر في ترجمة أبي سليمان
الداودي الضرير أنه كان مولعاً بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة
صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة وتوفي سنة ٦١٥ هـ
وجاء في نكت الهميان ص ٢٩٧ في ترجمة مكّي بن شبّة
الماكسيني أنه كان يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب اذا
قريء عليه شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى لأنه أضرب
بآخره
- ص ٢٥٤ س ٧ جاء في ختام نسخة بانكي پور ما نصه : وتوفي أبو العلاء بين
صلاتي العشائين من يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول
سنة ٤٤٩ هـ . وكان عمره ستاً وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين
يوماً لم يأكل اللحم منها ٤٥ سنة وقال الشعر وهو ابن إحدى
عشرة سنة الخ
- ص ٢٥٨ رثاء ابن أبي حصينة يوجد في الأدباء أيضاً ٤ : ٧٠ وفيه في
البيت ٧ : يضرّ ويخدع وفي ١٤ : إن البكاء على سواك
مضيع ، وفي ١٦ : وقضى العلى والعلم بعدك أجمع
- ص ٢٦٨ س ٣ زد بعد (يستظهره) وأحسن نسخة من السقط فيما رأيت نسخة
خزانه خُدا بنخش خان المرحوم ببا نكي پور يظهر أنها كتبت في القرن السادس
وعليها حواش من شرحي أبي العلاء والتبريزي ومن النسخة المقرّوة على أبي
العلاء نفسه وفي طرارها تسمية بعض رجال لم يتعرض لهم الشارحون بل كنوا
عنهم بالبعض ورجل وغيرهما من المبهمات . وورد في عنوانها إسناد جليل وهذا

نصه :

أخبرني الشيخ الأجلّ المهنّذ أبو الحسن ^(١) علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السّلميّ بقراءتي عليه في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة قال : قرأت على الشيخ الحافظ أبي الحسن ^(٢) سعد الخير بن محمد ابن سهل الانصاري الأندلسي بمدينة السلام في شهر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة قال : قريء على شيخنا أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي بالمدرسة النظامية وأنا أسمع قال : قرأت على شيعي أبي العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان التنوشي المعري بهاسمة اثنتين وأربعين وأربعمائة

قال : ثم قريء على الأمير سعد الدولة أبي عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد السّلميّ بدمشق وأنا أسمع ومن أصله نقلت قال : قرأت بحلب على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني في شهر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة قال : قرأت على شيعي أبي العلاء : أما بعد فإن الشعراء الخ

٢٨١ ٤ هذا الرجل سُمّي في نسخة بانكي بور مرتين ونصها : ذكر الشيخ أبو العلاء أن هذه القطعة في علي بن عبد الله بن خالويه قال أبو زكريا كأنه أهدى إليه كتاباً من مسموعاته وسماعه مكتوب عليه

(١) ترجم له في الأدباء ٥ : ٢٤٧ ونقل بلفظه في البغية ٣٤١ .

(٢) ترجم له في النفع ليدن ١ : ٨٩٥

8 FEB 1988

AUC - LIBRARY



DATE DUE

 A.U.C.  A.U.C. 24 NOV 1993	 A.U.C. 13 DEC 1995
 A.U.C. 23 DEC 1993	 A.U.C. 11 DEC 1996
 A.U.C. 26 OCT 1994	
 A.U.C. 31 OCT 1994	26 MAY 1997
 A.U.C. - 8 JAN 1995	 A.U.C. 16 APR 1998 11 JUN 1998

Y

12

0.12613629
1-13341054

12

main



00000037577

PJ 7750 A25 Z3x 1925/c.1

8 FEB 1988

